



وَصِيُوفُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

رِجَالُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دَارُ الْقِسَافَةِ

عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَضِيُوفَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِيَّاهُ

وَضِيُوفَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

تأليف

محمد عيسى حوافظه

دار الفاروق

كافة الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع



هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ - بيروت - لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَدِينَةِ الْمُحَرَّرَةِ
فَائِزَةٍ بِمَدِينَةِ
وَحْيٍ وَبِشْرٍ وَفَوْزٍ وَخَلْقٍ
وَلَفْظٍ مُفِيدٍ

صَدَقَ اللَّهُ نَعْبِي نَعْلِيمُ

الفصل الثاني

فِي تَرْكِ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ وَفَوْقَهُ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الْأُولَى أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الرَّابِعَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الْخَامِسَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ السَّادِسَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ السَّابِعَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الثَّمَانِيَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الْتَّاسِعَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الْعَاشِرَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الْحَادِيثَةُ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ
 وَالْحُجَّةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ أَنَّ تَرْكَهُ دُونَ كَلَامِهِ دُونَ كَلَامِ الْخَلْقِ

محمد علي عفا الله عنه

والحق عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ وَلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

١٥٩ البقرة

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ



لَهُدًى وَكَتَابٍ سَمِعَ حُبِّي وَتَقَرَّرِي مَلْجِئًا مَعَهُ لِلَّهِ الرَّحْمَةِ
وَالْبَغْتِ فَرَّةً وَالشَّقَاةِ مَعَهُ سَوْلُهُ وَاللَّهُ لَطِيفٌ خَلَقَ

ذُو الْحُكْمَةِ حُرِّبَ الْفَتَنَةِ

مُحَمَّدٌ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين
وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه المنتجبين .

عزيزي القارئ لا بد من معرفة علم أمير المؤمنين علي عليه السلام
من أين حصل عليه؟ ومن هو معلمه؟ أو الكتاب الذي درس فيه .

واختصر عليك بقولي : معلمه محمد رسول الله ﷺ ومعلم
رسول الله محمد ﷺ الله سبحانه وتعالى وكتابه القرآن الكريم الذي
قال فيه سبحانه وتعالى :

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ .

﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ .

لذلك لم يعد هناك علم غيب عند علي عليه السلام بل هو علم أخذه
من معلم وكتاب موجود بين أيدينا تحدى فيه الله سبحانه وتعالى عالم
الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وأكد لنا حفظه وعدم التلاعب فيه

كما حصل لغيره من الرسالات التي أرسلها بقوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

أما كيف حصل؟ ولماذا حصل؟ ومتى حصل هذا التقهقر الفكري عند المسلمين؟

بجملة واحدة أقول عندما ابتعدنا عن كتاب الله وعتره رسول الله الذي قال عنهما رسول الله ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً .

ولمن يقول إن رسول الله ﷺ قال إني تارك فيكما الثقلين كتاب الله وسنتي؟ أين هي السنة التي تركها رسول الله ﷺ مختومة بخاتمه ومصدق عليها بتوقيعه نعم هي عند عترته وعند علي عليه السلام لأن رسول الله ﷺ قال أنا مدينة العلم وعلي بابها، وعلمت علياً ألف باب . الخ من أقوال رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام .

لمحة موجزة عن حياة الإمام علي عليه السلام

١ - ولد في الكعبة المشرفة وهنا السر الأكبر في حياة علي عليه السلام .

جاء في مروج الذهب للمسعودي وإرشاد المفيد والسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي وغيرهم ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواء إكراماً من الله جل اسمه له بذلك وهذه الولادة مشهورة في الدنيا .

كيفية ولادته:

نحن نعلم أن في القرآن الكريم الكثير من المعجزات كمعجزة نار إبراهيم عليه السلام التي كانت برداً وسلاماً عندما ألقوه فيها - ومعجزة عصا موسى عليه السلام - ومعجزات عيسى عليه السلام كيف ولد وماذا فعل .

ولكن معجزة علي عليه السلام أعظمها لأنها تمت في داخل الكعبة المشرفة وخلاصتها أن أمه فاطمة بنت أسد أحست بوجع الولادة فأقبلت إلى المسجد الحرام وطافت حول الكعبة وتضرعت إلى ربها فانشق لها الحائط المسمى اليوم (بالمستجار) ودخلت وولدت ابنها

علياً هناك مع العلم أن للكعبة المشرفة باباً يمكن الدخول والخروج منه ولكن الباب لم ينفتح بل انشق الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدل على خرق العادة وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة .

والأثر لا زال موجوداً على جدار الكعبة حتى اليوم بالرغم من تجدد بناء الكعبة، وقد ملأوا أثر الانشقاق بالفضة، والأثر يرى وبكل وضوح على الجدار المسمى بالمستجار، والعدد الكثير من الحجاج يلتصقون بهذا الجدار ويتضرعون إلى الله تعالى في حوائجهم وخصوصاً الحاجات الحوامل .

وهذه الولادة اختارها الله لوليه والتي هي أشرف بقاع الأرض حتى يكون مولوده في ذلك المكان من مزاياه التي انفرد بها عن الخلق أجمعين .

وكانت ولادته يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب بعد مضي ثلاثين سنة من عام الفيل وقيل أقل من ذلك والله أعلم .

وهذه الولادة كانت قبل إعلان دعوة رسول الله ﷺ بعشر سنين تقريباً .

آثار التربية:

أجمع علماء النفس والتربية واتفقت كلمتهم على أن جميع نفسيات الإنسان وأخلاقه وصفاته إنما هي انطباعات التربية التي ركزت في نفسه منذ صغره بحيث يمكن لنا أن نعرف مصير الطفل

ومستقبله من منهاج التربية الذي اتبعه الوالدان والمربي تجاه الطفل في صباه .

وعندما أصابت أزمة قحط شديد قريشاً أخذ رسول الله علياً فضمه إليه ولم يكن الرسول ليتولى تأديبه، ويتضمن حضائنه وحسن تربيته إلا على ضربين إما على التفرس فيه، أو بوحي من الله تعالى، فإن كان بالتفرس فلا تخطئ فراسته ولا يخيب ظنه، وإن كان بالوحي فلا منزلة أعلى ولا حال أدل على الفضيلة والإمامة.

فبناءً على هذا اهتم رسول الله ﷺ غاية الاهتمام وبذل ما في وسعه في تربية علي عليه السلام وتأديبه وتقوية نفسه وتوجيهه، وطبع غرائزه على أحسن ما يرام وتعليمه الفضائل والمكارم. فأنجبت تلك التربية الإسلامية الفريدة في نفس علي عليه السلام أحسن الأثر..

٢ - أخذه رسول الله طفلاً من أبيه أبو طالب في سنة قحط .

٣ - يقول كنت أتبع رسول الله اتباع الفصيل أثر أمه .

٤ - فدى الإمام عليه السلام النبي بنفسه ليلة هجرته إلى المدينة المنورة عندما نام على فراشه بطلب من الرسول معرضاً نفسه للخطر إذ إن قريشاً كانوا بباب الدار يريدون الهجوم على الفراش لقتل الرسول وإنهاء دعوته وقول علي: «أوتسلم يا رسول الله؟» فقال: «نعم» وبكيا وجداً فقال علي: «لا أبالي إن وقعت على الموت أو وقع الموت علي» .

٥ - كان مع رسول الله يناجي ربه في غار حراء قبل الدعوة ولازمه في كل مراحلها حتى فارق رسول الله الدنيا .

٦ - كان كما قال : «وإنما أنا كقطب الرحي ؛ تدور علي وأنا بمكاني ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير» .

٧ - قال رسول الله : «يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وأنا ؛ يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» . وقال : «الحق مع علي وعلي مع الحق يدور معه حيث ما دار» . وقال : «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» .

٨ - أمره رسول الله في معظم الغزوات ولم يجعل عليه أميراً قط .

٩ - قال جبرائيل في معركة أحد : «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار» .

١٠ - انتصر الإسلام بالمعارك التي خاضها بقوة علي عليه السلام حتى قال رسول الله في معركة الخندق : «نزل الإيمان كله إلى الشرك كله وكان علي عليه السلام الإيمان كله» .

١١ - قال سبحانه وتعالى بعد غدير خم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ . وذلك بعد قول رسول الله بولاية علي أميراً للمؤمنين .

١٢ - انتهت فترة الجهاد بوفاة الرسول .

١٣ - أصبح جهاد علي عليه السلام بنوع من السكوت والصبر والكلام بما يقتضيه الحال وما تفرضه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

١٤ - ربيع قرن والإمام جليس بيته مسلوب الإمكانات فاقداً قدرة النهوض بأعباء الخلافة لأن المسؤولية تابعة للقدره والقوة ونفوذ الكلمة.

١٥ - إلا أنه في هذه الفترة «كتب القرآن» و«مصحف فاطمة» و«الجامعة».

١٦ - تنتهي تلك الفترة بمقتل عثمان وتزحف الجماهير إلى بيت علي عليه السلام مبايعة بخلافته فيقول خطبته الشهيرة الشقشقية ومنها: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة علي بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها، وأنها عندي كعقطة عنز إلا أن أقيم حقاً وأزهد باطلاً». «لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم لله وأنتم تريدوني لأنفسكم» ومما قاله قبل استشهاده: «وداعي لكم وداع امرئ مرصد للتلاقي! غداً ترون أبنامي، ويكشف لكم عن سرائري، وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي».

١٧ - استشهد الإمام عليه السلام في محرابه بمسجد الكوفة عند صلاة الفجر ليلة تسع عشرة وتوفي ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة.

عباداته ﷺ

عن عبد الله بن النضر التميمي، عن جعفر بن محمد المكي،
عن عبد الله بن إسحاق المدائني، عن محمد بن زياد، عن سفيان،
عن هاشم بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: كنا جلوساً في
مجلس في مسجد رسول الله ﷺ فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة
الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا أخبركم بأقل القوم مالاً
وأكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: أمير
المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فوالله إن كان في جماعة
أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه ثم انتدب له رجل من الأنصار
فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت
بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم إني قائل ما رأيت وليقل كل قوم منكم
ما رأوا، شهدت عليّ بن أبي طالب بشويحات النجار، وقد اعتزل
عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد
عليّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي
وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم
من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك

عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤتمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك» فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان ممّا به الله ناجاه أن قال: «إلهي أفكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي» ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها وأنت محصّيها، فتقول: خذوه، فيأله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملاء إذا أذن فيه بالتداء» ثم قال: «آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من ملهبات لظى».

قال: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقفه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو، فقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون» مات والله علي بن أبي طالب قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشّية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إلي وأنا أبكي فقال: ممّا بكأوك يا أبا الدرداء؟ فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيته ودعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجزاء بالعذاب. واحتوشطني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد

أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا، لكنك أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية، فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

استجابة دعواته ﷺ

روي عن سليمان الأعمش، عن سمرة بن عطية، عن سلمان الفارسي قال: إن امرأة من الأنصار يقال لها أم فروة تحض على نكث بيعة أبي بكر وتحث على بيعة علي عليه السلام فبلغ أبا بكر فأحضرها واستتابها فأبت عليه، فقال: يا عدوة الله أتحضين على فرقة جماعة اجتمع عليها المسلمون فما قولك في إمامتي؟ قالت: ما أنت بإمام، قال: فمن أنا؟ قالت: أمير قومك فإذا أكرموك فالإمام المخصوص من الله ورسوله لا يجوز عليه الجور، وعلى الأمير والإمام المخصوص أن يعلم ما في الظاهر والباطن وما يحدث في المشرق والمغرب من الخير والشر، فإذا قام في شمس أو قمر فلا فيء له، ولا يجوز الإمامة لعابد وثن ولا لمن كفر ثم أسلم، فمن أيهما أنت يا بن قحافة؟ قال: أنا من الأئمة الذين اختارهم الله لعباده! فقالت: كذبت على الله ولو كنت ممن اختارك الله لذكرك في كتابه كما ذكر غيرك فقال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ويلك إن كنت إماماً حقاً فما اسم سماء الدنيا والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة؟ فبقي أبو بكر لا يحير جواباً، ثم قال: اسمها عند الله الذي خلقها، قالت: لو جاز

للنساء أن يعلمن علمتك فقال: يا عدوة الله لتذكرن اسم سماء وسماء وإلا قتلتك، قالت: أبالقتل تهددني والله ما أبالي أن يجري قتلي على يد مثلك ولكني أخبرك، أما السماء الدنيا أيلول، والثانية ربعلول، والثالثة سحقوم والرابعة ذيلول والخامسة ماين والسادسة ماجير والسابعة ايوث، فبقي أبو بكر ومن معه متحيرين، فقالوا لها: ما تقولين في علي؟ قالت: وما عسى أن أقول في إمام الأئمة ووصي الأوصياء من أشرق بنوره الأرض والسماء ومن لا يتم التوحيد إلا بحقيقة معرفته ولكنك نكثت واستبدلت وبعث دينك قال أبو بكر اقتلوها فقد ارتدت فقتلت وكان علي عليه السلام في ضيعة له بوادي القرى، فلما قدم وبلغه قتل أم فروة فخرج إلى قبرها وإذا عند قبرها أربعة طيور بيض مناقيرها حمر في منقار كل واحد حبة رمان وهي تدخل في فرجة القبر فلما نظرت الطيور إلى علي عليه السلام رفرفن وقرقرن فأجابهن بكلام يشبه كلامهن قال افعل إن شاء الله ووقف عند قبرها ومدّ يده إلى السماء وقال: يا محيي النفوس بعد الموت ويا منشئ العظام الدارسات أحي لنا أم فروة واجعلها عبرة لمن عصاك فإذا بهاتف: امض لأمرك يا أمير المؤمنين وخرجت أم فروة متلحفة بريطة خضراء من السندس الأخضر وقالت: يا مولاي أراد ابن أبي قحافة أن يطفئ نورك فأبى الله لنورك إلا ضياء وبلغ أبا بكر وعمر ذلك فبقيا متعجبين فقال لهما سلمان: لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأولين والآخرين لأحياهم وردها أمير المؤمنين عليه السلام إلى زوجها وولدت غلامين له وعاشت بعد علي ستة أشهر.

وفي تاريخ البلاذري وحلية الأولياء وكتب أصحابنا عن جابر الأنصاري أنه استشهد أمير المؤمنين ﷺ أنس بن مالك والبراء بن عازب والأشعث وخالد بن يزيد قول النبي: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فكنتموا فقال لأنس: لا أمانك الله حتى يبتليك ببرص لا تغطيه العمامة، وقال للأشعث: لا أمانك الله حتى يذهب بكريمتك، وقال لخالد: لا أمانك الله إلا ميتة جاهلية. وقال للبراء: لا أمانك الله إلا حيث هاجرت. قال جابر: والله لقد رأيت أنساً وقد ابتلي ببرص يغطيه بالعمامة فما تستره، ورأيت الأشعث وقد ذهبت كريمته وهو يقول: الحمد لله الذي جعل دعاء أمير المؤمنين ﷺ علي بالعماء في الدنيا، ولم يدع علي في الآخرة فأعذب، وأما خالد فإنه لما مات دفنوه في منزله فسمعت بذلك كندة فجاءت بالخيول والإبل فعقرتها على باب منزله فمات ميتة جاهلية. وأما البراء فإنه ولي من جهة معاوية باليمن فمات بها. ومنها كان هاجر وهي السراة.

عن أبي الأحوص، عن أبيه، عن عمار الساباطي قال: قدم أمير المؤمنين ﷺ المدائن فنزل بإيوان كسرى، وكان معه دلف بن مجبر، فلما صلى قام وقال لدلف قم معي، وكان معه جماعة من أهل ساباط، فما زال يطوف منازل كسرى ويقول لدلف، كان لكسرى في هذا المكان كذا وكذا، ويقول دلف: يقول: يا سيدي ومولاي كأنك وضعت هذه الأشياء في هذه المساكن، ثم نظر ﷺ إلى جمجمة نخرة، فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمة، ثم جاء ﷺ إلى الإيوان وجلس فيه، ودعا بطشت فيه ماء، فقال للرجل: دع هذه

الجمجمة في الطشت، ثم قال أقسمت عليك يا جمجمة لتخبريني من أنا ومن أنت؟ فقالت الجمجمة بلسان فصيح: أما أنت أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين وأما أنا فعبد الله وابن أمة الله كسرى انوشيروان. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف حالك؟ قال: يا أمير المؤمنين إني كنت ملكاً عادلاً شقيقاً على الرعايا رحيماً، لا أَرْضَى بظلم، ولكن كنت على دين المجوس، وقد ولد محمد ﷺ في زمان ملكي، فسقط من شرفات قصري ثلاث وعشرون شرفة ليلة ولد، فهممت أن أؤمن به من كثرة ما سمعت من الزيادة من أنواع شرفه وفضله ومرتبته وعزه في السماوات والأرض ومن شرف أهل بيته، ولكنني تغافل عن ذلك وتشاغلته عنه في الملك، فبأهلها من نعمة ومنزلة ذهبت مني حيث لم أؤمن، فأنا محروم من الجنة بعدم إيماني به، ولكنني مع هذا الكفر خلصني الله تعالى من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعية، وأنا في النار والنار محرمة عليّ، فواحسرتاه لو آمنت لكنت معك يا سيد أهل بيت محمد ﷺ ويا أمير أمته، قال: فبكى الناس، وانصرف القوم الذين كانوا من أهل ساباط إلى أهلهم وأخبروهم بما كان وبما جرى فاضطربوا واختلّفوا في معنى أمير المؤمنين فقال المخلصون منهم: إن أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله وولّيته ووصي رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: بل هو النبي ﷺ وقال بعضهم: بل هو الرب وهو عبد الله بن سبأ وأصحابه، وقالوا: لولا أنه الرب كيف يحيي الموتى؟ قال: فسمع بذلك أمير المؤمنين وضاق صدره، وأحضرهم وقال: يا قوم إن غلب

عليكم الشيطان إن أنا عبد الله أنعم عليّ بإمامته وولايته ووصية رسوله ﷺ، فارجعوا عن الكفر، فأنا عبد الله وابن عبده، ومحمد ﷺ خير مني، وهو أيضاً عبد الله وإن نحن إلا بشر مثلكم، فخرج بعضهم من الكفر وبقي قوم على الكفر ما رجعوا فألخ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام بالرجوع فما رجعوا، فأحرقهم بالنار، وتفرق منهم قوم في البلاد وقالوا: لولا أن فيه الربوبية ما كان أحرقنا في النار، فنعوذ بالله من الخذلان.

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قاعداً في المسجد وعنده جماعة من أصحابه، فقالوا له: حَدِّثْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُمْ: وَيَحْكُمُ إِنْ كَلَامِي صَعِبَ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ، قَالُوا: لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَحْدِثَنَا، قَالَ: قَوْمُوا بِنَا فَدَخَلَ الدَّارَ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي عَلَوْتُ فَقَهَرْتُ، أَنَا الَّذِي أَحْيَيْتُ وَأَمَيْتُ، أَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: كُفْرًا وَقَامُوا، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْبَابِ: يَا بَابَ اسْتَمْسِكْ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَمْسَكَ عَلَيْهِمُ الْبَابُ، فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: إِنْ كَلَامِي صَعِبَ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ؟ تَعَالُوا أَفْسِرْ لَكُمْ، أَمَا قَوْلِي: أَنَا الَّذِي عَلَوْتُ فَقَهَرْتُ فَأَنَا الَّذِي عَلَوْتُكُمْ بِهَذَا السِّيفِ فَقَهَرْتُكُمْ حَتَّى آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَمَا قَوْلِي: أَنَا أَحْيَيْتُ وَأَمَيْتُ فَأَنَا أَحْيَيْتُ السَّنَةَ وَأَمَيْتُ الْبَدْعَةَ، وَأَمَا قَوْلِي: أَنَا الْأَوَّلُ فَأَنَا مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَأَسْلَمَ وَأَمَا قَوْلِي: أَنَا الْآخِرُ فَأَنَا آخِرُ مَنْ سَجَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَهُ وَدَفَنَهُ، وَأَمَا قَوْلِي: أَنَا الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ فَأَنَا عِنْدِي عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ قَالُوا: فَزَجَّتْ عَنَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ.

الله أكبر

«الله أكبر» من أي فكر قد يتصوره الإنسان، وقد يدركه بصره وبصيرته حتى لو رأى ملكوت السموات والأرض (فالله أكبر...!).

وكان أن من الله على البشرية برسوله محمد ﷺ وبرسالته وخضّه بعلي عليه السلام لتبثتها ولو كره المشركون.

وخلق علياً عليه السلام ليرينا فيه الإنسان الكامل المكتمل وجعل فيه ما يسعد من الأمور وتهدى إلى صراط مستقيم.

وبعد! فإني أقول أكثر مما أكتب...! وأعرف أكثر مما أقول... وتصدق في رأسي الطبول...؟

كيف يا إمامي عليك الدخول... سأختبئ وراء قول الرسول والأئمة والعلماء والشعراء الفحول... ربما أستطيع أن أبوب بعض ما قلته يا أخ الرسول... يا أبا الحسنين... يا زوج البتول...!

بعض ما قاله الله في كتابه الكريم في علي عليه السلام

- ١ - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].
- ٢ - ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].
- ٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُكَ مِنَ النَّاسِ إِذَا شَاءَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].
- ٤ - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].
- ٥ - ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦].
- ٦ - ﴿إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].
- ٧ - ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].
- ٨ - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٩ - ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِيماً وَنَيْماً وَاسِيراً﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٨ - ٩].

١٠ - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ (٢) إِنَّكَ شَانِئَتَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

علي عليه السلام في الرسائل

أبو القاسم الكوفي في الرد على أهل التبديل أن حساد علي عليه السلام شكوا في مقال النبي صلى الله عليه وآله في فضائل علي عليه السلام فنزل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني في علي ﴿فَتَسْلِ الْآيَاتِ يَفْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أهل الكتاب عما في كتبهم من ذكر وصي محمد فإنكم تجدون ذلك في كتبهم مذكوراً، ثم قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَتَائِبِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٤ - ٩٥] يعني بالآيات ههنا الأوصياء المتقدمين والمتأخرين.

إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن عباس في خبر أنه أتى براهب قرقيسيا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رآه قال: (مرحباً ببحيراء الأصغر أين كتاب شمعون الصفا؟) قال: وما يدريك يا أمير المؤمنين! قال: (إن عندنا علم جميع الأشياء، وعلم جميع تفسير المعاني)، فأخرج الكتاب وأمير المؤمنين واقف فقال عليه السلام: (أمسك الكتاب معك)، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم قضى فيما قضى واطر فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة

ويدلهم على سبيل الله لا فظ ولا غليظ، وذكر من صفاته واختلاف أمته بعده إلى أن قال: ثم يظهر رجل من أمته بشاطئ الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق، وذكر من سيرته ثم قال: ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن نصرته عبادة والقتل معه شهادة، فقال أمير المؤمنين: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً الحمد لله الذي ذكر عبده في كتب الأبرار فقتل الرجل في صفين.

أما أبي الفضل الشيباني وأعلام النبوة عن الماوردي والفتوح عن الأعمش في خبر طويل أن أمير المؤمنين عليه السلام لما نزل بليخ من جانب الفرات نزل إليه شمعون بن يوحنا وقرأ عليه كتاباً من إملاء المسيح عليه السلام وذكر بعثة النبي صلى الله عليه وآله وصفته ثم قال: فإذا توفاه الله اختلفت أمته، ثم اجتمعت لذلك ما شاء الله، ثم اختلفت على عهد ثالثهم فقتل قتلاً ثم يصير أمرهم إلى وصي نبيهم فيبغوا عليه، وتسلب السيوف من أغمادها، وذكر من سيرته وزهده، ثم قال: فإن طاعته لله طاعة ثم قال: ولقد عرفتكم ونزلت إليكم، فسجد أمير المؤمنين وسمع منه يقول: (شكراً للمنعم شكراً) - عشرأ، ثم قال: (الحمد لله الذي لم يخمل ذكري ولم يجعلني عنده منسياً)، فأصيب الراهب ليلة التحرير.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لولا أنني أشفق أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملاً من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

وقال ﷺ : «يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا» .

يا علي أنت أخي وأنا أخوك وأنا المصطفى للنبوّة وأنت
المجتبى للإمامة . وأنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل ، وأنا
وأنت أبوا هذه الأمة .

يا علي أنت أخي وخليفتي ووزيرى ووارثي ، وأبو ولدي
شيعتك شيعتي وأنصارك أنصاري وأولياؤك أوليائي وأعداؤك أعدائي .

يا علي أنت صاحبي على الحوض غداً ، وأنت صاحبي في
المقام المحمود وأنت صاحب لوائي في الدنيا ، لقد سعد من تولاك
وشقي من عاداك وأن الملائكة لتتقرب إلى الله تقدس ذكره بمحبتك
وولائك .

والله إن أهل مودتك في السماء لأكثر منهم في الأرض أنت
أمين أمتي وحجة الله عليها بعدي قولك قولى وأمرك أمرى وطاعتك
طاعتي وزجرك زجري ونهيك نهىي ومعصيتك معصيتي وحزبك
حزبي وحزبي حزب الله ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُغْلِبُونَ﴾ .

اقوال في علي

وقال المتنبى :

أبا حسن لو كان حبك مدخلي جهنم كان الفوز عندي جحيما
وكيف يخاف النار من بات موقناً بأن أمير المؤمنين قسيما

وقيل إن أبا الطيب المتنبي عوتب في تركه المدح للأئمة
الطاهرين عليهم السلام ولا سيما مولانا علي أمير المؤمنين عليه السلام فقال في
جواب لهم:

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان وصفاً مستطيلاً كاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً
وقال الإمام الشافعي:

أهل النهى عجزوا عن وصف حيدة والعارفون بمعنى كنهه تاهوا
إن قلت ذا بشرٌ فالعقل يمنعني وأختشي الله في قولي هو الله
يقول المجتهد الأكبر السيد محسن الأمين رضوان الله عليه في
مطلع قصيدته:

صفات علي لا يحيط بها الحصر وفي عدها تفنى الدفاتر والحرير
فمن أراد الكلام أو الكتابة وأراد أن يفِي الإمام حقه قد يغالي
وإن بخسه حقه أساء وقصر.

وأنا على يقين أن الإحاطة بجميع مزايا علي عليه السلام خارجة عن
نطاق البشر وقدرة البيان.

علي عليه السلام تستطيع أن تحبه كما فعل أكثر الناس، وتستطيع أن
تسبه كما فعل بعض الناس، لكنك في الحالتين عاجز عن تفسير
السبب بدقة وهنا يكمن سر علي عليه السلام العصي على الاختراق.

يقول آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله:

هناك من إذا ذكرته شعرت أن اسمه يتجاوز الزمن ويخلق في الآفاق الواسعة التي تطل بك على المطلق، ويطوف بك في كل موقع من مواقع الحياة.

وعندما تدخل عقله فإنك ترى العقل الذي كله شروق إذا أمسك المجرد أعطاه حركيته وأنزله في الواقع.

ذلك هو علي عليه السلام الذي إذا حاصره التاريخ لبحث عن بعض الحواجز التي كانت تنتصب أمامه، وعن الدوائر التي أريد له أن يحاط بها، وعن الآفاق الصغيرة التي حشر اسمه فيها. وعن العصبية التي أريد له أن يكتب في عنوانها. . . . فإنك لن ترى علياً في كل ذلك.

كان كل شيء في شخصيته عليه السلام في خدمة الله، وهكذا كان سيفه وبطولته وشجاعته، لا في خدمة الذات وإنما في خدمة الله.

كان عليه السلام يشعر أنه لا يملك شجاعته ولا يملك بطولته ولا يملك سيفه، بل كان يشعر أنها ملك لله.

لهذا كان لا يحرك سلاحه إلا في المواقع التي يريد الله منه أن يحرك سلاحه فيها، ولا يسمح لنفسه أن يدخل في أي معركة يمكن أن لا تكون في رضا الله، أو يمكن أن تسيء إلى الإسلام.

لهذا كان يقول «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين» وقال «خشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون المصيبة بهما عليّ أعظم من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع

أيام قلائل . ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما ينقطع السحاب» .

وعندما انطلق الإمام عليه السلام في حياته كان يستصغر كل من حوله أمام الله ولهذا لا يخاف من أحد لأن خوف الله قد شغله ولأن شعوره بعظمة الله جعلته ينشغل عن النظر في عظمة الآخرين ولهذا كان علي البطل الذي لا يخاف . كان الكرار غير الفرار . قالها رسول الله ﷺ وهو يفتح للمسلمين سر شخصية الإمام علي عليه السلام ويقول «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» .

مما قاله العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله :

ولا يحسبن أحد أن الحضور الكبير ، يلغيه موت ، أو يغيب عن الأنظار بغمض ، أو يتعثر بعصاً من عصي إعاقة ، بل ربما كان العكس ، هو الأصح ، فإن هؤلاء كلما أبعد بهم التراب وأوغل .. كلما أطرتهم القلوب ، وسمرتهم الأهداب! ..

إن أعظم صانعي التاريخ هم الذين ترتبط أحداثه ومجاريه بهم ، حتى ولو لم يكونوا في حياتهم بموقع سلطة ، بل ربما ، من سجن ، خلعوا من كان على عرش! ..

وكما أن صنع التاريخ له أفراد ، فبعث التاريخ له ناسه المتخصصون باكتشاف ذلك الدائم العالي من معاني أولئك الكبار . . .

وهنا تبدو حياة الإمام عليه السلام ، في استمراريته النسبية ، تعبيراً عن الدائم الثابت ، والمطلق الخارق في التاريخ .

مما قاله الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه لـ «نهج البلاغة» وبعد: «فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب «نهج البلاغة» مصادفة بلا تعمد . أصبته على تغير الحال وتبلبل بال ، فحسبته تسلية . فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملة من عباراته ، من مواضع مختلفات وموضوعات متفرقات . فكان يخيل في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شنت ، وأن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وأن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» .

مما قاله جورج جرداق: «فقد تهيأت لعلي جميع الوسائل التي تعده لهذا المكان بين أهل البلاغة . فقد نشأ في المحيط الذي تسلم فيه الفطرة وتصفو ، ثم إنه عايش أحكم الناس محمد بن عبد الله . وتلقى من النبي رسالته بكل ما فيها من حرارة وقوة . أضف إلى ذلك استعداداته الهائلة ومواهبه العظيمة ، فإذا بأسباب التفوق تجتمع لديه من الفطرة ومن البيئة! .

ففي خطبه المرتجلة معجزات من الأفكار المضبوطة بضابط العقل الحكيم والمنطق القويم . وإنك لتدهش ، أمام هذا المقدار من الأحكام والضبط العظيمين ، حين تعلم أن علياً لم يكن ليعد خطبه ولو قبيل إلقائها بدقائق أو لحظات . فهي جائشة بقلبه منطلقة على لسانه عفو الخاطر لا عنت ولا إجهاد ، كالبرق إذ يلعب ولا خبر يأخذه

أو يعطيه قبل وميضه . وكالصاعقة إذ تزمجر لا تهتئ نفسها لصعق وزمجرة . وكالريح إذ تهب فتلوي وتميل وتكسح وتنصب على غاية ثم إلى مداورها تعود ولا ما يدافعها إلى أن تروح وتجيء إلا قانون الحادثة ومنطق المناسبة في حدودها القائمة ، لا قبل ولا بعد! .»

مما قاله ابن أبي الحديد: «إن سطرأ واحداً من نهج البلاغة يساوي ألف سطر من كلام ابن نباتة وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنه أوحده عصره في فنه» .

مما قاله الشيخ ناصيف البازجي: «إذا أردت أن تتفوق أقرانك في العلم والأدب وصناعة الإنشاء فعليك بحفظ القرآن ونهج البلاغة» .

مما قاله الدكتور زكي مبارك: «واني لأعتقد أن النظر في كتاب نهج البلاغة يورث الرجولة والشهامة وعظمة النفس ، لأنه من روح قهار واجه المصاعب بعزائم الأسود» .

مما قاله عباس محمود العقاد: «في كتاب نهج البلاغة فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية، تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد، وأصول التأليه وحكم التوحيد» .

مما قاله أبو عبيدة: «ارتجل علي بن أبي طالب عليه السلام تسع كلمات قطعت أطماع البلغاء عن واحدة منها:

ثلاث: في المناجاة، وثلاث: في العلم، وثلاث: في الأدب .

أما في المناجاة: فقله عليه السلام كفاني عزاً أن تكون لي رباً .

كفاني فخراً أن أكون لك عبداً.

أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب!!.

وأما العلم: فقلوه عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه. ما ضاع
امرؤ عرف قدره. تكلموا تعرفوا.

وأما في الأدب: فقلوه عليه السلام أنعم على ما شئت تكن أميره،
واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

فمن أين لي معرفة من لا يعرفه إلا الله ورسوله،

القول في علي عليه السلام كالقول في الشعر

الدافع إلى الكتابة أولاً ثم اللاوعي ثانياً

لأنه مجرد التفكير أنك تكتب في علي عليه السلام يخاف الحرف
وترتجف الكلمة

وتضيق الجملة مهما عظمت أمام جمل وكلام وأحرف أمير
المؤمنين عليه السلام

ولكن لا بد من التعبير عما يعتريني ويلهب إحساسي ويحرق
قلبي

ظلم الناس كل الناس الذين هربوا من العز إلى الذل ومن الجنة
إلى النار

ومن الحق إلى الباطل ومن الغنى إلى الفقر ومن الطيب إلى
التناة

واهذا أمام كلام الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفُورٌ
كَفَّارٌ﴾.

و﴿قَدْ آتَيْنَا مَا أَكْفَرُوا﴾ واختصر الحالة التي أنا فيها بالاستعانة بما
قاله الشاعر:

نجيب جمال الدين تأكيداً لاعتذاري المسبق على تقصيري
المؤكد.

إن أغامر بكتابي، عن علي	فكتابي كاب عبر الشمل...
ولو أن الخمر، لم تذهب به	كل عقل، ينتهي في المدخل
هو لا يقوى عليه كوكب	وأنا في الوحل يلوي جملي
وعلي! يا إلهي! وأنا	بدوي، من بقايا الرحل
وقضيت العمر في درب الولي	وكلامي فيه، أحلى غزلي
وقد أتاقى، في أمور تتقى	وبه يا ليت يأتي... أجلي
لن أداري فيك أهل العزل	من شديد الحقد، للمعتدل
فرس الجور التي قد أسرجوا	أوصلت أجيالنا للشلل
ألف مليون غدونا عدداً	ودخلنا في ألوف النحل
لن أداريهم، فما قد حققوا	من نجاح كان عين الفشل
فأنا من أمة موبوءة	لم تفرق ناقة عن جمل
فعلى الله اتكالي، دائماً	وسواه، لم يكن متكلي

وقال العلامة الشيخ ابن ميثم البحراني (رحمه الله) في كيفية علم
أمير المؤمنين بعض المغيبيات:

لا يقال: لا نسلم أن ذلك علم ألهمه الله إياه، وأفاضه عليه، بل الرسول ﷺ أخبره بوقائع جزئية من ذلك، وحينئذ لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى، فإن الواحد منا لو أخبره الرسول ﷺ بشيء من ذلك لكان له أن يحكي ما قال الرسول وإن وقع المخبر به على وفق قوله، ويدل على ذلك قوله بعد وصف الأتراك وقد قال له بعض أصحابه في ذلك المقام: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبياً: «يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ من ذكر وأنثى، وقبيح وجميل وشقي وسعيد، ومن يكون للنار حظباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه ﷺ فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضم عليه جوانحي.

وهذا تصريح بأنه تعلم من رسول الله ﷺ لأننا نقول: إننا لم ندع أنه ﷺ يعلم الغيب، بل المدعى أنه كان لنفسه القدسية استعداد أن تنتقش بالأمور الغيبية عن إفاضة جود الله تعالى، وفرق بين الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين ما ادعيناه، فإن المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيد ذلك إنما يصدق في حق الله تعالى إذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده إما بواسطة أو بغير واسطة فلا يكون علم غيب وإن كان اطلاعاً على أمر غيبي لا يتأهل للاطلاع عليه كل الناس، بل يختص بنفوس خست

بعناية إلهية كما قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(١) إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ ﴿فَإِذَا عرفت ذلك ظهر أن كلامه عليه السلام صادق مطابق لما أردناه فإنه نفى أن يكون ما قاله على غيب لأنه مستفاد من جود الله تعالى، وقوله: «ولأنما هو تعلم من ذي علم» إشارة إلى واسطة تعليم الرسول له وهو إعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه، وإشارة إلى كيفية السلوك وأسباب التطوع والرياضة حتى استعداد للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها، وليس التعليم هو إيجاد العلم - وإن كان أمراً قد يلزم إيجاد العلم - فتبين إذن أن تعليم رسول الله ﷺ لم يكن مجرد توفيقه على الصور الجزئية بل إعداد نفسه بالقوانين الكلية، ولو كانت الأمور التي تلقاها عن الرسول ﷺ صوراً جزئية لم يحتج إلى مثل دعائه في فهمه لها فإن فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حق من له أدنى فهم، وأن ما يحتاج إلى الدعاء، وإعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الأمور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها وأسباب تلك الأمور المعدة لإدراكها، ومما يؤيد ذلك قوله عليه السلام: «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب»، وقول الرسول: «أعطيت جوامع الكلم وأعطي علي جوامع العلم»؛ والمراد بالانفتاح ليس إلا التفرغ وانشعاب القوانين الكلية عما هو أهم منها، وبجوامع العلم ليس إلا ضوابطه وقوانينه، وفي قوله: (وأعطي) بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي ﷺ بل الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطى النبي ﷺ جوامع الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى.

أما الأمور التي عددها الله سبحانه فهي من الأمور الغيبية، وقوله لا يعلمها أحد إلا الله كقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهو محتمل للتخصيص لما هو في قوله ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ ﴿وهذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه إلى كلفة.

بدء ظهور المغالاة

وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله عن عمار الثقفي، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه وعن غيره من مشيخته أن علياً قال: «يهلك في رجلان: محب مطر يضعني غير موضعي ويمدخني بما ليس في، ومبغض مفتر يرميني بما أنا منه بريء». وقال أبو العباس: «وهذا تأويل الحديث المروي عن النبي ﷺ وهو قوله: «إن فيك مثلاً من عيسى ابن مريم، أحبه النصارى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه».

قال أبو العباس: وقد كان علي عشر على قوم خرجوا من محبته، باستحواذ الشيطان إلى أن كفروا بربهم، وجحدوا ما جاء به نبيهم واتخذوه رباً وإلهاً وقالوا: أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم، فأبوا، فحرقهم بالنار وقال:

ألا ترون قد حفرت حفراً إنني إذا رأيت أمراً منكراً

وقدت ناري ودعوت قنبراً

وروى أصحابنا في كتب المقالات أنه لما حرقهم صاحوا إليه :
الآن ظهر لنا ظهوراً بيناً أنك أنت الإله ، لأن ابن عمك الذي أرسلته
قال : « لا يعذب بالنار إلا رب النار » .

وروى أبو العباس عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي
عن علي بن محمد النوفلي ، عن أبيه ومشيخته أن علياً مر بهم وهم
يأكلون في شهر رمضان نهاراً فقال : أسفر أم مرض ؟ قالوا : ولا
واحدة منهما ، قال : أفمن أهل الكتاب أنتم ؟ قالوا : لا ، قال : فما بال
الأكل في شهر رمضان نهاراً ! قالوا : أنت أنت ! لم يزيدوه على ذلك ،
ففهم مرادهم ، فنزل عن فرسه فألصق خده بالتراب ثم قال : ويلكم !
إنما أنا عبد من عبيد الله ؛ فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام ؛ فأبوا ،
فدعاهم مراراً ، فأقاموا على أمرهم ، فنهض عنهم ثم قال : شدوهم
وثاقاً ، وعلي بالفعلة والنار والحطب ، ثم أمر بحفر بثرين فحفرتا ،
فجعل إحدهما سرباً ، والأخرى مكشوفة ؛ وألقى الحطب في
المكشوفة ، وفتح بينهما فتحاً وألقى النار في الحطب ، فدخل عليهم ،
وجعل يهتف بهم ويناشدهم : ارجعوا إلى الإسلام ، فأبوا ، فأمر
بالحطب والنار ، وألقى عليهم ، فاحترقوا فقال الشاعر :

لترم بيمنية حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما حشتا حطباً بنار فذاك الموت نقداً غير دين
قال : فلم يبرح واقفاً عليهم حتى صاروا حمماً .

قال أبو العباس : ثم إن جماعة من أصحاب علي ، منهم
عبد الله بن عباس ، شفعوا في عبد الله بن سبأ خاصة ، وقالوا : يا

أمير المؤمنين، إنه قد تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة، فقال: أين أذهب؟ قال: المدائن، فنفاه إلى المدائن، فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه، وقال لما بلغه قتل علي: والله لو جئتمونا بدماعه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. فلما بلغ ابن عباس ذلك، قال: لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات: واجتمع إلى عبد الله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول، منهم عبد الله بن صبرة الهمداني وعبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وآخرون غيرهما وتفاقم أمرهم. وشاع بين الناس قولهم وصار لهم دعوة يدعون إليها وشبهة يرجعون إليها، وهي ما ظهر وشاع بين الناس، من إخباره بالمغيبات حالاً بعد حال، فقالوا: إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله تعالى، أو من حلت ذات الإله في جسده، ولعمري إنه لا يقدر على ذلك إلا بإقدار الله تعالى إياه عليه، ولكن لا يلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هو الإله، أو تكون ذات الإله حالة فيه، وتعلق بعضهم بشبهة ضعيفة، نحو قول عمر وقد فقأ علي عين إنسان ألحد في الحرم: ما أقول في يد الله، فقأت عيناً في حرم الله! ونحو قول علي: والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانية بل قوة إلهية، ونحو قول رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» والذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم

وفارسهم عمراً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هارين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم.

الكلام عن الغيب هي المعجزة التي يلهمها الله إلى رسوله لاستقطاب الناس حوله ولتخويف الفئة المعاندة وقهرها كما حصل مع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. وقد يعرف الغيب بعض الصالحين والأنبياء ونسبي هذا الغيب كرامة من الله خص بها بعض عباده، أما بالنسبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام فهي كما قال عنها: «علم علمنيه رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يعلمه من القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه ﴿يَنبِئُكَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ و﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾». وبعد أن قتلوا الخوارج قيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال: «كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين».

ثم قال: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل، فأدركه». يريد بذلك أن الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم وكانوا يطلبون الحق، ولهم في الجملة تمسك بالدين. أما معاوية فلم يكن يطلب الحق وإنما كان ذا باطل ويجب أن يُنصر الخارجون عليه وإن كانوا ضالين في عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم، لأنهم أعدل منه، وأقرب إلى الحق فإنهم كانوا ينهون عن المنكر، ويرون الخروج على أئمة الجور واجباً.

أبا حسن لا أبقاني الله لشدة لست لها

عن ابن عباس قال: وردت على عمر بن الخطاب واردة قام منها وقعد وتغير وتريد وجمع لها أصحاب النبي ﷺ فعرضها عليهم وقال: أشيروا علي. فقالوا جميعاً: يا أمير المؤمنين أنت المفزع وأنت المنزع. فغضب عمر وقال: اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما عندنا مما تسأل عنه شيء. فقال: أما والله إنني لأعرف أين جدتها وأين مفرعها وأين منزعها، فقالوا: كأنك تعني ابن أبي طالب؟ فقال عمر: الله هو، وهل طفحت حرة بمثله وأبرعته؟ انهضوا بنا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أتصير إليه؟ يأتيك. فقال: هيهات هناك شجنة من بني هاشم، وشجنة من الرسول، وأثره من علم يؤتى لها ولا يأتي، في بيته يؤتى الحكم، فاعطفوا نحوه، فآلقوه في حائط وهو يقرأ: أياحسب الإنسان أن يترك سدى. ويردها ويبيكي. فقال عمر لشريح: حدث أبا حسن بالذي حدثتنا به. فقال شريح: كنت في مجلس الحكم فأتى هذا الرجل فذكر أن رجلاً أودعه امرأتين حرة مهيرة وأم ولد فقال: أنفق عليهما حتى أقدم. فلما كان في هذه الليلة وضعنا جميعاً إحداهما ابناً والأخرى بنتاً وكلتاها تدعي الابن وتتوفي من البنت من أجل الميراث. فقال له: بم قضيت بينهما؟ فقال شريح: لو كان عندي ما أقضي به بينهما لم أتكم بهما، فأخذ علي تبنة من الأرض فرفعها فقال: إن القضاء في هذا أيسر من هذه ثم دعا بقدر فقال لإحدى المرأتين: احلبي، فحلبت فوزنه ثم قال للأخرى: احلبي فحلبت فوزنه فوجده على النصف من لبن الأولى فقال لها: خذي أنت

ابنتك، وقال للأخرى: خذي أنت ابنك، ثم قال يا شريح: أما علمت أنّ لبن الجارية على النصف من لبن الغلام؟ وأن ميراثها نصف ميراثه؟ وأن عقلها نصف عقله؟ وأن شهادتها نصف شهادته؟ وأن ديتها نصف ديته؟ وهي على النصف في كل شيء فأعجب به عمر إعجاباً شديداً ثم قال: أبا حسن لا أبقاني الله لشدة لست لها ولا في بلد لست فيه .

علي عليه السلام يعرفنا على الخالق سبحانه وتعالى

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته في نهج البلاغة:

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون . ولا يُحصى نعماءه العادون . ولا يفي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن . الذي ليس لصفته حدّ محدود ولا نعتٌ موجود . ولا وقتٌ معدود ولا أجل ممدود . فطر الخلائق بقدرته . ونشر الرياح برحمته . ووتد بالصخور ميدان أرضه .

أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به . وكمال التصديق به توحيده . وكمال توحيده الإخلاص له . وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه . ومن قرنه فقد ثناه . ومن ثناه فقد جزّاه . ومن جزّاه فقد جهله . ومن جهله فقد أشار إليه . ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه . ومن قال فيم فقد ضمنه . ومن قال علام فقد أخلّى منه . كائنٌ لا عن حدثٍ . موجودٌ لا عن عدمٍ . مع كل شيء لا بمقارنة . وغير كل شيء لا بمزايلة . فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة . بصيرٌ إذ لا منظور إليه من خلقه . متوحدٌ إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده .

أنشأ الخلق إنشاءً. وابتدأه ابتداءً. بلا رؤية أجالها. ولا تجربة استفادها. ولا حركة أحدثها. ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها. ولاءم بين مختلفاتها. وعرّز غرائزها وألزمها أشباحها عالمًا بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها. عارفاً بقرائنها وأحنائها.

يعلمنا علي عليه السلام كيف نتعرف على الله وكيف نفكر فيه ومتى يجب أن نكف عن تفكيرنا هذا.

فعندما نفرّ بوجود الخالق ليكن إقرارنا عن إيمان و يقين بعيداً كل البعد عن الوسوسة. فالله منه يتبدى كل شيء وإليه تنتهي جميع الأشياء أزلي لا أول له، أحد فرد. صمد لا آخر له يتبدى الخلق ثم يعيده ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ما وحده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبيهه، ولا صمده من أشار إليه وتوقمه. كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول.

فاعل لا باضطراب آلة، مقدر لا بجول فكرة، غني لا باستفادة. لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزاله.

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضاداته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له.

ضادّ النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل،

والحرور بالصرد. مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها. . مفرق بين متدانياتها. لا يشمل بحدّ، ولا يحسب بحدّ، وإنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها. منعته منذ القدم، وحمتها قد الأزلية. وجئتها لولا التكملة. بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون. لا يجري عليه السكون والحركة. وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه. إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام. ولا تلمس التمام إذ لزمه النقصان. وإذاً لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه؛ وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره الذي لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول. لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً. جلّ عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء. لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسّه. ولا يتغيّر بحال، ولا يتبدّل بالأحوال، ولا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام.

ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيريّة والأبعاض، ولا يقال: له حدّ ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه أو تهويه، أو أنّ شيئاً يحمله فيميله أو يعدّله. ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج.

يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضر.

يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويبغض من غير مشقة، يقول لمن أراد كونه: «كن فيكون».

لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه ومثله، لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

لا يقال كان بعد أن لم يكن، فتجري عليه الصفات المُحدثات ولا يكون بينها وبينه فصلٌ، ولا له عليها فضلٌ، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع.

فالقرآن الكريم هو الرسالة الإلهية التي حملها رسول الله محمد ﷺ ومن بعده حملها خليفته علي عليه السلام وأقسم بالله أن ما من آية نزلت في ليل أو نهار إلا وعلمها بمن كانت وكيف كانت.

ثم إنه كتبها وفصلها في كتابه مصحف فاطمة وكانت الإرث العلمي للأئمة المعصومين وما من علم قاله إمام معصوم إلا عن مصحف فاطمة ولا زال وسيبقى القرآن الكريم المعجزة تلو المعجزة حتى قيام الساعة وها نحن اليوم أمام التطور العلمي نرى آيات الإعجاز في القرآن الكريم كيف يستند إليها العلماء في تقدمهم العلمي بغزو الفضاء ومعرفة ما لم يكن معروفاً منه في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعد تنزله، ولا يمكن لعامل أن يتصور مصدراً لهذا الحق غير الله الخالق سبحانه وتعالى.

وما أحوج المسلمين إلى إثبات ذلك لكل ذي بصيرة في زمن
الفتن التي يعيشها عالم اليوم، والذي يهاجم فيه الإسلام والمسلمون
من كل جاهل به وبهم، أو حاقد عليه وعليهم، لأن المسلمين قصرُوا
منذ البداية عن الاعتراف بأصحاب الأفضلية لفهم القرآن ووقفوا ولا
يزالون يتعصبون للأعراب الأشد كفراً ونفاقاً.

وإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون
قبل أن يصل إليها علم الإنسان بقرون، ولم يكن ممكناً للناس في هذا
الوقت أن يعرفوها لأسباب كثيرة، ثم جاء العلم بعد مجاهدة من
العلماء بعد عدد من القرون المتطاولة ليؤكد حجة ما جاء بالنص
القرآني فإن ذلك يشهد للنص القرآني بالإعجاز العلمي ولمن يريد أن
يتعرف على عظمة الخالق فليقرأ للدكتور زغلول النجار كتاب السماء
من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

لم يلد ولم يولد.....

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر. نحمده
على عظيم إحسانه ونير برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون
لحقه قضاء ولشكره أداء، وإلى ثوابه مقرباً ولحسن مزيده موجباً.
ونستعين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له
بالطول، مدعن له بالعمل والقول. ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً؛
وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مدعناً، وأخلص له موحدناً، وعظمه
ممجدناً، ولاذ به راغباً مجتهداً. لم يولد سبحانه فيكون في العز

مشاركاً. ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً. ولم يتقدمه وقت ولا زمان. ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أَرَانَا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم. فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمدٍ، قائمات بلا سند. دعاهن فأجبن طائعاتٍ مذعناتٍ، غير متلكثات ولا مبطناتٍ ولولا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن بالطوعية لما جعلهن موضعاً لعرشه، ولا مسكناً لملائكته، لا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه. جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار. لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سحجف الليل المظلم. ولا استطاعت جلايبب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السموات من تلالؤ نور القمر. فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع السفع المتجاورات. وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها، ومسحب الذرة ومجرها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأثنى في بطنها.

ذكر الله سبحانه

إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة. وما برح الله - عزت آلاؤه - في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عبأذ ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في

الأسماع والأبصار والأفئدة. يذكرون بأيام الله، ويخوفون مقامه بمنزلة الأدلة في الفلوات. من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه وبشروه بالنجاة. ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا إليه الطريق، وحذروه من الهلكة، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات. وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين. ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، فكانما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك، فكانما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عداتها. فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون.

خطبة تامل

ومن خطبة له ﷺ :

الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل، وكل قوي غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكل عالم غيره متعلم، وكل قادر غيره يقدر ويعجز، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها، وكل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام، وكل ظاهر غيره غير باطن، وكل باطن غيره غير ظاهر.

لم يخلق الله خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوف من عواقب زمان، ولا استعانة على نذ ماثور، ولا شريك مكاثر، ولا ضد منافر، ولكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون، لم يحلل في الأشياء فيقال: «هو فيها كائن، ولم ينأ عنها» فيقال: «هو منها بائن».

لم يؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما ذرأ، ولا وقف به عجز عما خلق، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاء متقن، وعلم محكم، وأمر مبرم، المأمول مع التقم، المرهوب مع التعم.

ومن خطبة له حول خلق الكون:

خلق الكون وأوجده على غير مثال سابق وبنظام محكم ودقيق لا وجود للصدفة فيه، يعلم كل شيء على حقيقته متى يوجد وأين يوجد وكيف وجد وما يحدث له ومتى ينتهي لأنه هو الذي أبدعه وقدره تقديراً وقضى فيه حكمه.

ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائنك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخاره. حمله على متن الريح العاصفة. والززعزع القاصفة. فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها. وأعصف مجراها، وأبعد منشأها. فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفاً بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى ماثره. حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في

هواء منفتح، وجو منفهق، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً. بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها. ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواب وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمرأ منيراً، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقم مائر.

يقول العالم الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه في ظلال نهج البلاغة المجلد الأول صفحة ٣١ وما بعدها:

تكلم الناس كثيراً عن طبيعة الكون وأصله، وعن هيئته وشكله في أول وجوده وتكوينه: هل وجد من التراب والماء والنار والهواء، أو من النار وحدها، أو من الماء فقط، أو من أشياء كثيرة؟ وهل كان وجوده دفعة أو بالتدرج إلى غير ذلك... وقال الناس عن الكون ما شاء لهم من الوهم الخيال... وهذا ما دعا الإمام عليه السلام - كما نظن - أن يشير في خطبته إلى أصل الكون، وقد يكون الغرض أن تعرف الأجيال القادمة أن الغيب الذي نطق به علي عن النبي ﷺ عن الله سبحانه هو حق وصدق.

ومهما يكن فقبل أن نفسر المراد من قوله عليه السلام نمهد بما يلي، لا بقصد التسهيل والتيسير على فهم ما قصد، وأراد عليه السلام بل غرضنا الأول أن يتثبت الشاكون ولا يتسرعوا إلى الحكم بأن قول الإمام لا يتفق مع رأي علماء الطبيعة الجدد، ولا يعتمد على شيء، وأن يعلم الجميع أن من قال هذا فقوله هو الجدير بهذا الوصف... والدليل:

١ - إن علماء الطبيعة لم يتوصلوا إلى الاتفاق على تفسير علمي لمبدأ الكون، ولا كيف وجد؟؟ وكم مضى له من العمر... فممنهم من قال: بدأ الكون بانفجار من كتلة المادة البدائية، ولكنه لم يبين نوع هذه الكتلة البدائية. وقال آخر: بدأ الكون من السديم، أي الضباب الرقيق. وقال ثالث: بدأ من غاز الهيدروجين... ولكن من أين جاء هذا الغاز، أو تلك المادة البدائية، أو ذلك السديم؟ هل وجد صدفة، أو وجد لنفسه بنفسه، أو هو من قوة عليا... أبدأ لا جواب، أو جواب بلا دليل... وفوق ذلك أن الكلام في بدء الكون حيث لا شيء إلا العدم لا في وجود شيء نحاول معرفته والعلم به، وإذن فتنبؤ هؤلاء أو تخرصهم بعيد عن موضوع الكلام والسؤال كل البعد، وكان عليهم أن يبحثوا أولاً وقبل كل شيء: هل العالم حديث أو قديم؟... وقد أثبت كثير من العلماء الجدد أنه حادث.

وقال رابع من علماء الطبيعة: «كل ما لدينا من معلومات لا تصحح نظرية واحدة عن الكون». وهذا العالم هو الدكتور (ماري) الأستاذ في جامعة سيدني، ويهتم اهتماماً بالغاً بالكون وأصله.

وأيضاً اختلفوا في الكون: هل وجد بخطوطه الكبرى على الحال التي هو عليها الآن، أو تغير عما كان عليه؟... واختلفوا أيضاً في عمر الكون، فمن قائل: هو ستون ألف مليون سنة، وقائل: بل عشرة آلاف مليون سنة، وقال ثالث: لا دليل على العمر إطلاقاً. وقال الدكتور فؤاد صروف نائب رئيس الجامعة الأميركية ببيروت:

«والنقاش العلمي - أي في أصل الكون وعمره - قائم على قدم وساق».

وبعد هذا، هل يسوغ لقائل أن يقول: إن كلام الإمام عليه السلام عن خلق الكون لا يتفق مع رأي علماء الطبيعة؟... أجل، له أن يسأل ويقول: ولكن ما هو الدليل على أن الماء أصل الكون كما جاء في خطاب الإمام عليه السلام؟...

ونحن أيضاً نسأل بدورنا: هل من دليل قاطع من الحس أو العقل على خلاف ما قاله الإمام عليه السلام؟... وهل من المستحيل أن يتقدم العلم، ويكشف بعد أجيال وقرون أن ما قاله علي عليه السلام في خلق الكون هو الحق الذي لا ريب فيه، تماماً كما اكتشف النقطة الواحدة من الماء الذي نشربه فيها عجائب وغرائب من المخلوقات والكائنات الحية التي أشار إليها الإمام عليه السلام بقوله - قبل ألف عام أو أكثر - : «لا تبل في الماء فإن للماء أهلاً». ومثله قول أستاذه الصادق الأمين عليه السلام : «إن الهواء فيه خلق كثير». وقبل الميلاد بخمسة قرون قال الفيلسوف اليوناني «أنكساجوراس»: إن القمر مجرد جسم يشبه الأرض. وفي القرن الثالث قبل الميلاد أيضاً قال «أرستراكوس» اليوناني: إن الأرض تدور حول محورها وحول الشمس. وفي القرن الأول الميلادي قال «بلوتارك»: في القمر أودية وتلال... وسخر الناس آنذاك من هذه الأقوال، وعدّوها سخفاً وهراء... وبعد ألفي سنة صعد الإنسان إلى القمر، ووطأه بقدميه، ورآه تماماً كالأرض... هذا، وانكساجوراس وغيره من الذين صدقوا في

نبؤاتهم - لم يأخذوا العلم من خالق الأرض والماء كالأنبياء وتلاميذهم الأولياء... وما يدرينا أن الأيام سوف تثبت قول الإمام عليه السلام في تفسير الكون، كما أثبت أن القمر مثل الأرض؟ وما أكثر الشواهد في هذا الباب...

٢ - هل من دليل قاطع على أن هذا الكون الذي نعيش فيه الآن هو بالذات الكون الأول بجميع خطوطه وتفصيله؟.. إن كلام الإمام عليه السلام واضح وصريح في مبدأ الكون الأول الذي سبق الأكوان كلها، وما سبقه إلا العدم والخواء، وقد مضى الأول إلى غير رجعة، وجاء بعده أكوان وأكوان... هكذا نطقت الروايات عن أهل البيت عليه السلام. ومنها قول الإمام الباقر حفيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: والله لقد خلق الله ألف عالم، وألف آدم قبل هذا العالم، وما فيه من الآدميين... وقال أيضاً سيفني هذا العالم، ويخلق الله عالماً آخر يعيش فيه عوالم آخرون.

وعلى هذا اليقين عندنا، والاحتمال - على الأقل عند غيرنا - لو اتفق أهل الأرض جميعاً على أن تفسير الإمام عليه السلام لخلق الكون لا ينطبق على هذا الذي نعيش فيه، لو وجد هذا الاتفاق يبقى قول الإمام على حصانته وقداسته، لأنه عن العالم الأول، وليس عن عالمنا هذا اللاحق بما فات، ما في ذلك ريب، ولكن من أين أخذ العلم به، قد ذهب هذا العالم بما فيه، وجاءت بعده عوالم وعوالم... وهل هذا إلا قول بالغيب؟ وقد أجاب الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله: «ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم».

يريد عليه السلام أن مصدر علمه هو رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله سبحانه الذي لا خالق إلا هو... ومن أجل هذا تكلم الإمام عليه السلام بثقة ويقين، لا بحدس وتخمين... كيف؟ وهو القائل: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإن الله فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة». وكل الناس يعلمون أن علماً تنسجم أقواله مع أفعاله، وأفعاله مع دينه وضميره..

سؤال ثانٍ: إن هذا الجواب لا يستمع إليه إلا من آمن بالغيب، وبصورة أخص بنبوّة محمد ﷺ أما من جحد وأعرض فإنه يهزأ ويسخر.

الجواب: نحن نؤمن بالغيب، وبعصمة الأنبياء والأئمة والأطهار، نؤمن بذلك للدلالة القاطعة، بل والضرورة الواضحة، وقد أعلننا على الملأ فيما سبق من الأجيال وفي هذا الجيل ليطلع عليها من أحب.. وليس من شرط العمل بالدليل أن يثبت عند كل الناس وإلا ما اختلف اثنان، بل يكفي لصحة العمل به أن يثبت عند من يركن إليه. ومن أجل هذا لا نفرض نحن أدلتنا على جاحد أو مشكك، وكل ما نطلب من هذا وذاك أن يعاملنا بالمثل، ولا يفرض علينا رأيه، وأن يراجع التفكير قبل الجزم، ويتروى قبل الحكم بأن هذه النظرية أو تلك - مثلاً - هي ضد الحق والواقع مع العلم بأنها قيد البحث والدرس عن العلماء، وأنهم في حيرة من أمرها... وهذا هو شأنهم في الكثير من النظريات والأفكار، ومنها نظرية الخلق. بل إن صاحب أعظم عقلية علمية في هذا العصر وهو أينشتاين قال: «إن العقل

البشري مهما بلغ من العظمة فهو عاجز عن الإحاطة بالكون». ونحن نؤمن بهذا، وبأنه لا أحد يحيط بالكون وأصله إلا خالق الكون، أو من ارتضى من عباده: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَّسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦ - ٢٧].

إذا كان أينشتاين نفسه عاجزاً عن معرفة الكون الذي عاش فيه باعترافه، فكيف يسوغ الحكم على قول الإمام عليه السلام في الكون الأول بأنه يصادم الواقع، ويخالف الحديث؟... هذا هو غرضنا الأول والأخير من هذه الفقرة وسنفسر كلمات الإمام بمداليلها الحرفية ومعانيها الحقيقية حيث لا مبرر للتأويل من حس أو عقل.

(ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكانك الهواء). هذه الكلمات الثلاث كلها تشير إلى شيء واحد، وهو الفضاء أو الفراغ اللانهائي، وأيضاً تشير إلى أن لهذا الفراغ أبعاداً ثلاثة: علواً وإليه أوماً الإمام بالأجواء، وأطرافاً، وهي مراده من الأرجاء، وطبقات، وعنهما عبر الإمام بالسكانك، وجمع الأجواء والأرجاء والسكانك، ولم يعبر عنها بالأفراد، بالنظر إلى تعدد طبقات الفضاء الكوني، وهذه الطبقات اكتشفت بالحس والتجربة بعد غزو الفضاء وصعود الإنسان إلى القمر.

ويطلق علماء الفلك على كل مجرة يعرفونها أي المجموعة النجمية، يطلقون عليها كلمة سكة بإضافة كلمة أخرى تميزها عن غيرها من المجرات، واسم مجرتنا التي نرى بعض كواكبها سكة التبانة... ومما قرأت أن علماء الفلك اكتشفوا حتى الآن مائة مليون

مجرة من بلايين البلايين من المجرات، وكل مجرة تتألف من بلايين النجوم، وفي مجرتنا وحدها - أي سكة التبانة - يوجد أكثر من مائة مليار من النجوم بعضها أكبر من الأرض بأكثر من ثلاثمائة ألف ضعف.

وقال المتخصصون بإثارة الخلافات الكلامية: إن الفضاء مخلوق بدليل قول الإمام: «أنشأ فتق الأجواء إلخ». فردّ آخر منهم بأن الفضاء عدم محض، والعدم لا يتعلق به الخلق والإنشاء... ونحن لا نرى أي جدوى عملية من هذا النزاع، ولا نحن غداً عنه بمسؤولين... والذي نفهمه أن الله سبحانه جعل الفضاء حيزاً ومقراً للكائن الأول من خلقه.

(فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخاره). ضمير فيها يعود إلى الأجواء والأرجاء والسكائك، ومتلاطماً ومتراكماً كناية عن كثرة الماء وعظمته، وامتداده وارتفاعه، ويدل هذا على أن المخلوق الأول لله تعالى هو الماء، وأنه تعالى أوجده في الجو محمولاً على ريح كثيفة وقوية للغاية، كما قال عليه السلام: (حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة). الضمير في حمله يعود إلى الماء، والعاصفة الشديدة الهبوب، والزعزع: التحريك.

(فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده). الهاء في أمرها وسلطها وقرنها للريح، وفي رده وشده وحده للماء... وقرنها إلى حده أي أن الله سبحانه جعل الماء والهواء من حيث المساحة قدراً بقدر طولاً وعرضاً، والمعنى أن الله سبحانه بعد أن خلق الماء فوق

الرياح وعلى قدرها أعطاها، جلّت حكمته، قوة عظيمة وجاذبية تستطيع معها أن تشد الماء إليها على ضخامته بحيث لا يسقط منه قطرة واحدة من أطرافه ولا من خلاله.

(الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق). الهواء الجور والفضاء، وفتيق أي خالٍ لا شيء فيه، ودفيق أي دافق بمعنى مدفوق، والهواء في تحتها وفوقها للريح، والمعنى أنه كان آنذاك فوق الريح ماء، وتحتها فضاء.

(ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها، وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار). هذه الريح غير الريح الأولى التي تحتها الماء، والمعنى أن الله سبحانه خلق ريحاً ثانية فوق الماء، وهذه الريح عقيمة لا تلقح شيء، وملازمة للماء وقوية جداً، وموضعها بعيد المدى (فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفتها بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره حتى عبّ عبابه).

أي أن الله تعالى سلّط هذه الريح الثانية على الماء فحركته تحريكاً قوياً حتى ارتفع، وتراكم بعضه فوق بعض.

(ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفق، وجو منفق). ركامه أي متراكمه، والهواء في رفعه لله سبحانه، أو للماء وعطف الجو المنفك على الهواء المنفك من باب عطف التفسير، والمراد أنه كان من نتيجة تحريك الريح للماء بقوة وشدة أن تبخر الماء، وصار بخاراً

كثيفاً، ويسمى هذا البخار الكثيف المتجمد زبداً، فرفعه الله تعالى في الفضاء.

(فسوى منه - أي من الزبد - سبع سماوات). قلنا في المجلد السابع من التفسير الكاشف ص ٣٥٨، ونحن نفسر الآية ١٢ من سورة الطلاق: إن ذكر السبع لا يفيد الحصر بها وإنما خصها الوحي بالذكر لأن الذين خوطبوا بالقرآن آنذاك كانوا يسمعون عن الأفلاك السبعة وكواكبها دون غيرها.

قال المؤرخون: إن الكلدانيين اشتهروا بعلم الهيئة وتوصلوا إلى معرفة الكواكب السبع السيارة، وتوارثت الأمم هذه المعرفة عن الكلدانيين جيلاً بعد جيل حتى زمن العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فخطبهم عن السماء بما اعتادوا أن يخاطبوا فيما بينهم.

وتسأل: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

وبين قول الإمام عليه السلام: إن الله خلق السماوات من زبد الماء؟.

وأجابوا بأن المراد بالدخان في الآية الكريمة البخار المتصاعد من الماء بسبب تموجه وشدة حركته، والزبد عبارة عن بخار كثيف يتصاعد على وجه الماء من حرارة الحركة، فإذا غلبت عليه الكثافة بقي على وجه الماء وأجابوا بأن المراد حركته بالدخان في الآية الكريمة البخار المتصاعد من الماء بسبب تموجه وشدة الزبد عبارة

عن دخان كثيف يتصاعد على وجه الماء من حرارة الحركة، فإذا غلبت عليه الكثافة بقي على وجه الماء وإلا انفصل عنه، وإذا كان الزبد بخاراً في حقيقته وفي أصله، وأيضاً كان المراد بالدخان في الآية البخار يكون المعنى واحداً ولا اختلاف إلا في التعبير

هذا، إلا أنه روى صاحب البحار عن الإمام علي عليه السلام أن سائلاً سأله ممّا خلق الله السماوات؟ فقال: من البخار، وعليه يكون قوله هذا تفسيراً وبياناً للزبد.

(جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً). ما من جرم في السماء إلا وهو في حركة دائمة لا يقف لحظة واحدة، بل يدور حول نفسه أو غيره، أو ينتقل كل يوم أو كل شهر أو كل عام من موضع إلى موضع، ولذا شبه الأجرام السماوية بالموج الدائم في حركته وخصّ بالذكر الجهة السفلى مع أن الجرم يتحرك بكامله، لأن هذه الجهة يمكن رؤيتها من الأرض، ولو بواسطة المراصد، والمراد بالمكفوف الجمود وعدم السيلان. (وعلياهن سقفاً محفوظاً) من الخلل ونحوه، ويطلق السقف على جهة العلو من كل شيء. وتجدر الإشارة إلى أن التعبير بأعلى وأسفل وفوق وتحت، إنما يصحّ بالنسبة إلى ما يراه أهل الأرض بأعينهم، أما الأجرام السماوية السابحة في الفضاء فلا أرض عندها كي توصف بهذه الكلمات الإضافية، بل كل شيء بالنسبة إليها فضاء، وعليها يكون وصف السماوات بالأعلى والأسفل تجوزاً، لا حقيقة.

(وسمكاً مرفوعاً). قال سبحانه: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ [النازعات:

٢٨]. أي رفع أجرام الكواكب فوق رؤوسنا فعدّلها بوضع كل جرم في

موضعه الذي به يتماسك ويتجاذب مع غيره من الأجرام (بغير عمد ليدعمها، ولا دسار ينظمها). الأجرام السماوية قائمة في الهواء، لا ترتكز على شيء ولا يشد بعضها ببعض مسمار أو غيره سوى ما وضع الله فيها من الجاذبية التي تحكم جميع الكواكب.

(ثم زينها بزينة الكواكب). قيل: إن الهاء في زينها تعود إلى السماء الدنيا، لأن الله قال: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ﴾. والظاهر أن الهاء في زينها ويجمعها وينظمها تعود كلها إلى شيء واحد، وهي ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ لأنها في سياق واحد، والعطف والواو يقتضي المشاركة والمعنى أن الله سبحانه جعل السماوات زينة وجمالاً بما فيها من الكواكب، ثم بين السبب الموجب لهذه الزينة بقوله: (وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمرأ منيراً في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر). المراد من الثواقب هنا النجوم والكواكب ما عدا الشمس والقمر حيث أفردهما الإمام عليه السلام بالذكر. والسراج المستطير الشمس، وفلك الشيء مداره، والمعنى أن النجوم والشمس والقمر كلها تسبح في الفضاء الرحب وأن ما يراه الإنسان فوقه في السماء كان تحته قبل ساعات، وما يراه في المساء على يمينه كان على يساره في الصباح، وهذه الأجرام الفلكية المضئية المتحركة هي زينة للنظرين... بالإضافة إلى سائر المنافع التي لا يبلغها الإحصاء.

وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتقاصف ييسأ جامداً. ثم فطر منه أطباقاً ففتقها سبع سموات بعد ارتفافها فاستمسكت بأمره، وقامت على

حذّه. وأرسي أرضاً يحملها الأخضر المثعنجر والقمقام المسخر. قد ذل لأمره، وأذعن لهيبته، ووقف الجاري منه لخشيته. وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها. فأرساها في مراسيها. وألزمها قراراتها فمشت رؤوسها في الهواء، ورسّت أصولها في الماء. فانهد جبالها عن سهولها، وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها. فأشهب قلالتها، وأطال أنشازها. وجعلها للأرض عماداً، وأرزها فيها أوتاداً فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها. فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهاها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها. فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً فوق بحرٍ لجي راكِدٍ لا يجري، وقائم لا يسري. تكررهِ الرياح العواصف. وتمخضه الغمام الذوارف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦].

لا وجود بلا واجد

وكذلك السماء والهواء والرياح والماء. فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال وتفترق هذه اللغات، والألسن المختلفة. فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبّر. زعموا أنهم كالنبات ما له زارعٌ، ولا لاختلاف صورهم صانعٌ. ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادّعوا، ولا تحقيق لما أوعوا. وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جانٍ.

وإن شئت قلت في الجراحة إذ خلق لها عينين حمراوين . وأسرد لها حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، يرهبا الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذنبها. ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها. وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة. فتبارك الذي يسجد له من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعقر له خذاً ووجهاً، ويلقي إليه بالطاعة سلماً، ويعطي له القياد رهبة وخوفاً. فالطير مسخرة لأمره. أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرصى قوائمها على الندى واليبس. وقدر أقواتها، وأحصى أجناسها. فهذا غرابٌ وهذا عقابٌ. وهذا حمامٌ وهذا نعامٌ. دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه. وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها وعدد قسمها، قبل الأرض بعد جفوفها وأخرج نبتها بعد جدوبها.

دعوة علي عليه السلام إلى القرآن

يقول عليه السلام : «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل. والمحدث الذي لا يكذب. وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى. واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى».

ويقول عليه السلام : «واعلموا أنه شافعٌ مُشفع، وقائلٌ مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه».

ويقول ﷺ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مَبْتَلَى فِي حَرْثِهِ، وَعَاقِبَةُ عَمَلِهِ، غَيْرُ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ». فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلُّوه على ربكم واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم.

العمل العمل، ثم النهاية النهاية، والاستقامة الاستقامة، ثم الصبر الصبر، والورع الورع!

ويقول ﷺ: «فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ. أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نَوْرَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ».

وهو الذي هتف قائلاً وسمعه العالم كله: «إِنْ هُنَا لَعَلْمًا جَمًّا لَمْ أَجِدْ لَهُ حَمَلَةً».

واستمر علي ﷺ قائلاً للأجيال القادمة وبصراحة: «لَوْ أَخَذْتُ مِائَةَ قُلُوبِهِمْ كَالذَّهَبِ الْمَصْفَى، ثُمَّ أَخَذْتُ مِنَ الْمِائَةِ عَشْرَةَ، ثُمَّ أَخَذْتُ مِنَ الْعَشْرَةِ وَاحِدًا، ثُمَّ اخْتَبَرْتَهُ بَبَعْضِ مَا عِنْدِي فَأِذَنْ لِقَالَ عَلِيٌّ أَكْذَبَ الْعَرَبُ».

التفكير العلمي في عصر علي ﷺ

وعلي ﷺ يقف منادياً، وقد استنزف قواه الفكرية، وهذت نفسه، وانهار ألمه، يرجو من السامعين سؤالاً علمياً ليقدم الإنسانية، ولكن قومه - أشباه الرجال - ليس فيهم ذلك المستوى. وهنا معادلة فكرية جدلية: علي ﷺ لم يتحدث عن الفضاء وما فيه من

المعاجز، السبب لأن ذهنية الشعب بعد لم تعد ذلك الإعداد.

وهو الرجل الذي أخذ وتلقى وسمع ورأى. ﴿وَكَذَلِكَ نُرِىْ
إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾. يقول فيه
الرسول ﷺ: «إنك ترى ما أرى»، والرؤية المقصودة هنا هي الرؤية
القلبية وكذلك نرى إبراهيم.

«أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم
مني بطرق الأرض».

وقال: «سلوني عن أسرار الغيوب، فلإني وارث علم الأنبياء
 والمرسلين».

وما دام الإسلام حقيقة فعلي ﷺ باب لمعرفة محمد ﷺ
ورسالته. وهو مدخل وباب من دخله وسلكه وصل إلى الواقع وعرف
محمد ﷺ. ورسالته التي هي تبيان لكل شيء. في شيلي في أمريكا
الجنوبية خرجت مفرزة من الجيش الخاص لحراسة الحدود مع
بوليفيا، كانت تقوم بالدورية وإذا قد شاهدوا صحناً طائراً، وهو جسم
بيضوي حقيقي قطره حوالى ٣٠م ويبعث أشعة بنفسجية، وعلى
جوانبه ما يشبه المحركات الثفائة على بعد بضعة كيلومترات، وقد
حطّ على الأرض، فطلب قائد المفرزة العسكرية من جماعته الوقوف
في أماكنهم، وهو ذهب لوحده لمشاهدته، وإذا به يعود بعد ١٥ دقيقة
وقد تغير شكله، ويهذي ويكثر الكلام، ويتلفظ بكلام غير مفهوم،
وقد طالت لحيته وشارباه، كأنه قد مضى عليه مدة خمسة أيام، وفي

خلال ١٥ دقيقة تقدم به العمر ٥ أيام، والأغرب من ذلك أن ساعته أيضاً استمرت في تقدم في الأيام لمدة خمسة أيام، وبعد ذلك فقد ذاكرته، وأرسل إلى العاصمة لدراسة حالته الصحية ودراسة ما شاهدهته المفردة».

ذكر العلامة اللغوي الطريحي الأسدي في مجمع البحرين، والعلامة القمي في السفينة - في باب كوكب - الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض، مربوطة كل مدينة بعمودين من نور، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة».

الإمام علي عليه السلام ومدرسة القرآن

ذكر المجلسي عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بما رواه عن كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال:

خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «سلوني، فإنني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت عليه، لا يقولها بعدي إلا جاهل مدّع أو كذاب مفتر».

فقام رجل من جانب مجلسه في عنقه كتاب كأنه مصحف، وهو رجل آدم ضرب طوال، جعد الشعر كأنه من مهودة العرب، فقال رافعاً صوته لعلي عليه السلام: «أيها المدّعي ما لا يعلم، والمقلّد ما لا يفهم، أنا السائل فأجب، فوثب به أصحاب علي عليه السلام وشيعته من كل ناحية، فهموا به، فنهرهم علي عليه السلام، فقال لهم: «دعوه ولا

تعجلوا، فإن الطيش لا تقوم به حجج الله، ولا به تظهر براهين الله، ثم التفت إلى الرجل وقال: «سل بكل لسانك وما في جوانحك، فإنني أجيبك إن الله تعالى لا تختلج عليه الشكوك، ولا يهيجه وسن».

قال: «ويحك، ومتى لم يكن».

ويهتف معلناً للملأ: «علمني رسول الله ألف باب من العلم، فاستبظت من كل باب ألف باب».

وهذه الأصوات وهذا التكرار والهتاف، فلا يجد سائلاً معقولاً، رغم ذلك فيعود منادياً وهو يخطب: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنكم لا تسألون عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن أرض مخصبة، ولا عن أرض مجدية، ولا فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا إن شئت نباتكم بناعقها وسائقها وقائدها».

وتذهب أصوات علي عليه السلام أدراج الرياح، فلا سامع ولا مجيب، وكأنه يكلم من لا يسمع، ويخاطب من لا يعي.

ويعود علي عليه السلام ويعلل نفسه قائلاً: «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم».

ويعكس علي عليه السلام آلامه النفسية وآهاته وحرقاته وهو يعيش اللهب الباطني شفقة بالجهال من الأمة، حرصاً عليهم، وتدوب نفس علي عليهم حسرات، يدعوهم للعلم والأخذ منه، والسؤال منه عن أمور تخص الإنسانية، فلا يرى إلا وجوهاً قاتمة وقلوباً خشنة وصوراً مستوحشة، وهو يعيش الألم. إذن ما معنى قول علي عليه السلام: «علمني

رسول الله ألف باب من العلم؟! فهل هي ألف مسألة علمية؟

لماذا جعل هذا الرقم فقط، ولماذا لم يقل أكثر من ذلك؟

وماذا قصده بالأبواب؟ هل هي الفنون والأنواع، أو هي ألف مسألة علمية تواكب مسيرة الإنسان، فقد يحتاج هذا الإنسان أكثر من ذلك وأبعد من ذلك؟

وإذا كان عليّ ذا صلة قرآنية والقرآن كتاب الإنسانية، وكتاب جامع، وكتاب كل شيء، ويقول تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا يَظُنُّ وَلَا يُبْصِرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وكون عليّ عليه السلام مدرسة قرآنية حقاً.

وما دام القرآن كتاب علم، وأنيس العلماء من قبل ومن بعد قبل أن يكون كتاب عبادة، ودعاء، وهو كذلك، وبعد ذلك كله فهل تنبأ عليّ عليه السلام عن ظهور هذه المخترعات الحديثة؟

أو قل: هل ذكر في الكتاب هذه المخترعات أو المكتشفات، أو أشار إليها، ولماذا لم يكن المسلمون هم أصحاب هذه المخترعات الحديثة؟

علم الأبدان

ونستمع له وهو يخطب ويتحدث عن هذا الكائن البيولوجي في عصر لم يكن ظهور لهذه الدراسات الفلسفية، ولم يكن عالم تخصص في خلق الإنسان وتركيبه.

يقول عليه السلام : «إن هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار، نطفة دهاقا، وعلقة محاقا، وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً».

وهنا نعود إلى القرآن لنرى مدرسة القرآن التي تأثر بها علي عليه السلام ، واقترب منطق علي إلى الآي القرآني. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٧٧﴾ ثُبَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

قال علي عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني فإني بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض.

ولو لم يكن واثقاً من معرفته بطرق السماوات لما قالها أليس هو القائل إني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء كنا أشباحاً عالية لا أجساماً متنامية ندور حول العرش قبل خلق آدم وقبل خلق الطينة التي خلق منها آدم لا يعرف سرنا إلا واحد من ثلاثة ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان.

ألم يقل له رسول الله ﷺ يا علي لتبلغن الأسباب والله لتركبن

السحاب وأما مقولته الشهيرة (لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه).

وفي العلم الحديث أثبتت الدراسات أن السماء بناء محكم تملأه المادة والطاقة ولا يمكن اختراقه إلا عن طريق أبواب تفتح فيه وهذا ما أكدته القرآن الكريم بقوله ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

الماء

﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِّنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تعالى أول ما خلق الخلق خلق نوراً ابتدعه منه غير شيء ثم خلق منه الظلمة وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء ثم خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماء مرتعداً إلى يوم القيامة ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء وللعرش عشرة آلاف لسان يستبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف، ليس فيها لغة تشبه الأخرى وكان العرش على الماء من دونه حجب الضياء - الضباب -

وفي احتجاج كعب الأحبار مع عمر إلى أن قال لأمير

المؤمنين ﷺ يا أبا الحسن أخبرني عن قول الله تعالى في كتابه : ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال أمير المؤمنين ﷺ : نعم كان عرشه على الماء حين لا أرض مدحية ولا سماء مبنية ولا صوت يسمع ولا عين تنبئ ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا نجم يسري ولا قمر يجري ولا شمس تضيء وعرشه على الماء غير مستوحش إلى أحد من خلقه بمجد نفسه ويقدها كما شاء أن يكون كان ثم بدا له أن يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق الله فبنى بها سماء رتقاً ثم دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار ثم فتقها - بالبنيان - وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة ثم استوى إلى السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي أنشأ من تلك البحور سبعاً طباقاً بكلمته التي لا يعلمها غيره وجعل في كل سماء ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهي بحر الرحمة وجعل طعامهم التسبيح والتهليل والتقديس فلما قضى أمره وخلق استوى على ملكه فمدح كما ينبغي له أن يحمد ثم قدر ملكه فجعل في كل سماء شهاباً معلقة الكواكب كتعليق القناديل من المساجد إلى أن قال ﷺ : فبعث الله جبرائيل ﷺ فأخذ من أديم الأرض قبضة ففجعه بالماء العذب والمالح وركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح فخلق من أديم الأرض فلذلك سمي آدم .

خلق السماوات والأرض

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ؛ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَغْيِرَ عَمَدَ تَرَوْنَهَا﴾ ؛ ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ؛ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له : ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء ، وسكانك الهواء فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره متراكماً زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة فأمرها برده وسلطها على شده وقرنها إلى حده ، الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها فأمره بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفاً بالفضاء ، ترد أوله إلى آخره وساجيه على مايره حتى عب عبابه ورمى بالزيد ركاه فرفعه في هواء منفتح وجو منفهق فسوى منه سبع سماوات وجعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعليهن محفوظاً وسُمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها ، ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الشواقب فأجرى فيها

وأرجلهم كأرجل البقر وأصوافهم كأصواف الضأن لا يعصون الله ما أمرهم طرفة عين، ليس لهم ثواب ولا عليهم عقاب، ليلنا نهارهم ونهارنا ليلهم، والأرض الرابعة ففيها حجارة، الحجارة الكبرى التي أعدها الله تعالى لأهل النار وتسجر جهنم بها، ثم قال صلوات الله عليه والذي نفسي بيده إن أودية الكبرى لو أرسل الله إليه الجبال لذابت الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى وقودها الناس والحجارة ثم دخل في جواب منصور بن عمار، ثم قام إليه صعصعة بن صوحان وقال يا أمير المؤمنين تَمَّ لنا خبر الأرضين فقال صلوات الله عليه: وأما الأرض الخامسة ففيها عقارب أهل النار كأمثال الثعالب لهم أذنان كأمثال الرماح لكل ذنب منها ثلاثمائة زق سم في كل زق ثلاثمائة وستون قلة لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الأرض لمات أهل الأرض أجمع من ريحته وفيها أيضاً حيتات أهل النار أمثال الأودية لكل حية منها تسعة عشر قلة من السم لو أمر الله حية أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل لهدته ويصير رملاً وهي تلقى الكافر غداً فتسقط مفاصله ربة، والأرض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم الخبيثة وأرواحهم الخبيثة وذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَفِي سِجِّينٍ﴾؛ والأرض السابعة جعلها الله سكنى إبليس لعنه الله وجنوده والمردة وعتاة الجن وفيها عرش إبليس، قد احتوته جنوده أعظمهم عنده منزلة أعظمهم عذاباً وهو مثل السلطان في الرعية، والجنة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غداً جعله الله حيث يشاء وأما

بعد قرار الأرض فلا يعلمه إلا الله تعالى ، وأن قارون حيث خسف الله به الأرض فهو ينزل في الأرض من يوم خسفه كل يوم قامة فلا يبلغ إلى قعر الأرض إلى يوم القيامة .

ثم قال ﷺ الأيام التي خلق الله تعالى فيها الأشياء هي الستة ، قال لي رسول الله ﷺ : إن خلق الأرض والجبال يوم الأحد والبحر يوم الاثنين والصخرة يوم الثلاثاء والثور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة وغيرهم يوم السبت ثم قال ﷺ : الأرض الأولى اسمها رخا والثانية اسمها شاصبطا والثالثة اسمها مقبلة والرابعة اسمها نظيما والخامسة اسمها شافلة والسادسة اسمها ماكثة والسابعة اسمها القلبيا ، وأما أسماؤها المذكورة في القرآن ، الأولى قوله تعالى فراشاً والثانية قراراً والثالثة رتقاً والرابعة بساطاً والخامسة مهاداً والسادسة صدعاً والسابعة كفاتاً .

الرياح

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ ؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُوكُ بِأَمْرِهِ﴾ ؛ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنُ إِلَى بَلَدٍ مَّتَنٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ .

وسئل أبو عبد الله ﷺ عن جوهر الريح فقال : الريح هواء إذا تحرك سمي ريحاً ، فإذا سكن سمي هواء وبه قوام الدنيا ، ولو كفت الريح ثلاثة أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض ونتن ، وذلك أن الريح بمنزلة المروحة تذب وتدفع الفساد عن كل شيء ، وتطيبه فهي

بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغير، تبارك الله أحسن الخالقين .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا الريح فإنها بُشر وإنها نذر، وإنها لواقع فاسألوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها» .

النفار

سئل عن أنواع النار فقال : نار تأكل وتشرب، ونار تأكل ولا تشرب، ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب .

فالنار التي تأكل وتشرب فنار ابن آدم وجميع الحيوان .

والتي تأكل ولا تشرب فنار الوقود .

والتي تشرب ولا تأكل فنار الشجرة .

والتي لا تأكل ولا تشرب فنار القداحة والجباحب ما تطاير من شر النار في الهواء من تصادم الأحجار أو نحو ذلك .

ونار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .

المطر

﴿وَمَوْا الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِمَلَكُمُ تَذَكُّرُونَ﴾ ؛ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال كان علي عليه السلام يقوم في المطر، أول ما تمطر حتى يبتل رأسه ولحيته وثيابه، فيقال له يا أمير المؤمنين الكِنَ الكِنَ فيقول إن هذا ماء قريب العهد بالعرش، ثم أنشأ يحدث، فقال إن تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوان، وإذا أراد الله تعالى أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله عز وجل فمطر منها ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى السماء الدنيا فتلقيه إلى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال، ثم يوحى الله عز وجل إلى السحاب أن اطحنيه وأذيبه ذوبان الملح في الماء ثم انطلقني به إلى موضع كذا وكذا وعبابا وغير عباب فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم تنزل من السماء قطرة من قطر إلا بقدر معدود ووزن معلوم، إلا ما كان يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنه نزل منها ماء منهمر بلا عدد ولا وزن.

علي عليه السلام والملائكة

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّنْثَى وَتِلْكَ رِبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكة، من

سبعمائة عام ما بين منكبيه إلى شحمة أذنه، ومنهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السماوات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألقي في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

بعض أعمال الملائكة

فيما جاء في خدمة الملائكة لأهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿يُزَلُّ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، ﴿إِنَّ إِلَهِكَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ﴾.

ومن أعمال الملائكة الاستغفار للمؤمنين، فعن الرضا عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في حديث: ما خلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرائيل فقال ﷺ: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل الأنبياء المرسلين على الملائكة المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وأن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

وعن سليم بن قيس الهلالي قال قلت لأبي ذر: رحمك الله

حَدَّثَنِي بِأَعَجَبٍ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنْ حَوْلَ الْعَرْشِ لَتَسْعِينَ مَلَكًا لَيْسَ لَهُمْ تَسْبِيحٌ وَلَا عِبَادَةٌ إِلَّا الطَّاعَةُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْبِرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَالِاسْتِغْفَارُ لِشِيعَتِهِ، قُلْتُ: فَغَيْرَ هَذَا رَحِمَكَ اللَّهُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنْ اللَّهُ خَصَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ بِطَاعَةِ عَلِيٍّ وَالْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالِاسْتِغْفَارِ لِشِيعَتِهِ.

وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنْ لَكَ مَلَائِكَةٌ يَسْقُطُونَ الذُّنُوبَ عَنْ ظُهُورِ شِيعَتِنَا كَمَا تَسْقُطُ الرِّيحُ الْوَرَقَ فِي أَوَانٍ سَقُوطُهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْقُطُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَاللَّهُ مَا أَرَادَ غَيْرَكُمْ.

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ: وَأَنَّ اللَّهَ بَرَأْفَتُهُ وَلَطْفُهُ أَيْضًا وَكُلُّهُمْ - أَيِ الْمَلَائِكَةِ - بِعِبَادِهِ يَذْبُونَ عَنْهُمْ مُرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ الْأَرْضُ وَأَفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَرُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَى أَنْ يَجِيءَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

تَفْسِيرُ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ سَفْيَانَ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ لَمَّا تَمَثَّلَ إِبْلِيسُ لِكُفَّارِ مَكَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى صُورَةِ سَرَّاقَةٍ بَنَ مَالِكُ بْنُ مَالِكٍ وَكَانَ سَائِقَ عَسْكَرِهِمْ إِلَى قِتَالِ النَّبِيِّ فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرَائِيلَ، فَهَبَطَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ أَلْفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَامَ جِبْرَائِيلُ عَنْ يَمِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَ إِذَا حَمَلَ عَلِيٌّ حَمْلًا مَعَهُ جِبْرَائِيلُ فَبَصُرَ بِهِ إِبْلِيسُ فَوَلَّى هَارِبًا وَقَالَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ». قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: وَاللَّهُ مَا هَرَبَ إِبْلِيسُ إِلَّا حِينَ رَأَى

أمير المؤمنين عليه السلام فخاف أن يأخذه ويستأسره ويعرفه الناس، فهرب فكان أول منهزم وقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ - فِي قِتَالِهِ - وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن حارب أمير المؤمنين.

السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن المسيب عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا أبا ذر عليّ أخي وصهري وعضدي، إن الله لا يقبل فريضة إلا بحب عليّ بن أبي طالب، يا أبا ذر لما أسري بي إلى السماء مررت بملك جالس على سرير من نور، على رأسه تاج من نور، إحدى رجله في المشرق والأخرى في المغرب، وبين يديه لوح ينظر إليه والدنيا كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه، ويده تبلغ المشرق والغرب، فقلت: يا جبرائيل من هذا فما رأيت من ملائكة ربي جل جلاله أعظم خلقاً منه؟ قال: هذا عزرائيل ملك الموت، أدن فسلم عليه فدنوت منه فقلت: سلام عليك حبيبي ملك الموت، فقال: وعليك السلام يا أحمد ما فعل ابن عمك عليّ بن أبي طالب؟ فقلت: وهل تعرف ابن عمي؟ قال: وكيف لا أعرفه وإن الله جل جلاله وكلني بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح عليّ بن أبي طالب، فإن الله يتوفاكما بمشيئته».

كتابا الخطيب والخوازمي وأبي عبد الله النطنزي قال أبو عبيد صاحب سليمان بن عبد الملك: بلغ عمر بن عبد العزيز أن قوماً تنقصوا لعلّي بن أبي طالب، فصعد المنبر وقال: (حدثني غزال بن مالك الغفاري عن أم سلمة قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله عندي إذ أتاه جبرائيل فناده فتبسم رسول الله ضاحكاً، فلما سرّي عنه قلت: ما

أضحكك؟ قال: «أخبرني جبرائيل أنه مر بعلي وهو يرعى ذوداً له وهو نائم قد أبدى بعض جسده» قال: «فرددت عليه ثوبيه فوجدت برد إيمانه قد وصل إلى قلبي».

أما لي أبي جعفر القمي في خبر طويل أن النبي ﷺ قال يوماً: «معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعزى ليقتلوني وقد كذبوا ورب الكعبة»، فأحجم الناس فقال: «ما أحسب علي بن أبي طالب فيكم»، فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فجاء فقال: (أنا لهم سرية وحدي)، فذرعه وعممه، وقلده من نفسه، فأركبه فرسه فخرج أمير المؤمنين عليه السلام فمكث ثلاثة أيام لا يصل خبر من السماء ولا من الأرض، فأقعدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين عليهما السلام على وركيها وهي تقول: أوشك أن يؤتم هذين الغلامين، فأسبل النبي ﷺ عينيه يبكي ثم قال: «معاشر الناس من يأتيني بخبر علي فأبشره بالجنة» فتفرقت الناس في طلبه وأقبل عامر بن قتادة يبشر بعلي فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أسيران ورأس، وثلاثة أبعرة وثلاثة أفراس، وقال: (لما سرت في الوادي رأيت هؤلاء ركباً على الأباغر فنادوني: من أنت؟ فقلت علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله فشد علي هذا المقتول، ودارت بيني وبينه ضربات، وهبت ريح حمراء سمعت صوتك فيها يا رسول الله، وأنت تقول: «قطعت لك جربان درعه» فضربته فلم أخفه ثم هبت ريح صفراء فسمعت صوتك فيها يا رسول الله «قلعت لك الدرع عن فخذ» فضربته ووكزته فقال الرجلان: صاحبنا هذا يعد بألف فارس

فلا تعجل عليه وقد بلغنا أن محمداً رفيق شفيق رحيم فاحملنا إليه ، فقال النبي : «أما الصوت الأول فصوت جبرائيل ، والآخر فصوت ميكائيل» ، فعرض النبي ﷺ عليهما الإسلام فأبيا قال : فقدم إلي أحد الرجلين فقدمه فهبط جبرائيل وقال : لا تقتله فإنه حسن الخلق سخي في قومه ، فقال النبي : «يا علي أمسك فإن هذا رسول ربي يخبرني أنه حسن الخلق سخي في قومه» ، فقال الرجل : والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قط ، ولا قطبت وجهي في الحرب وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وفي رواية الأصبع أن علياً عليه السلام مضى من المدينة وحده ، فأتى عليه سبعة أيام فرئي النبي ﷺ يبكي ويقول : «اللهم ردّ إليّ علياً قرّة عيني ، وقوة ركني ، وابن عمي ، ومفرج الكرب عن وجهي» ، ثم ضمن الجنة لمن أتى بخبر عليّ فركب الناس في كل طريق فوجده الفضل بن عباس فبشر النبيّ بقدمه ، فاستقبله فما زال يفتش عن يمين عليّ وعن يساره وعن بدنه وعن رأسه فقلت : تفتش علياً كأنه كان في الحرب؟ فأخبرني عن جبرائيل : «إن أقواماً من المشركين يقصدونك من الشام فأخرج إليهم علياً وحده فخرج معه جبرائيل عليه السلام في ألف ملك ، وميكائيل في ألف ملك ، ورأيت ملك الموت يقاتل دون علي» .

عن أحمد بن الحسين عن الحسين بن أد عن الحسين القمي عن نعمان بن المنذر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان حين ناشد القوم نشدتكُم الله هل فيكم أحد سلم عليه جبرائيل وميكائيل

واسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يدم بدر غيري قالوا اللهم لا .

عن سعيد بن جبير عن أبي عباس قال كان رسول الله ﷺ في بيته فغدا عليه ﷺ وكان يحب أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل فإذا النبي ﷺ في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فقال السلام عليك كيف أصبح رسول الله ﷺ فقال دحية إني أحبك وإن لك عندي مدحة أزفها إليك أنت أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين أنت سيد ولد آدم ما خلا النبيين والمرسلين لواء الحمد بيدك يوم القيامة تزف أنت وشيعتك مع محمد ﷺ وحزبه إلى الجنان زفا، قد أفلح من تولاك وخسر من تخلاك محب محمد محبك ومبغض محمد لن تناله شفاعة محمد أدن مني يا صفوة الله، فأخذ رأس النبي ﷺ فوضعه في حجره فانتبه النبي ﷺ فقال ما هذه المهمة فأخبره الحديث فقال لم يكن هو دحية الكلبي كان جبرائيل سماك باسم سماك الله به وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين ورهبتك في صدور الكافرين .

علي ﷺ يعلم لغات الملائكة

وروى سعد بن ظريف عن الصادق ﷺ وروى أبو أمامة الباهلي كلاهما عن النبي ﷺ في خبر طويل واللفظ لأبي أمامة أن الناس دخلوا على النبي ﷺ وهتاؤه بمولوده (الحسين ﷺ) ثم قام رجل في وسط الناس فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله رأينا من علي عجباً في هذا اليوم، قال: وما رأيتم؟ قال: أتيناك لنسلم عليك

ونهننك بمولودك الحسين عليه السلام فحجبنا عنك وأعلمنا أنه هبط عليه
مائة ألف ملك وأربعة وعشرون ألف ملك، فعجبنا من إحصائه وعده
الملائكة، فقال النبي ﷺ - وأقبل بوجهه عليه متبسماً - ما علمك
أنه هبط علي مائة وأربعة وعشرون ألف ملك؟ قال: بأبي أنت وأمي يا
رسول الله سمعت مائة ألف لغة وأربعة وعشرين ألف لغة، فعلمت
أنهم مائة وأربعة وعشرون ألف ملك، قال: زادك الله علماً وحلماً يا
أبا الحسن.

علي عليه السلام مع إبليس وجنوده

تاريخ الخطيب وكتاب النطنزي بإسنادهما عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس وإسناد الخطيب عن الأعمش عن أبي عبد الله عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وفي إبانة الخركوشي بإسناده عن الضحاك عن ابن عباس ، وقد رواه القاضي أبو الحسن الأشناني عن إسحاق الأحمر ، وروى من أصحابنا جماعة منهم أبو جعفر بن بابويه في الامتحان ولفظ الحديث للخركوشي قال ابن عباس : كنت أنا ورسول الله وعلي بن أبي طالب بفناء الكعبة ، إذ أقبل شخص عظيم مما يلي الركن اليماني كفيل ، فتفل رسول الله وقال : «لعنت» ، فقال علي : (ما هذا يا رسول الله) ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ ذاك إبليس اللعين ، فوثب علي وأخذ بناصيته وخرطومه ، وجذبه فأزاله عن موضعه وقال : (لأقتلنه يا رسول الله) ، فقال رسول الله : «أما علمت يا علي أنه قد أجل له إلى يوم الوقت المعلوم» ، فتركه فوقف إبليس وقال : يا علي دعني أبشرك فما لي عليك ولا على شيعتك سلطان ، والله ما يبغضك أحد إلا شاركت أباه فيه كما هو في القرآن ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي آلَآمُورٍ وَالْأَوَّلِينَ﴾ ، فقال له النبي ﷺ : دعه يا علي فتركه .

في كل أمة جنود لإبليس

من خطبة له عليه السلام :

حتى إذا انقادت له الجامعة منكم، واستحكمت الطماعية منه فيكم، فنجمت الحال من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سُلطانه عليكم، ودلف بجنوده نحوكم.

فاقحموكم ولجات الذل، وأحلوكم ورطات القتل، وأوطأوكم إثنخان الجراحة طعنأ في عيونكم، وحزأ في حلوقكم، ودقأ لمناخركم، وقصدأ لمقاتلكم، وسوقأ بخزائم القهر إلى النار المعدة. فأصبح أعظم في دينكم حرجأ، وأورى في دنياكم قرحأ من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألّبين. فاجعلوا عليه حدّكم، وله جدّكم.

يقتنصوكم بكل مكان، ويضربون منكم كلّ بنانٍ. لا تمتنعون بحيلة، ولا تدفعون بعزيمة، في حومة ذلّ، وحلقة ضيق، وعرصه موت، وجولة بلاء، فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته، ونزغاته ونفشاته. واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم، وإلقاء التعرز تحت أقدامكم، وخلع التكبر من أعناقكم، واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدو إبليس وجنوده، فإن له من كلّ أمة جنودأ وأعوانأ، ورجلأ وفرسانأ.

إبليس والشيطان :

ورد في القرآن الكريم في سورة البقرة، الآية : ٣٤ ﴿وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿١٢﴾ فإبليس هو كائن حي يدرك ويعقل ويفعل ويترك بإرادته واختياره ولذا خاطبه سبحانه وتعالى في سورة الأعراف، الآية: ١٢ ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ثم لعنه وطرده بعد أن احتج بأصله أنه من نار وآدم من طين.

والذي أقف عنده هو أن إبليس كائن حسي وأما الشيطان فمعنوي ويمكن أن يكون حسياً لأن الآية ١١٢ في سورة الأنعام تقول ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ وأن يكون معنوياً كقوله تعالى في سورة الناس، الآيات: ٤ و ٥ و ٦ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٢﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وفي سورة الأعراف، الآية: ٢٠١ ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ وفي سورة يونس، الآية: ١٠٠ ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ وَبَيْنَ إِخْوَفَ﴾.

علي عليه السلام والجن:

﴿وَاللَّيْلَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم أب الجن فقال: شومان وهو الذي خلق من مارج من نار.

وعن النبي ﷺ قال: «خلق الله الجن خمسة أصناف صنف حيات وصنف عقارب وصنف حشرات الأرض وصنف يطبرون في الهواء، وصنف كبني آدم».

وإن سبب نزول آية ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ - إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إن رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجبه أحد، ولم يجد من يقبله، ثم رجع إلى مكة فلمّا بلغ موضع وادي مجنة، تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمر به نفر من الجن، فلمّا سمعوا قراءة رسول الله، استمعوا له، فلمّا سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: ﴿أَنْصِتُوا - يعني اسكتوا - فَلَمَّا قَضَى - أي فرغ - وَلَوْأَ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا لَجِئُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ - إلى قوله - أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ، وأسلموا وآمنوا، وعلمهم شرائع الإسلام، فأنزل على نبيه، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ السُّورَةَ كُلَّهَا، فَحَكِيَ قَوْلَهُمْ وَوَلَّى عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانُوا يَعُودُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَعْلَمَهُمْ وَيَفْقَهُهُمْ، فَمِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ وَنَاصِبُونَ وَيَهُودُ وَنَصَارَى وَمَجُوسٌ وَهُمْ وَلَدُ الْجَانِ.

ومن أخبار مؤمني الجن، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قد سأله يهودي قائلاً هذا سليمان سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمد ﷺ أفضل من هذا، إنّ الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، وسخرت لنبوّة محمد ﷺ الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه من الجن التسعة من أشرافهم، واحد من جن

نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحجة، منهم شضاه ومضاه والهملكان والمرزيان والمأزمان ونضاه وهاضب وعمرو وهم الذين يقول الله تبارك وتعالى اسمه فيهم:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ وهم التسعة، فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ بيطن النخل فاعتذروا بأنهم ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد، ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً، وهذا أفضل مما أعطي سليمان، سبحان من سخرها لنبوّة محمد ﷺ بعد أن كانت تتمرد وتزعم أن الله ولدأ، ولقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى.

وفي خبر عطرفة الجني ذكر السيد المرتضى في عيون المعجزات قال: ومن دلائل أمير المؤمنين ومعجزاته خبره مع عطرفة الجني وهو خبر معروف عند علماء الشيعة وقد وجدت الخبر في كتاب الأنوار وحدث أحمد بن محمد بن عبد ربه قال: حدثني سليمان بن علي الدمشقي عن أبي هاشم الزياتي عن زاذان عن سلمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظر إلى زوبعة وقد ارتفعت فأنارت الغبار وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقعت بحذاء النبي ﷺ ثم برز منها شخص كان فيهم ثم قال: يا رسول الله إني وافد قومي وقد استجرنا بك فأجرنا وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا فإن بعضهم قد بغى علينا، ليحكم بيننا وبينهم

بحكم الله وكتابه، وخذ عليّ العهود والمواثيق المؤكدة أن أردّه إليك سالمًا في غداة غد ألا أن تحدث عليّ حادثة من عند الله فقال له النبي ﷺ: «من أنت ومن قومك؟» قال: أنا عطرفة من شمراخ أحد بني نجاح وأنا وجماعة من أهلي كنا نسترق السمع، فلما منعنا من ذلك آمنا ولما بعثت نبيًّا آمنّا بك على ما علّمته وقد صدّقناك وقد خالفنا بعض القوم وقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا وبينهم الخلاف وهم أكثر عددًا وقوة وقد غلبوا على الماء والمراعي وأضرّوا بنا وبدوا بنا فابعث معي من يحكم بيننا بالحق، فقال له النبي ﷺ: فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها، قال فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير فإذا رأسه طويل، طويل العينين، عيناه في طول رأسه صغير الحدقتين وله أسنان كأنها أسنان من السباع، ثم إن النبي ﷺ أخذ عليه العهد والميثاق على أن يرده عليه في غد من يبعث به معه، فلما فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال له: سر مع أخينا عطرفة وانظر إلى ما هم عليه واحكم بينهم بالحق، فقال: يا رسول الله وأين هم؟ قال: هم تحت الأرض فقال أبو بكر: وكيف أطيع النزول تحت الأرض وكيف أحكم بينهم ولا أحسن كلامهم، ثم التفت إلى عمر بن الخطاب فقال له مثل قوله لأبي بكر فأجاب مثل جواب أبي بكر، ثم أقبل على عثمان وقال له مثل قوله لهما فأجابه كجوابهم، ثم استدعى عليًّا عليه السلام وقال له: يا علي سر مع أخينا عطرفة وتشرف على قومه وتنظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحق، فقام أمير المؤمنين عليه السلام

مع عطرفة وقد تقلد سيفه، قال سلمان عليه السلام: فتبعتهما إلى أن صار إلى الوادي فلما توسطاه نظر إليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فارجع، فوقفت أنظر إليهما فانشقت الأرض ودخلا فيها، وعدت إلى ما كنت ورجعت وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به، كل ذلك إشفافاً على أمير المؤمنين عليه السلام وأصبح النبي صلى الله عليه وآله وصلى بالناس الغداة، وجاء وجلس على الصفا وحف به أصحابه وتأخر أمير المؤمنين عليه السلام وارتفع النهار وأكثر الناس الكلام إلى أن زالت الشمس وقالوا: إنّ الجن احتال على النبي صلى الله عليه وآله وقد أراحنا الله من أبي تراب وذهب افتخاره بآبن عمه علينا وأكثروا الكلام وأظهروا اليأس من أمير المؤمنين عليه السلام فصلّى النبي صلى الله عليه وآله العصر وجاء وجلس على الصفا وأظهر الفكر في أمير المؤمنين عليه السلام وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين وكادت الشمس تغرب فتيقن القوم أنه قد هلك.

وإذا قد انشق الصفا وطلع علي عليه السلام، منه وسيفه يقطر دماً ومعه عطرفة فقام النبي صلى الله عليه وآله إليه وقبل بين عينيه وجبينه وقال: ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت؟ فقال عليه السلام صرت إلى جن كثير قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليّ، وذلك آتي دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى والإقرار بنبوتك ورسالتك فأبوا فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا فسألتهم أن يصالحوا عطرفة وقومه فيكون بعض المرعى لعطرفة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كله فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم أكثر من ثمانين ألفاً فلما

نظروا إلى ما حل بهم طلبوا الأمان والصلح ثم آمنوا وصاروا إلى
الإيمان وزال الخلاف وما زلت معهم إلى الساعة فقال عطفة: يا
رسول الله جزاك الله وأمير المؤمنين خيراً.

علي عليه السلام وخلق آدم

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبغها، تربة سنّها بالماء حتى خلصت. ولاطها بالبلّة حتى لزبت. فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول. أجملها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت. لوقت معدود. وأمدّ معلوم. ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها. وفكر يتصرف بها، وجوارح يستخدمها، وأدوات يقلبها. ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس. معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشياء المؤتلفة. والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة. من الحر والبرد والبلّة والجمود.

يشير عليه السلام الآن إلى أصل الإنسان الأول، من أي شيء خلق؟ وكيف تم خلقه؟. وكما تكلم الناس عن الكون وحقيقته وأصله وعمره وأطواره فقد تكلموا أيضاً عن أصل الإنسان وكنهه وتطوره، وكم مضى عليه من السنين في هذه الأرض؟. ووضعوا في ذلك الكتب والأسفار، ومع هذا لم يعرفوا عنه إلا القليل... وصدق من قال: «إن علم الإنسان بنفسه ما يزال محدوداً، وربما استطاع أن يعرف عن غيره من الكائنات أكثر مما يعرفه عن أسرار نفسه».

ولنفترض - وان بعد الفرض - أن الإنسان يستطيع أن يعرف حقيقته على أتمها جسماً وروحاً فإنه لا يستطيع ولن يستطيع أن يعرف كيف تم خلق أبيه الأول.. وإن ادعى ذلك مدع طالبناه بالدليل وسألناه: هل دليله التجربة؟ وبالبداهة ان التجربة تعتمد وتقوم على المجهر والتحليل الكيماوي، وأين هو الإنسان الأول حتى يراه الباحثون على شريحة المجهر، أو يحللوا في مختبراتهم أعضاء والعناصر التي تألفت منها هذه الأعضاء. أو أن المدعي يستدل بالعقل... وليس من شك أن معرفة العقل بأصل الإنسان وكيف تم خلقه تماماً كمعرفته باسم والده وحسبه ونسبه، وبقامته طولاً وعرضاً. أو يستند المدعي إلى الحفريات... وقد أعلن أهل الاختصاص أن أحدث الحفريات تقول: إن الإنسان كان موجوداً على وجه الأرض منذ مليون سنة على التقريب...

وبالبداهة ان هذا شيء، وأصل الإنسان شيء آخر... وحتى الآن ما تجرأ أحد على الزعم بأنه عثر على رفات آدم أبي البشر وحطامه... أو أن المدعي يعتمد النقل والرواية... والشرط الأول في النقل أن يروي ما رأت العين وشاهدت، وأي عين رأت خلق جدّها وأبيها، بل أي عين رأت خلق نفسها بالذات؟ ﴿أَشْهَدُوا خَلَقْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]... ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وإذن لا سبيل على الإطلاق إلى العلم بأصل الإنسان الأول، وكيف خلق إلا الوحي من خالق الإنسان، وعلى هذا الوحي وحده اعتمد الإمام عليه السلام عن خلق الإنسان وأصله.

والإنسان سلسلة متصلة الحلقات، تبتدى بآدم أبي البشر، ولا ندري بأي مولود تنتهي... ولا يختلف مؤمن وجاحد على الإنسان بجميع أفراده، من كان منه ومن يكون؛ هو من تربة هذه الأرض ومائها وهوائها، وأنه يعيش عليها كضيف مؤقت، ثم يعود إليها لا محالة...

أبداً لا خلاف في شيء من ذلك، وإنما الخلاف: هل كان للإنسان وجود سابق في عالم آخر غير هذه الأرض؟ وكيف وجد عليها؟ هل وجد أول ما وجد على صورته الحالية أو على غيرها؟ ومتى بدأ ظهوره على الأرض؟ وما هي العناصر التي تألف منها؟ ومن الذي أوجده؟ وما هو الهدف من وجوده؟ وهل له رسالة خاصة في هذه الدنيا أو أنه لا رسالة له إلا أن يصنع نفسه على إرادته وحرية وهواه كما يقول الوجوديون... وأيضاً هل يخرج من الأرض بعد موته، ويعود ثانية إلى الحياة؟... إلى غير ذلك من الموضوعات والخلافات..

ما أعجب الإنسان!.. إنه يبحث عن نفسه بنفسه، وربما هو الكائن الوحيد الذي امتاز بهذا الوصف.. ومع ذلك قال بعض أفراد الإنسان: كان أبوه قرداً فطور، وترقى. وقال آخر: كلا، إن أباه تولد من عفونة القذارات تماماً كما تتولد الحشرات!.. ولا أدري: هل يدلنا هذا القول وذاك على أن الإنسان أنواع وأقسام: منها قروء، ومنها حشرات في صورة الإنسان.. وأنه يتعد عن كمال الله كل البعد كما تتعد النملة عن حقيقة الإنسان وكماله؟..

ومهما يكن فإن ما قاله الإمام عليه السلام هنا عن أصل الإنسان هو شرح وتفسير لما جاء في القرآن الكريم .

المعنى :

خلق الله سبحانه آدم من جسم وروح ، ولكن بالتدرج لا دفعة واحدة ، كمثل الباني يبنى حجراً على حجر - المثل للتقريب - فخلق أولاً جسماً بلا روح وأيضاً خلق هذا الجسم على أطوار كما يظهر من قول الإمام عليه السلام . وهذه الأطوار أربعة ، وهي :

١ - (ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها ، وعذبها وسببخها تربة) . حاكت مخيلة الإنسان عن خلقه ووجوده أساطير وخرافات تماماً كما حاكتها حول خلق الكون وما فيه ، وربما أكثر! من ذلك أن الإنسان كان موجوداً في عالم غير محسوس قبل وجوده على هذه الأرض! . . ولكن نصوص القرآن تأبى ذلك وتقول : خلق الله آدم من تربة أرضنا هذه ، وأنه تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن خلق جسمه وسواه . . قال الكليني في أصول الكافي : سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ فقال : «هي روح الله مخلوقة خلقها سبحانه في آدم» .

وقول الإمام : «جمع سبحانه تربة» صريح في أن آدم لم يكن له عين ولا أثر قبل هذه الأرض ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] أي لم يكن في هذه الأرض فكان . . فأبونا آدم من تراب ، ونحن أيضاً في

لحمنا ودمنا من تراب، لأن ما نأكله من اللحوم والحبوب والفواكه والخضار والنبات، كل ذلك كان في الأصل ماء وتراباً: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [غافر: ٦٧].

أما قوله ﷺ: (من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبغها) فهو إشارة إلى أن الإنسان كأمة الأرض يجمع في استعداده وغرائزه بين المتناقضات والمفارقات كالطيب والخبيث، والأسود والأبيض، قال الرسول الأعظم ﷺ: «خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على مثل الأرض، منهم الأسود والأبيض والأحمر، وما بين ذلك».

٢ - (سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلبة حتى لزبت).
يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١]. وقوله في الآية ١١ من الصفات: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.

وتسأل: لماذا لم يخلق الله آدم بكلمة «كن»؟. وما هي الحكمة لخلقه من تراب، أليس الله على كل شيء بقدير؟.

الجواب: قال البعض: أراد سبحانه أن يعلم الناس الروية والأناة وعدم الاستعجال في أمورهم. . أما نحن فنظن أنه تعالى أراد أن يعلم الناس أنهم في الخلق سواء، لا فضل لأبيض على أسود، كما قال الرسول الأعظم ﷺ: «كلكم من آدم، وآدم من تراب» . . . وأن يعتبروا بقدرة الله التي خلقت من المادة الصماء إنساناً عاقلاً يفعل الأعاجيب، ويومئ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ

تُرَابٍ﴾ [الكهف: ٣٧]. وأيضاً أن يستدل الإنسان على النشأة الثانية بالأولى كما تشير الآية ٥ من سورة الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيِّنَاتِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾. وقال الإمام: «عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى، وهو يرى النشأة الأولى!».

وعلى أي حال فإن الأرض هي البيئة الطبيعية للإنسان، ومصدر حياته وحضارته وفيها يتعرف على خالقه ويعبده، ومنها يثب إلى السماء والكواكب، وإليها يعود، ولا غنى له عنها بحال حدوثاً وبقاءً؛ وهي في غنى عنه في كل الأحوال.

٣ - (فجعل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول). ضمير منها يعود إلى التربة، والمراد بالصورة صورة آدم، قال سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَاخْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. وفي جسم الإنسان أجزاء كالرأس واليدين والصدر والرجلين وإليها أوماً بكلمة أعضاء، وفيه أضلاع، وإليها أشار بالأحناء، وفيه مفاصل، وهي ملتقى العظام ولولاها لعجز الإنسان عن الحركة، وقد عبّر الإمام عنها بالفصول، وفيه عصب يشد الأعضاء بعضها إلى بعض، وهي المقصودة من كلمة وصول من الوصل.

٤ - (أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلبت، لوقت معدود، وأمد معلوم). بعد أن صار الماء والتراب جمداً وتماسكت أجزاؤه، وأصبح جسماً واحداً، يابساً ومتيناً، إذا هبت عليه الريح سُمع له صلصلة، وأسند جمود الطين وصلصلته إلى الله، لأنه هو الذي خلق التراب والماء، ومزجهما حتى صارا طيناً.

وبهذه الأطوار الأربعة تم الجسم وكمل، ومع هذا أبقاه سبحانه بلا روح إلى أمد معين، لأن حكمته تعالى قضت أن يكون لكل أجل كتاب.

الروح:

(ثم نفخ فيه من روحه). اختلفوا في معنى الروح من حيث هي، وبصرف النظر عن التي نفخها سبحانه في آدم أو مريم، فمنهم من قال: إن الله سبحانه حجب علمها من العباد، فلا ينبغي الحديث عنها بحال لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال آخر: هي على هيئة الإنسان، لها رأس ويدان، وبطن ورجلان، ولكنها ليست إنساناً... وقال ثالث: هي نور لطيف وهواء خفيف. ونُقل عن فلاسفة اليونان أنهم يفرقون بين العقل والروح والنفس، فالعقل أرفع وأشرف من الروح، وهي أشرف من النفس.

وللروح في لغة القرآن معانٍ، منها الرحمة: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ زَوْجِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] ومنها جبرئيل: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. والقاسم المشترك لمعنى الروح هو كل ما يحيا به الشيء مادياً ومعنوياً.

أما المراد بالروح التي نفخها سبحانه في آدم فهي الحياة... حتى ولو كان للروح ألف معنى ومعنى، لأن الحديث في كلام الإمام عليه السلام وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] مساق عن جسد آدم الذي بقي جماداً بلا روح لوقت

معدود، وأمد معلوم . . ومثلها تماماً الروح التي نفخها سبحانه في مريم: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] أي أنه تعالى خلق جنيناً في رحم مريم بلا تلقيح .

وكفى شاهداً على هذه الحقيقة عظمة محمد ﷺ سيد الكونين الذي قال: إنما أنا بشر . . . إن الإنسان تماماً كالكون في عظمته وأسراره، كلما اكتشف منه سر خفيت منه أسرار . . . ومن أجل هذا أطلق بعضهم على الكون اسم الإنسان الكبير، وعلى ابن آدم اسم الإنسان الصغير أو الكون الصغير . ولهذا التسمية وجه وجهه، فحتى الآن - وعلى الرغم من تقدم العلوم التي رفعت الإنسان إلى القمر - لم ينجح العلماء في التعرف على حقيقة الإنسان، وكل ما فيه من طاقات وأسرار .

وإذا كانت حقيقة كل شيء هي ما يحققه ذلك الشيء فقد حقق الإنسان أعجب من العجب، وما سوف يحققه في المستقبل القريب أو البعيد يفوق التصور، ويستحيل التنبؤ به . . .

وبهذا نجد السر لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وتدركون أن لهذا الإنسان العجيب خالقاً أكمل وأعظم؟ . . .

قال الفيلسوف الإنكليزي «جون لوك»: صحيح أن الله سبحانه لم يطبع حروفاً في عقولنا نقرأها عن وجوده، ولكنه أودع فينا إحساساً وإدراكاً لا نحتاج معه إلى برهان أوضح على وجوده ما دمنا نحمل ذاتنا معنا، وإذن نحن لا نستطيع أن نشكو من جهلنا بذلك، وبالتالي

فلا نحتاج لكي نعلم ونؤمن بوجود الله إلى شيء أبعد من أنفسنا فإنها كافية وافية للدلالة على وجوده تعالى.

(معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشياء المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة من الحر والبرد، والبله والجمود). يشير الإمام عليه السلام بهذا إلى أن في طبيعة الإنسان ومزاجه قوى وعناصر، منها ما ينسجم بعضها مع بعض كانسجام العلم مع الحلم، والصدق مع الوفاء، وكنسجام الجبن مع البخل، والكذب مع الرياء ومنها ما يختلف بعضها مع الآخر، كاختلاف الرضى والغضب، والضحك والبكاء، والحفظ والنسيان، وغير ذلك . . . وكلها لخير الإنسان وصالحه، وبقائه واستمراره، ولو نقصت منه صفة واحدة لاختل توازن الإنسان، ولم ينتفع بشيء . . . ونضرب لذلك مثلاً واحداً: لولا النسيان لتراكت الهموم على الإنسان، ولم يستمتع بشيء، ولانتهت حياته في أمد قصير. ولولا الحفظ لانسد باب العلم بشتى أنواعه، بل ولم يهتد الإنسان إلى أمه وأبيه، وصاحبه وبنيه، وإذا خرج من بيته استحال أن يعود إليه.

وهكذا سائر الصفات المتباعدة منها والمتقاربة وكلها تجري على نظام مشترك، وقدر جامع، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على وحدة الخالق والمدير الذي لا إله إلا هو: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وإن في الإنسان خاصية المعادن، وهي الكون والفساد، وخاصية النبات، وهي النمو والغذاء، وخاصية الحيوان، وهي الحس

والحركة، وخاصية الإنسان، وهي الفكر والإدراك، وخاصية الملائكة، وهي الطاعة والحياة.

وهكذا، ما من كائن في الأرض والسماء - ما عدا الله سبحانه - إلا وقد أخذ الإنسان شيئاً منه :

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

من عجائب معرفته بالإنسان

قال ﷺ : خلق الإنسان من اثني عشر وصلاً وعلى مائتين وستة وأربعين عظماً. وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً.

فالعروق هي التي تسقي الجسد كله والعظام تمسكها واللحم يمسك العظام والعصب يمسك اللحم، وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً في كل يد واحد وأربعون عظماً، منها في كفه خمسة وثلاثون عظماً، وفي ساعده اثنان، وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة وكذلك في يده الأخرى، وفي رجله ثلاثة وأربعون عظماً، منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة، وفي فخذه واحد، وفي وركه اثنان وكذلك في رجله الأخرى، وفي صلبه ثمان عشرة فقارة، وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع، وفي عنقه ثمانية، وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً، وفي فيه ثمانية وعشرون واثنان وثلاثون.

قال ﷺ الطبائع أربع، الدّم وهو عبد وربما قتل العبد سيده، والريح وهو عدو إذا سدّت له باباً أتاك من آخر، والبلغم وهو ملك

يداري [يداري - خ]، والمرة وهي الأرض إذا رجفت رجفت بمن عليها.

قال علي عليه السلام : «العلم ثلاثة : الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنحو للسان».

«المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعود كل بدن ما اعتاد».

وقال عليه السلام في حواء : معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن يدبرن أمر العيال، فإنهن إن تركن وما أردن أو ردن المهالك، وعدون أمر المالك.

فإن وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن، ولا صبر لهن عند شهوتهن، البذخ لهن لازم وإن كبرن، والعجب بهن لا حق وإن عجزن، لا يشكرن الكثير إذا منعن القليل، ينسين الخير، ويحفظن الشر، يتهافتن بالبهتان ويتمادين في الطغيان، ويتصدّين للشيطان، تعوذوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر خبروهن على كل حال، وأحسنوا لهن المقال، لعلهن يحسن الفعال وقال يا حبيبي رسول الله ﷺ : طاعة المرأة ندامة.

ومن خطب له ﷺ في خلق أصناف من الحيوان

ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والبصائر مدخولة. ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر!

ومن خطبة له ﷺ في النملة:

انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصبّت على رزقها، تنقل الحبة إلى حجرها، وتعدّها في مستقرها، تجمع في حرّها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفولٌ برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المئتان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس، والحجر الجامس!

ولو فكّرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنّها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً! فتعالى الذي أقامها على

قوائمها، وبنائها على دعائمها! لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر.

ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر التَّملة هو فاطر النُّخلة، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حي.

وما الجليل واللطيف، والثقل والخفيف، والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء. وكذلك السماء والهواء، والرياح والماء. فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفة.

فالويل لمن أنكر المقدر، وجحد المدبر!

زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق لما دعوا، وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جان؟

ومن خطبة له ﷺ في الطاوس:

«ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات، وساكن وذوي حركات. وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته، وعظيم قدرته، ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له، ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته، وما ذراً من مختلف صور الأطيوار التي أسكنها أخايد الأرض، وخروق فجاجها، ورواسي أعلامها، من

ذات أجنحة مختلفة وهيئات متباينة، مصرفة في زمام التسخير، ومرفرفة بأجنتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج.

ومن أعجبها خلقاً «الطاووس»، الذي أقامه في أحسن تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح أشرج قصبه، وذنب أطال مسجبه. إذا درج إلى الأنثى نشره من طيته، وسما به مطلاً على رأسه. . . . يختال بألوانه، ويميس بزيفانه. يفضي كإفضاء الديكة، ويؤرّ بملاحقته أرّ الفحول المغتلمة للضراب. أحيلك من ذلك على معاينة، لا كمن يحيل على ضعيف إسناده. ولو كان كزعم من يزعم أنه يلحق بدمعة تسفحها مدامعه، فتقف في ضفتي جفونه، وأن أنثاه تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس، لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب!

تخال قصبه مداري من فضة، وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه، خالص العقيان وפלذ الزبرجد. فإن شَبّهته بما أنبتت الأرض قلت: جَنَى جُنِي من زهرة كل ربيع. وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل، أو كمونق عصب اليمن. وإن شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكمل. يمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحه، فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله، وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقاً معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية.

وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية، وله في موضع

العرف قنزعة خضراء ومخرج عنقه كالإبريق ومغرزاها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال، وكأنه متلفع بمعجر أسحم، إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه، أن الخضرة الناضرة ممتزجة به، ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان، أبيض يقق فهو بياضه في سواد ما هنالك يأتلق، وقل صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالأزاهير المبتوثة، لم تُربها أقطار ربيع ولا شمس قيط.

وقد ينحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى، وينبت تباعاً فينحط من قصبه انحطت أوراق الأغصان ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيشته قبل سقوطه، لا يخالف سالف ألوانه، ولا يقع لون في غير مكانه. وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه، أرتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية وأحياناً صفرة عسجدية، فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقل أجزائه قد أعجز أن تدركه والألسنة أن تصفه!

فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون، فأدركته محدوداً مكوناً، ومؤلفاً ملوناً وأعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعتة!

ومن خطبة له ﷺ في الخفاش:

«ومن لطائف صنعته، وعجائب حكمته، ما أرانا من غوامض

الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء،
وببسطها الظلام القابض لكل حي. وكيف عشت أعينها عن أن
تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهدي به في مذهبها، وتتصل بعلائية
برهان الشمس إلى معارفها، وردعها بتلاؤ ضيائها عن المضي في
سبحات إشراقها، وأكثها في مكانها عن الذهاب في بلج اثلاقها.
فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها، وجاعلة الليل سراجاً تستدل
به في التماس أرزاقها، فلا يرد أبصارها أسداف ظلمته، ولا تمتنع من
المضي في سبحات إشراقها، وأكثها في مكانها عن الذهاب في بلج
اثلاقها. فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها، وجاعلة الليل
سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها، فلا يرد أبصارها أسداف ظلمته،
ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته، فإذا ألفت الشمس قناعها،
وبدت أوضاع نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضباب في
وجارها، أطبقت الأجفان على مآقيها، وتبلى بما اكتسبته من
المعاش في ظلم لياليها.

فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكناً
وقراراً. وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى
الطيران، كأنها شظايا الآذان، غير ذوات ريش ولا قصب، إلا أنك
ترى مواضع العروق بينةً أعلاماً. لها جناحان لمّا يرقا فينشقا، ولم
يغلظا فيثقلّا. تطير وولدها لاصقٌ بها، لاجئٌ أركانه إليها، يقع إذا
وقعت، ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ويحمله
للهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه، ومصالح نفسه.

فسبحان البارئ لكل شيء، على غير مثال خلا من غيره.

تعليق: يقال في الأحاديث العامة: «قيل للخفاش لماذا لا جناح لك؟» قال: «لأنني تصوير مخلوق» قيل: «فلماذا لا تخرج نهاراً؟» قال: «حياء من الطيور. يعنون أن المسيح ﷺ صورته وأن إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

ومن خطبة له ﷺ في الجراد:

وإن شئت قلت في الجراد، إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمرأوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض يرهبا الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم متى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي شهواتها، وخلقها كله لا يكون اصبعاً مستدقة: فتبارك الله الذي يسجد له من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً.

علي ﷺ وتسبيح المخلوقات

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.

ما يقول الحيوان في كلامه

عن ابن عباس قال شهدنا مجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإذا نحن بعدة من العجم فسلموا عليه فقالوا جئناك لنسألك عن ست خصال فإن أنت أخبرتنا آمنا وصدقنا وإلا كذبنا وجحدنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام سلوا متفقهين ولا تسألوا متعنتين، قالوا: أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله والحمار في نهيقه والدراج في صياحه والقنبرة في صفيها والديك في نعيقه والضفدع في نقيقه، فقال عليه السلام : إذا التقى الجمعان ومشى الرجال إلى الرجال بالسيوف يرفع الفرس رأسه فيقول سبحان الملك القدوس، ويقول الحمار في نهيقه اللهم العن العشارين، ويقول الديك في نعيقه بالأسحار اذكروا الله يا غافلين، ويقول الضفدع في نقيقه سبحان المعبود في لجج البحار ويقول الدراج في صياحه الرحمن على العرش استوى، وتقول القنبرة في صفيها اللهم العن مبغضي آل محمد.

قال فقالوا آمنا وصدقنا وما على وجه الأرض من هو أعلم منك، فقال عليه السلام : ألا أزيدكم قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال: إن للفرس في كل يوم ثلاث دعوات مستجابات يقول في أول النهار وسع على سيدي الرزق، ويقول في وسط النهار اللهم اجعلني أحب إلى سيدي من أهله وماله، ويقول في آخر نهاره اللهم ارزق سيدي على ظهري الشهادة.

عجائب خلق الحيوان

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُنْزِلَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ يُسَبِّحُ لَهُ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمُوتُ بَلَدًا وَيَمُوتُ بَلَدًا﴾ .

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً منعماً، والبعير لا يطيقه عذّة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي، والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه، حتى يضع النير على عنقه ويحرث به، والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه، والقطيع من الغنم يرهه واحد، ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان كانت كذلك، إلا بأنها عدمت العقل والروية، فإنها لو كانت تعقل وتروى في الأمور كانت خليفة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه، وتتفرق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور.

والثعلب إذ أعوزه الطعم، تماوت ونفخ بطنه، حتى يحسبه الطير ميتاً، فإذا وقعت عليه لتنهشه، وثب عليها فأخذها، فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة، إلا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه، فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى

عليه السباع من مساورة الصيد، أعين بالدهاء والفتنة والاحتتيال لمعاشه.

انظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت وإعداده، فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب إلى زبيتها، بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجذّ والتشمير ما ليس للناس مثله، أما تراهم يتعاونون على الثقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحب فيضمّونه قطعاً، لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف، ثم لا يتخذ النمل الزبية إلا في نشز من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكلّ هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله جلّ وعزّ.

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض، والتفريخ، وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطأ، بل تنبعث وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعم، حتى يجمع لها البيض، فتحضنه وتفرخ، فلم كان ذلك منها إلا لإقامة النسل، ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية لها ولا تفكير، لولا أنها مجبورة على ذلك.

اعتبر بخلق البيضة، وما فيها من المَخّ الأصفر الخائر والماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، وبعضه ليغتذى به، إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء إليها جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها، كمن يحبس في

حبس حصين لا يوصل إلى من فيه، فيجعل معه من القوات ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه .

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل، كمثّل البوم والهام والخفاش .

قلت: لا يا مولاي .

قال: إن معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب، وذلك أن هذه الضروب ماثلة في الجو لا يخلو منها موضع، واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار، اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير، فمن أين يأتي ذلك كله، إلا من القرب، فإن قال قائل: إنه يأتي من الصحاري والبراري، قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد، وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه، مع أن هذه عياناً تنهافت على السراج من قرب، فيدلّ ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها .

فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو، واعرف ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة، التي عسى أن يظن ظان أنها فضل لا معنى له .

خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع، هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك أنه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر

وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكل هذا خلاف صفة للطير، ثم هو أيضاً مما يخرج بالليل، ويتقوت بما يسري في الجو من الفراش وما أشبهه.

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة، فإنك إذا تأملت العمل رأيت عجباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غيباً جاهلاً بنفسه فضلاً عما سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها، وسخره فيها لمصلحة الناس.

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه، فإنك إذا تأملت خلقه رأيت كآضعف الأشياء وإن دلفت عساكره نحو بلد من بلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه، ألا ترى أن ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه.

انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر، حتى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي، متى كان تجتمع منه هذه الكثرة، وفي كم سنة كان يرتفع، فاستدل بذلك على القدرة التي لا يؤدها شيء، ولا يكثر عليها.

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه، فإنه خلق غير ذي قوائم، لأنه لا يحتاج إلى المشي، إذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رئة، لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه، كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة، وكسا جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حس في الشَّم لأن بصره ضعيف، والماء يحجبه، فصار يشم الطعم من البُعد البعيد، فينتجعه فيتبعه، وإلا فكيف يعلم به وبموضعه، واعلم أن من فيه إلى صماخه منافذ، فهو يعب الماء بفيه، ويرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك، كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم.

فَكَرَّ الآن في كثرة نسله وما خُصَّ به من ذلك، فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فإن أكثرها يأكل السمك، حتى أن السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك، فإذا مرَّ بها خطفته، فلما كانت السباع تأكل السمك، والطير يأكل السمك، والناس يأكلون السمك، والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

من معجزاته في انقياد الحيوانات له

من كتاب الأربعين لمحمد بن مسلم بن أبي الفوارس، عن

محمد بن عبد اللطيف بشيراز عن الكيادار بن يوسف الديلمي، عن محمود بن محمد التبريزي عن دانيال بن إبراهيم عن أبي الرايات بن أحمد البزاز، عن أبي عبد الله السيرافي عن أبي عبد الله المهروقاني المؤدّب، عن شبيب بن سليمان الغنوي، عن العامون بن محمد الصيني، عن مسلم بن أحمد السّمان، عن حبة بنت زريق من بعض حشم الحفية قالت: حدثني زوجي منقذ بن الأبقع الأسدي أحد خواص علي عليه السلام قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في النصف من شعبان وهو يريد موضعاً له كان يأوي فيه بالليل، وأنا معه حتى أتى الموضع، فنزل عن بغلته، ورفعت عن أذنيها وجذبتني، فحس بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ما وراءك؟ فقلت: فذاك أبي وأمي البغلة تنظر شيئاً وقد شخصت إليه وتحمحم ولا أدري ماذا دهاها، فنظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى سواد فقال: سبع وربّ الكعبة فقام من محرابه متقلداً سيفه فجعل يخطو، ثم قال: صاح به «قف» فخفّ السبع ووقف، فعندها استقرت البغلة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا ليث أما علمت أني الليث وأنّي الضرغام والقصور والحيدر؟ ثم قال: ما جاء بك أيها الليث؟ ثم قال: اللهم أنطق لسانه، فقال السبع: يا أمير المؤمنين ويا خير الوصيّين ويا وارث علم النبيين ويا مفرّق بين الحق والباطل ما افترست منذ سبع شيئاً، وقد أضرب بي الجوع، ورأيتكم من مسافة فرسخين فدنوت منكم وقلت: أذهب وأنظر ما هؤلاء القوم ومن هم، فإن كان بهم لي مقدرة ويكون لي فيهم فريسة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام مجيباً له: أيها الليث أما علمت أني

عليّ أبو الأشبال الأحد عشر، برائني أمثل من مخالبك، وإن أحببت أريتك، ثم امتد بين يديه وجعل يمسح يده على هامته ويقول: ما جاء بك يا ليث؟ أنت كلب الله في أرضه، قال: يا أمير المؤمنين الجوع الجوع، قال: فقال: اللهم إنه يرزق بقدر محمد وأهل بيته، قال: فالتفت فإذا بالأسد يأكل شيئاً كههيئة الجمل حتى أتى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين والله ما نأكل نحن معاشر السباع رجلاً يحبك ويحب عترتك، فإن خالي أكل فلاناً، ونحن أهل بيت ننتحل محبة الهاشمي وعترته، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام أيها السبع أين تأوي وأين تكون؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني مسلط على كلاب أهل الشام وكذلك أهل بيتي، وهم فريستنا ونحن نأوي النيل، قال: فما جاء بك إلى الكوفة؟ قال: يا أمير المؤمنين أتيت الحجاز فلم أصادف شيئاً وأنا في هذه البرية والفيافي التي لا ماء فيها ولا خير موضعي هذا وإني لمنصرف من ليلتي هذه إلى رجل يقال له: سنان بن وابل فيمن أفلت من حرب صفين ينزل القادسية وهو رزقي في ليلتي هذه، وإنه من أهل الشام وأنا إليه متوجه.

ثم قام من بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي: مم تعجبت؟ هذا أعجب من الشمس أم العين أم الكواكب أم سائر ذلك؟ فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أحببت أن أري الناس مما علمني رسول الله ﷺ من الآيات والعجائب لكانوا يرجعون كفاراً، ثم رجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى مستقره ووجهني إلى القادسية فركبت من ليلتي فوافيت القادسية قبل أن يقيم المؤذن الإقامة فسمعت الناس

يقولون: افترس سناناً السبع، فأتيته فيمن أناه ينظر إليه، فما ترك الأسد إلا رأسه وبعض أعضائه مثل أطراف الأصابع، وإنني على بابہ تحمل رأسه إلى الكوفة إلى أمير المؤمنين ﷺ فبقيت متعجباً، فحدثت الناس ما كان من حديث أمير المؤمنين ﷺ والسبع، فجعل الناس يتبركون بتراب تحت قدمي أمير المؤمنين ﷺ ويستشفون به، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس ما أحبنا رجل فدخل النار وما أبغضنا رجل فدخل الجنة، وأنا قسم الجنة والنار أقسم بين الجنة والنار، هذه إلى الجنة يميناً وهذه إلى النار شمالاً تقول جهنم يوم القيامة: هذا لي وهذا لك، حتى تجوز شيعتي على الصراط كالبرق الخاطف والرعد العاصف وكالطير المسرع وكالجواد السابق. فقام الناس إليه بأجمعهم عنقاً واحداً وهم يقولون: الحمد لله الذي فضلك على كثير من خلقه، قال: ثم تلا أمير المؤمنين ﷺ هذه الآية: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ١٧٦ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ.

ذكر الرضي في كتاب خصائص الأئمة بإسناده عن ابن عباس قال: كان رجل على عهد عمر وله إبل بناحية آذربايجان قد استصعبت عليه، فشكا إليه ما ناله، وإن معاشه كان منها، فقال له: اذهب فاستغث بالله تعالى، فقال الرجل: ما زلت أدعو الله وأتوسل إليه وكلما قربت منها حملت عليّ فكتب له عمر رقعة فيها «من عمر أمير المؤمنين إلى مرده الجن والشياطين أن يذللوا هذه المواشي له» فأخذ

الرجل الرقعة ومضى، فقال عبد الله بن عباس: فاغتممت غماً شديداً، فلقيت علياً عليه السلام فأخبرته بما كان، فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليعودن بالخبيبة، فهذا ما بي وطالت علي شقتي، وجعلت أرقب كل من جاء من أهل الجبال، فإذا أنا بالرجل قد وافى وفي جبهته شجة تكاد اليد تدخل فيها فلما رأيته بادرت إليه فقلت: ما وراءك؟ فقال: إني صرت إلى الموضع ورميت الرقعة، فحمل علي عدد منها فهالني أمرها، ولم يكن لي قوة، فجلست فرمحتني أحدها في وجهي، فقلت: اللهم اكفنيها، وكلها تشد علي وتريد قتلي، فانصرفت عني، فسقطت فجاء أخي فحملني ولست أعقل، فلم أزل أتعالج حتى صلحت، وهذا الأثر في وجهي، فقلت له: صر إلى عمر وأعلمه، فصار إليه وعنده نفر، فأخبره بما كان فزبره، فقال له: كذبت لم تذهب بكتابي، فحلف الرجل لقد فعل، فأخرجه عنه.

قال ابن عباس: فمضيت به إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتبسم ثم قال: ألم أقل لك؟ ثم أقبل على الرجل فقال له: إذا انصرفت إلى الموضع الذي هي فيه فقل: «اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة وأهل بيته الذين اخترتهم على علم على العالمين، اللهم ذلل لي صعوبتها واكفني شرها، فإنك الكافي المعافي والغالب القاهر» قال: فانصرف الرجل راجعاً، فلما كان من قابل قدم الرجل ومعه جملة من المال قد حملها من أثمانها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وصار إليه وأنا معه، فقال عليه السلام: تخبرني أو أخبرك؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين بل تخبرني، قال: كأنني بك وقد صرت إليها فجاءتك ولاذت بك

خاضعة ذليلة، فأخذت بنواصيها واحدة واحدة، فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين كأنك كنت معي هكذا كان فتفضل بقبول ما جئتك به، فقال: امض راشداً بارك الله لك، وبلغ الخبر عمر فغمه ذلك، وانصرف الرجل، وكان يحج كل سنة وقد أنمى الله ماله فقال أمير المؤمنين ﷺ: كل من استصعب عليه شيء من مال أو أهل أو ولد أو أمر فليبتهل إلى الله بهذا الدعاء، فإنه يكفي مما يخاف الله إن شاء الله.

قال: حدثني سلمان الفارسي في خبر: كنا مع رسول الله ﷺ في يوم مطير ونحن ملتفتون نحوه، فهتف هاتف: السلام عليك يا رسول الله، فرد ﷺ وقال: «من أنت؟» قال: عرفطة بن شمراخ أحد بني نجاح، قال: «أظهر لنا رحمك الله في صورتك» قال سلمان: فظهر لنا شيخ أذب أشعر، قد لبس وجهه شعر غليظ متكاثف قد واره، وعيناه مشقوقتان طولاً، وفمه في صدره فيه أنياب بادية طوال، وأظفاره كمخالب السباع.

فقال الشيخ: يا نبي الله ابعث معي من يدعو قومي إلى الإسلام أنا أردته إليك سالماً، فقال النبي: «أيكم يقوم معه فيبلغ الجن عني وله الجنة؟» فلم يقم أحد فقال ثانية وثالثة فقال عليّ ﷺ: (أنا يا رسول الله)، فالتفت النبي ﷺ إلى الشيخ فقال: «وافني إلى الحرة في هذه الليلة، أبعث معك رجلاً يفصل حكمي وينطق بلساني، ويبلغ الجن عني»، قال: فغاب الشيخ ثم أتى في الليل وهو على بعير كالشاة، ومعه بعير آخر كارتفاع الفرس، فحمل النبي علياً عليه

وحملني خلفه وعصب عيني وقال: «لا تفتح عينيك حتى تسمع علياً يؤذن ولا يروحك ما ترى فإنك آمن»، فسار البعير فدفع سائراً يدف كدفيف النعام، وعليّ يتلو القرآن، فسرنا ليلتنا حتى إذا طلع الفجر أذن عليّ وأناخ البعير وقال: (انزل يا سلمان)، فحلت عيني ونزلت، فإذا أرض قوراء فأقام الصلاة وصلى بنا، ولم أزل أسمع الحس حتى إذا سلم عليّ التفت فإذا خلق عظيم، وأقام عليّ يسبح ربه حتى طلعت الشمس ثم قام خطيباً فخطبهم فاعترضته مرده منهم فأقبل عليّ ﷺ فقال: (أبالحق تكذبون، وعن القرآن تصدقون، وبآيات الله تجحدون)، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: (اللهم بالكلمة العظمى، والأسماء الحسنى، والعزائم الكبرى، والحي القيوم، ومحبي الموتى ومميت الأحياء، ورب الأرض والسماء، يا حرسه الجن ورسدة الشياطين، وخدام الله الشرهاليين، وذوي الأرحام الطاهرة اهبطوا بالجمرة التي لا تطفأ، والشهاب الثاقب والشواظ المحرق والنحاس القاتل، بكهيعص والطواسين والحواميم و﴿يَسْ﴾ [يس: ١] و﴿تْ وَأَلْقِرْ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] و﴿وَالذَّرِيَّتْ﴾ [الذاريات: ١] و﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١] و﴿وَالطُّورِ﴾ [١] وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ﴿١﴾ فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ ﴿١﴾ [الطور: ١ - ٣] والبيت المعمور والأقسام العظام ومواقع النجوم لما أسرعتم الانحدار إلى المردة المتولعين المتكبرين الجاحدين آثار رب العالمين.

قال سلمان: فأحسست بالأرض من تحتي ترتعد وسمعت في الهواء دويّاً شديداً، ثم نزلت نار من السماء صعق كل من رآها من

الجن وخرت على وجوها مغشياً عليها، وسقطت أنا على وجهي فلما أفقت إذا دخان يفور من الأرض فصاح بهم علي: (ارفعوا رؤوسكم فقد أهلك الله الظالمين)، ثم عاد إلى خطبته فقال: (يا معشر الجن والشياطين والغيلان وبني شمراخ وآل نجاح وسكان الآجام، والرمال والقفار، وجميع شياطين البلدان اعلموا أن الأرض قد ملئت عدلاً كما كانت مملوءة جوراً، هذا هو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأني تصرفون، فقالوا: آمنا بالله ورسوله وبرسول رسوله، فلما دخلنا المدينة قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «ماذا صنعت؟» قال: (أجابوا وأذعنوا)، وقص عليه خبرهم فقال: «لا يزالون كذلك هائبين إلى يوم القيامة».

علي عليه السلام يعلم منطق الطير

ومن وفور علمه أنه عبّر عن منطق الطير والوحوش والدواب، زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام علمنا منطق الطير كما علمه سليمان بن داود، كل دابة في برّ أو بحر.

ابن عباس قال: قال علي عليه السلام نقيق الديك: اذكروا الله يا غافلين، وصهيل الفرس: اللهم انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين، ونهيق الحمار: أن يلعن العشارين وينهق في عين الشيطان، ونقيق الضفدع: سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار، وأنين القبرة: اللهم العن مبغضي آل محمد.

معجزته ﷺ مع طير الاوز

محمد بن وهبان الأزدي الديلمي في معجزات النبوة عن البراء بن عازب في خبر عن أمير المؤمنين، أنه عبر في السماء خيط من الاوز طائراً على رأس أمير المؤمنين فصرصرن وصرخن، فقال أمير المؤمنين: (قد سلمن عليّ وعليكم) فتغامز أهل النفاق بينهم فقال أمير المؤمنين: يا قنبر ناد بأعلى صوتك: (أيها الاوز أجيئوا أمير المؤمنين) فقال: (قل لها انزلن) فلما قال لها رأيت الاوز وقد ضربت بصدورها إلى الأرض حتى صارت في صحن المسجد على أرض واحدة، فجعل أمير المؤمنين يخطبها بلغة لا تعرفها وهن يلززن بأعناقهن إليه ويصرصرن، ثم قال لهن: انطقن بإذن الله العزيز الجبار قال: فإذا هن ينطقن بلسان عربي مبين: السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، (الخبر). وهذا كقوله تعالى: ﴿يَنْجِئُ آلَ يُوسُفَ إِذْ كَانُوا فِي شَرٍّ مُّضْتَرٍّ ۝١٠﴾ [سبأ: ١٠].

مع الفيلة

وفي حديث عمار لما أرسل النبي ﷺ علياً عليه السلام إلى مدينة عمان في قتال الجلندي بن كركرة وجرت بينهما حرب عظيمة وضرب وجيع، دعا الجلندي بغلام يقال له الكندي وقال له: إن أنت خرجت إلى صاحب العمامة السوداء والبغلة الشهباء فتأخذه أسيراً أو تطرحه مجدلاً عفيراً أزوجك ابنتي التي لم أنعم لأولاد الملوك بزواجها، فركب الكندي الفيل الأبيض وكان مع الجلندي ثلاثون فيلاً

وحمل بالأفيلة والعسكر على أمير المؤمنين فلما نظر الإمام ﷺ إليه نزل عن بغلته، ثم كشف عن رأسه، فأشرقت الفلاة طولاً وعرضاً ثم ركب ودنا من الأفيلة وجعل يكلمها بكلام لا يفهمه الآدميون، وإذا بتسعة وعشرين فيلاً قد دارت رؤوسها وحملت على عسكر المشركين، وجعلت تضرب فيهم يميناً وشمالاً حتى أوصلتهم إلى باب عمان، ثم رجعت وهي تتكلم بكلام يسمعه الناس: يا عليّ كلنا نعرف محمداً ونؤمن برب محمد إلا هذا الفيل الأبيض فإنه لا يعرف محمداً ولا آل محمد، فزعم الإمام زعقته المعروفة عند الغضب المشهورة، فارتعد الفيل ووقف فضربه الإمام بذي الفقار ضربة رمى رأسه عن بدنه فوق الفيل إلى الأرض كالجبل العظيم وأخذ الكندي من ظهره، فأخبر جبرئيل النبي ﷺ فارتقى على السور فنادى: «أبا الحسن هبه لي فهو أسيرك» فأطلق عليّ سبيل الكندي فقال: يا أبا الحسن ما حملك على إطلاقي، قال: (ويلك مد نظرك)، فمد عينيه فكشف الله عن بصره، فنظر النبي ﷺ على سور المدينة وصحابته فقال: من هذا يا أبا الحسن؟ فقال: (سيدنا رسول الله ﷺ) فقال كم بيننا وبينه؟ قال: (مسيرة أربعين يوماً)، فقال: يا أبا الحسن إن ربكم رب عظيم، ونبികم نبيّ كريم، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وقتل عليّ الجلندي وغرق في البحر منهم خلق كثير، وقتل منهم كذلك وأسلم الباقون، وسلم الحصن إلى الكندي وزوجه بابنة الجلندي، وأقعد عندهم قوماً من المسلمين يعلمونهم الفرائض.

من معجزاته في الإنسان والجمادات والنباتات

محمد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن عبد الله، عن أبي الجارود، عن القاسم بن وليد النهدي، عن الحارث قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهينا إلى العاقول: فإذا هو بأصل شجرة قد وقع لحاؤها وبقي عمودها، فضربها بيده ثم قال: ارجعي بإذن الله خضراء مثمرة، فإذا هي تهتز بأغصانها الكمثرى فقطعنا وأكلنا وحملنا معنا، فلما كان من الغد غدونا فإذا نحن بها خضراء فيها الكمثرى.

قال: صار إليه نفر من أصحابه - عن الثمالي عن رميلة - وكان ممن صحب علياً عليه السلام أصحابه فقالوا: إن وصي موسى كان يريهم الدلائل والعلامات والبراهين والمعجزات، وكان وصي عيسى يريهم كذلك، فلو أريتنا شيئاً تطمئن إليه قلوبنا، فقال: إنكم لا تحتملون علم العالم ولا تقولون على براهينه وآياته، فألحوا عليه، فخرج بهم نحو أبيات الهجريين حتى أشرف بهم على السبخة فدعا خفياً ثم قال: إكشفي غطاءك، فإذا بجنات وأنهار في جانب، وإذا بسعير ونيران من جانب، فقال جماعة: سحر سحر! وثبت آخرون على التصديق ولم

ينكروا مثله، وقالوا: لقد قال النبي ﷺ: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

روي الباقر ﷺ قال: قد شكأ أهل الكوفة إلى علي ﷺ زيادة الفرات، فركب هو والحسن والحسين، فوقف على الفرات وقد ارتفع الماء على جانبيه، فضربه بقضيب رسول الله ﷺ فنقص ذراع، وضربه أخرى فنقص ذراعان، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو زدتنا، فقال: إني سألت الله فأعطاني ما رأيتم وأكره أن أكون عبداً ملحاً.

روي عن أبي جعفر عن آبائه ﷺ أن الحسين بن علي ﷺ قال: كنا قعوداً ذات يوم عند أمير المؤمنين ﷺ وهناك شجرة رمان يابسة، إذ دخل عليه نفر من مبغضيه وعنده قوم من محبيه فسلموا، فأمرهم بالجلوس، فقال علي ﷺ: إني أرى اليوم آية تكون فيكم كمثل المائدة في بني إسرائيل، إذ يقول الله: ﴿إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ثم قال: انظروا الشجرة وكانت يابسة، فإذا هي قد جرى الماء في عودها، ثم اخضرت وأورقت وعقدت وتدلّى حملها على رؤوسنا، ثم التفت إلينا فقال للذين هم محبّوه: مدّوا أيديكم وتناولوا وكلوا، فقلنا بسم الله الرحمن الرحيم وتناولنا وأكلنا رماناً لم نأكل قط شيئاً أعذب منه وأطيب. ثم قال للنفر الذين هم يبغضوه: مدّوا أيديكم وتناولوا فمدوا أيديهم فارتفعت، فكلما مدّ رجل منهم يده إلى رمانة ارتفعت، فلم يتناولوا شيئاً، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما بال إخواننا مدّوا أيديهم وتناولوا وأكلوا ومددنا أيدينا فلم نتل؟ فقال ﷺ: وكذلك الجنة لا

ينالها إلا أولياؤنا ومحبونا، ولا يبعد منها إلا أعداؤنا ومبغضونا، فلما خرجوا قالوا: هذا من سحر علي بن أبي طالب عليه السلام قال سلمان: ماذا تقولون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون.....

علي عليه السلام وإحياء الفتى الميت

بالإسناد يرفعه إلى أبي جعفر ميثم التمار عليه السلام أنه قال: كنت بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام في جامع الكوفة في جماعة من أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو كأنه البدر بين الكواكب، إذ دخل علينا من باب المسجد رجل طويل عليه قباء خز أدكن، وقد أتم بعمامة صفراء وهو متقلد بسيفين، فدخل وبرك بغير سلام، ولم ينطق بكلام، فتناولت إليه الأعناق، ونظروا إليه بالآماق، وقد وقف عليه الناس من جميع الآفاق، ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام لا يرفع رأسه إليه، فلما هدأت من الناس الحواس أفصح عن لسانه كأنه حسام جذب عن غمده: أيكم المجتبي في الشجاعة والمعمم بالبراعة؟ أيكم المولود في الحرم والعالي في الشيم والموصوف بالكرم؟ أيكم الأصلع الرأس والبطل الدعاس والمضيق للأنفاس والآخذ بالقصاص؟ أيكم غصن أبي طالب الرطيب وبطله المهيب والسهم المصيب والقسم النجيب؟ أيكم خليفة محمد صلى الله عليه وآله الذي نصره في زمانه واعتز به سلطانه وعظم به شأنه؟

فعند ذلك رفع أمير المؤمنين عليه السلام رأسه إليه فقال: مالك يا أبا سعد بن الفضل بن الربيع بن مدركة بن نجيبة بن الصلت بن

الحارث بن وعران بن الأشعث بن أبي السمع الرومي؟ إسأل عما شئت، أنا عيبة علم النبوة، قال: قد بلغنا عنك أنك وصي رسول الله ﷺ وخليفته على قومه بعده، وأنك محل المشكلات، وأنا رسول إليك من ستين ألف رجل يقال لهم العقيمة، وقد حملوني ميتاً قد مات من مدة، وقد اختلفوا في سبب موته وهو بباب المسجد، فإن أحييته علمنا أنك صادق نجيب الأصل، وتحققنا أنك حجة الله في أرضه وخليفة محمد ﷺ على قومه، وإن لم تقدر على ذلك رددناه إلى قومه وعلمنا أنك تدعي غير الصواب وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ميثم اركب بعيرك وناد في شوارع الكوفة ومحالها: من أراد أن ينظر إلى ما أعطاه الله علياً أخا رسول الله وزوج ابنته من العلم الرباني فليخرج إلى النجف، فخرج الناس إلى النجف، فقال الإمام عليه السلام: يا ميثم هات الأعرابي وصاحبه، فخرجت ورأيت راكباً تحت القبة التي فيها الميت، فأتيت بهما إلى النجف، فعند ذلك قال علي عليه السلام: قولوا فينا ما ترون منا وارووا عنا ما تشاهدونه منا، ثم قال: يا أعرابي أبرك الجمل وأخرج صاحبك أنت وجماعة من المسلمين، قال ميثم: فأخرجت تابوتاً وفيه وطاء ديباج أخضر، وفيها غلام أول ما تم عذاره على خذّه، بذوائب كذوائب المرأة الحسنة، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: كم لميتكم؟ قال: أحد وأربعون يوماً، قال: وما سبب موته؟ فقال الأعرابي: يا فتى إن أهله يريدون أن أن تحييه ليخبرهم من قتله، لأنه

بات سالماً وأصبح مذبحاً من أذنه إلى أذنه، ويطالب بدمه خمسون رجلاً يقصد بعضهم بعضاً فاكشف الشك والريب يا أخا محمد، قال الإمام عليه السلام: قتله عمه، لأنه زوجه ابنته فخلاها وتزوج غيرها، فقتله حنقاً عليه، فقال الأعرابي: لسا نقنع بقولك فإننا نريد أن يشهد لنفسه عند أهله لترتفع الفتنة والسيف والقتال.

فعند ذلك قام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلى عليه وقال: يا أهل الكوفة ما بقرة بني إسرائيل بأجل عند الله مني قدراً. وأنا أخو رسول الله، وإنها أحيت ميتاً بعد سبعة أيام، ثم دنا أمير المؤمنين عليه السلام من الميت وقال: إن بقرة بني إسرائيل ضرب ببعضها الميت فعاش، وأنا أضرب هذا الميت ببعضي لأن بعضي خير من البقرة كلها، ثم هزه برجله وقال له: قم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة بن غسان بن بحير بن فهر بن سلامة بن الطيب بن الأشعث، فما قد أحياك الله تعالى على يد علي بن أبي طالب، قال مثير التمار، فنهض غلام أضوا من الشمس أضعافاً ومن القمر أوصافاً، فقال: لبيك لبيك يا حجة الله على الأنعام المتفرد بالفضل والإنعام، فعند ذلك قال: يا غلام من قتلك؟ قال: قتلني عمي الحارث بن غسان قال له الإمام عليه السلام: انطلق إلى قومك فأخبرهم بذلك، قال: يا مولاي لا حاجة لي إليهم، أخاف أن يقتلوني مرة أخرى ولا يكون عندي من يحييني، قال: فالتفت الإمام إلى صاحبه وقال له: امض إلى أهلك فأخبرهم، قال: يا مولاي والله لا أفارقك بل أكون معك حتى يأتي الله بأجلي من عنده، فلعن الله من

اتضح له الحق وجعل بينه وبين الحق ستراً، ولم يزل بين يدي أمير المؤمنين حتى قتل بصفين، ثم إن أهل الكوفة رجعوا إلى الكوفة واختلفوا أقوالاً فيه عليه السلام.

علي عليه السلام مفسر الناقوس

وإنه قد فسر صوت الناقوس، ذكره صاحب مصباح الواعظ وجمهور أصحابنا عن الحارث الأعور، وزيد وصعصعة ابني صوحان، والبراء بن سبرة، والأصبع بن نباتة، وجابر بن شرجيل، ومحمود بن الكواء أنه قال عليه السلام : يقول: سبحان الله حقاً حقاً، إن المولى صمد يبقى، يحلم عنا رفقاً رفقاً، لولا حلمه كنا نشقى، حقاً حقاً صدقاً صدقاً، إن المولى يسائلنا ويوافقنا ويحاسبنا، يا مولانا لا تهلكننا وتداركننا، واستخدمنا واستخلصنا، حلمك عنا قد جرأنا، يا مولانا عفوك عنا، إن الدنيا قد غرّتنا، واشتغلتنا واستهوتنا، واستلهتنا واستفوتنا، يا بن الدنيا جمعاً جمعاً، يا بن الدنيا مهلاً مهلاً، يا بن الدنيا دقاً دقاً، وزناً وزناً، تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنا، إلا تهوي منا ركنا، قد ضيعنا داراً تبقى واستوطننا داراً تفنى، تغني الدنيا قرناً قرناً، كلا موتاً كلا موتاً كلا دفناً كلا فيها موتاً، نقلاً نقلاً دفناً دفناً، يا بن الدنيا مهلاً مهلاً! زن ما يأتي وزناً وزناً، لولا جهلي ما إن كانت عندي الدنيا إلا سجنأ خيراً خيراً، شراً شراً، شيئاً شيئاً، حزناً حزناً، ما ذا من ذاكم أم ذا هذا أسنى، ترجو

تنجو تخشى تردى، عَجَل قبل الموت الوزنا، ما من يوم يمضي عنا
إلا أوهن منا ركناً إن المولى قد أُنذرنا، إنا نحشر عزلاً بهما .

قال : ثم انقطع صوت الناقوس ، فسمع الديراني ذلك وأسلم
وقال : إني وجدت في الكتاب أن في آخر الأنبياء من يفسر ما يقول
الناقوس .

أجمعوا على أن خيرة الله من خلقه هم المتقون لقوله : ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَرُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ثم أجمعوا على أن خيرة
المتقين الخاشعون لقوله : ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ - إلى قوله -
﴿ثَنِيثٍ﴾ [ق: ٣١ - ٣٢] ثم أجمعوا على أن أعظم الناس خشية العلماء
لقوله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وأجمعوا على أن
أعلم الناس أهداهم إلى الحق وأحقهم أن يكون متبعاً ولا يكون تابعاً
لقوله : ﴿أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾
وأجمعوا على أن أعلم الناس بالعدل أدلهم عليه وأحقهم أن يكون
متبعاً ولا يكون تابعاً لقوله : ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ . فدل كتاب الله
وسنة نبيه وإجماع الأمة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها
علي عليه السلام .

من أخباره بالغائبات وعلم اللغات

علي بن الحسن بن محمد بن مندة، عن محمد بن الحسين الكوفي، عن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم، عن سلمان بن حبيب، عن شريك، عن حكيم بن جبير عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس قال: خطبنا أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام على منبر الكوفة خطبته اللؤلؤة، فقال فيما قال في آخرها: ألا وإني طاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب، فارتقبوا الفتنة الأموية والمملكة الكسروية، وإماتة ما أحياه الله وإحياء ما أماته الله، واتخذوا صوامعكم بيوتكم، وعضوا على مثل جمر الغضا، واذكروا الله كثيراً فذكره أكبر لو كنتم تعلمون، ثم قال: وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات، فلو رأيتموها مشيدة بالجص والآجر مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستقى والمرمر والرخام وأبواب العاج والآبنوس والخيم والقباب والستارات، وقد عليت بالساج والعرعر والصنوبر والشب، وشيدت بالقصور وتوالت عليها ملوك بني الشيبان أربعة وعشرون ملكاً على عدد سني الملك، فيهم السفاح والمقلاص والجموح والخدوع والمظفر والمؤنث والنظار والكبش

والمتهور والعشار والمضطلم والمستصعب والعلام والرهباني والخليع
والسيار والمترف والكديد والأكتب والمترف والأكلب ذات الفلاة
الحمراء، وفي عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين الأقاليم كالقمر
المضيء بين الكواكب الدرية، ألا وإن لخروجه علامات عشرة، أولها
طلوع الكوكب ذي الذنب، ويقارب من الحادي، ويقع فيه هرج
ومرج شغب، وتلك علامات الخصب، ومن العلامة إلى العلامة
عجب، فإذا انقضت العلامات العشرة إذ ذاك يظهر بنا القمر الأزهر
وتمت كلمة الإخلاص لله على التوحيد.

قوله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد:

١ - ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ
أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

٢ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

٣ - ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

٤ - ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

٥ - ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

٦ - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾.

٧ - ﴿وَالْجُودِ إِذَا هُوَ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

٨ - قال عيسى عليه السلام: «وانبشكم بما تأكلون وما تدخرون في
بيوتكم».

٩ - ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ① إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ .

١٠ - قال أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان الفارسي: «يا سلمان أما قرأت قول الله عز وجل حيث يقول ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ② إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۖ . فقلت: «بلى يا أمير المؤمنين». فقال: «أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عز وجل على غيبته» .

قال عليه السلام مرات عديدة: «ليس هذا بعلم الغيب؛ هذا علم علمنيه رسول الله ﷺ» .

لما عزم على حرب الخوارج قيل له: «إن القوم قد عبروا جسر النهروان» قال: «مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة» .

في الأخبار المفصلة عن الغيوب مثل هذا الخبر، فإنه لا يحتمل التلبس لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه، من غير زيادة ولا نقصان. وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله ﷺ وعرفه رسول الله من جهة الله سبحانه. والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره. وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر، غلا فيه من غلا حتى نسب إلى أن الجوهر الإلهي حل في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام .

وقد أخبره النبي ﷺ بذلك فقال: «يا علي يهلك فيك رجلان محب غال، ومبغض قال». وقال له تارة أخرى: «والذي نفسي بيده لولا أنني أسفق أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملاً من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».

العلم بالغيب

يؤكد لنا سبحانه وتعالى علم الغيب الذي علمه للمرسلين والأولياء ﷺ والمؤمنين، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقال بعد نبأ قصة مريم: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وقال بعد نبأ قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩].

وقال بعد نبأ قصة يوسف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقال سبحانه تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۝ وَمر معنا الكثير من أخبار اليهود والنصارى بمعرفتهم من كتاب التوراة والإنجيل بظهور نبي الإسلام وشمائله واسمه.

ليس هناك أي منع وخطر إن علّم الله أحداً ممن خلق بما شاء وأراد من الغيب المكتوم من علم ما كان أو سيكون، من علم السماوات والأرضين، من علم الأولين والآخرين، من علم الملائكة والمرسلين. كما لم يُر أي وازع إذا حباً أحداً بعلم ما شاء من الشهادة واره ما خلق كما أرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض. ولا يتصور عندئذ قط اشتراك مع المولى سبحانه في صفته العلم بالغيب، ولا العلم بالشهادة ولو بلغ علم العالم أي مرتبة رابعة، وشتان بينهما، إذ القيود الإمكانية البشرية مأخوذ في العلم البشري دائماً لا محالة، سواء تعلّق بالغيب أو تعلّق بالشهادة، وهي تلازمه ولا تفارقه، كما أن العلم الإلهي بالغيب أو الشهادة تؤخذ فيه قيود الأحدية الخاصة بذات الواجب الأحد الأقدس سبحانه وتعالى.

فالعلم بالغيب على وجه التّأصل والإطلاق من دون قيد بكم وكيف كالعلم بالشهادة على هذا الوجه إنما هما من صفات الباري سبحانه ويخصان بذاته لا مطلق العلم بالغيب والشهادة، وهذا هو المعني نفيّاً وإثباتاً في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْنَ إِلَىٰ عَلِيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

عندما نتكلم عن علم الغيب عن علي عليه السلام هناك بعض الناس

يستنهضون ويستنكرون ويكفرون قائلين نستغفر الله لا يعلم الغيب إلا الله . وكل إنسان يقول هذا عن علي فهو واحد من ثلاثة إما مجنون وإما جاهل وإما مؤله لعلي .

ولقد اهتم العلم الحديث بطاقات الإنسان الخفية وتألفت جمعية المباحث النفسية في بريطانيا سنة ١٨٨٢ وقد اشترك فيها عدد من العلماء والفلاسفة، فأصدرت مجلة تنطق بلسانها وكان أول رئيس لها هو البروفسور هنري سوجوك وقد أثبت السير أوليفر لودج عضو جمعية المباحث النفسية البريطانية، والعالم الطبيعي المشهور، أن قدرة الإنسان على التنبؤ أعلى من مستوى الصدفة حسب قانون الاحتمالات .

وعلى أثر اطلاع البروفسور راين على حلم عجيب ذي تفاصيل عجيبة دقيقة تحقق في الخارج بحذافيره، أسس عام ١٩٣٠ فرعاً في جامعة ديوك في ولاية كارولينا الشمالية في أميركا لدراسة القوى النفسية دراسة مختبرية .

ويروي راين أن أحد الباحثين في أميركا توصل في تجاربه إلى نتائج هامة، ولكنه امتنع عن نشرها وقال: إن عائلي تريد طعاماً أي أنه يخشى نشر أبحاثه فتعزله الجامعة وتبقى عائلته بغير طعام .

وقد أدلى البروفسور بولس أستاذ علم النفس بجامعة كمبردج ببيان قال فيه: إن هذه الظاهرة يجب أن تعتبر حقيقة ثابتة كأي حقيقة أخرى توصل إليها البحث العلمي، فلنترك إذن أمر البرهنة على

وجودها في سبيل إقناع المرتابين، ولنتوجه عوض ذلك نحو الاستمرار على دراستها بقدر الإمكان، فإننا باطلاعنا على طبيعتها اطلاعاً أوفى نجد الصعوبات التي تكتنف التصديق بوجودها قد قلت إلى حد بعيد.

فإذا كانت هذه الظاهرة حقيقة واقعة وإذا كانت القوانين العلمية الحديثة لا تنكرها بل تسعى لمعرفةاها، وإذا كان القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، وإذا كان علي عليه السلام هو الذي عنده علم الكتاب، وإذا كان الكتاب فيه المعجزات التي مرت على البشرية منذ آدم وحتى قيام الساعة، لا يبقى أمامي إلا أن أقول للمستهزئ والمستنكر إنه هو الجاهل أو الكافر أو الجاحد والآية الكريمة تقول: ﴿وَمَحَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَاهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلوً﴾.

أقول قولي هذا ودليلي عليه ليس حبي فقط للإمام عليه السلام بل لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» وقد تواتر عن أهل البيت عليه السلام قولهم: «لا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإننا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن والسنة، إنا عن الله وعن رسوله نحدث، فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه، إن لكلامنا حقيقة، وإن عليه لنوراً، فما لا حقيقة له، ولا نور عليه فذاك قول الشيطان».

أخبار عن المستقبل

روي عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال: خرج علي عليه السلام بأصحابه إلى ظهر الكوفة، قال: رأيتم إن قلت لكم لا تذهب الأيام

حتى يحفر ههنا نهر يجري فيه الماء أكنتم مصدقي فيما قلت؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ويكون هذا. قال: إي والله، لكأني أنظر إلى نهر في هذا الموضوع وقد جرى فيه الماء والسفن وانتفع به، فكان كما قال.

سيخرّب العراق

ومنها: سيخرّب العراق بين رجلين يكثر بينهما الجريح والقتيل - يعني طرليّك والدويلم لكأني أشاهد به دماء ذوات الفروج بدماء أصحاب السروج وويل لأهل الزوراء من بني قنظورة.

ومنها لكأني أرى منبت الشيخ علي ظاهر أهل الحضّة، وقد وقعت به وقعتان يخسر فيها الفريقان - يعني وقعة الموصل - حتى سمي باب الأذان، وويل للطّين من ملابسة الأشرار، وويل للعرب من مخالطة الأتراك، وويل لأمة محمد إذا لم تحمل أهلها البلدان، وعبر بنو قنظورة نهر جيحان، وشربوا ماء دجلة، هموا بقصد البصرة والإيلة، وأيم الله لتعرفنّ بلدتكم حتى كأني أنظر إلى جامعها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جائمة.

قال المجلسي:

«بيان»: قوله ﷺ: «أولهم خضراء» لما شبهوا في القرآن الكريم بالشجرة الملعونة شبههم أمير المؤمنين ﷺ في بدو أمرهم لقوة ملكهم وطراوة عيشهم بالشجرة الخضراء، وفي أواخر دولتهم لكونهم بعكس ذلك بالشجرة الهرماء من قولهم: «تهزمت العصا» أي تشققت، والقربة: يبست وتكسرت، أو من الهزيمة وأما بنو العباس

فلا يخفى على من راجع التواريخ أن أولهم - وهو السفاح - كان أرافهم، وأن ثانيهم - وهو المنصور - كان أفتكهم أي أجراهم وأشجعهم وأكثرهم قتلاً للناس خدعة وغدرًا، وأن خامسهم - وهو الرشيد - كان كبشهم إذ لم يستقر ملك أحد منهم كاستقرار ملكه، وأن سابعهم - وهو المأمون - كان أعلمهم، واشتهار وفور علمه من بينهم يغني عن البيان، وإن عاشرهم - وهو المتوكل - أكفرهم بل أكفر الناس أجمعين، لشدة نصبه وإيذائه لأهل البيت عليه السلام وشيعتهم وسائر الخلق، وإن من قتله كان من غلمانه الخاصة، وخامس عشرهم المعتمد على الله أحمد ابن المتوكل، وهو وإن كان زمان خلافته ثلاثاً وعشرين سنة لكن كان في أكثر زمانه مشغولاً بحرب صاحب الزنج وغيره، فلذا وصفه عليه السلام بكثرة العناء وقلة الغناء.

وسادس عشرهم المعتضد بالله، رأى في النوم رجلاً أتى دجلة فمد يده إليها فاجتمع جميع مائها فيها، ثم فتح كفه ففاض الماء، فسأل المعتضد أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا علي بن أبي طالب، فإذا جلست على سرير الخلافة فأحسن إلى أولادي فلما وصلت إليه الخلافة أحب العلويين وأحسن إليهم، فلذا وصفه عليه السلام بقضاء العهد وصلة الرحم؛ وثامن عشرهم وهو جعفر الملقب بالمقتدر بالله، وخرج مونس الخادم من جملة عسكره، وأتى الموصل واستولى عليه، وجمع عسكراً ورجع وحارب المقتدر في بغداد وانهزم عسكر المقتدر وقتل هو في المعركة، واستولى على الخلافة من بعده ثلاثة من أولاده: الراضي بالله محمد ابن المقتدر، والمتقي بالله إبراهيم ابن المقتدر، والمطيع لله فضل ابن المقتدر.

وأما الثاني والعشرون منهم فهو المكتفي بالله عبد الله، وادعى الخلافة بعد مضي أربعين سنة من عمره في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، واستولى أحمد بن بويه في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة على بغداد، وأخذ المكتفي وسمل عينه وتوفي في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، ويقال: إنه كانت أيام خلافته سنة وأربعة أشهر، ويحتمل أن يكون من خطأ المؤرخين أو رواة الحديث، بأن يكون في الأصل الخامس والعشرين أو السادس والعشرين، فالأول هو القادر بالله أحمد بن إسحاق وقد عمّر ستاً وثمانين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى وأربعين سنة، والثاني القائم بأمر الله كان عمره ستاً وسبعين سنة وخلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، ويحتمل أن يكون عليه السلام إنما عبّر عن القائم بأمر الله بالثاني والعشرين، لعدم اعتداده بخلافة القاهر بالله والراضي بالله والمقتدر بالله والمكتفي بالله، لعدم استقلالهم وقلة أيام خلافتهم، فعلى هذا يكون السادس والعشرون الراشد بالله، فإنه هرب في حماية عماد الدين الزنجي، ثم قتله بعض الفدائيين، لكن فيه أنه قتل في أصفهان ويحتمل أن يكون المراد بالسادس والعشرين المستعصم، فإنه قتل كذلك وهو آخرهم، وإنما عبّر عنه كذلك مع كونه السابع والثلاثين منهم كونه السادس والعشرين من عظمائهم، لعدم استقلال كثير منهم وكونهم مغلوبين للملوك والأتراك ويحتمل أيضاً أن يكون المراد السادس والعشرين من العباس وأولاده، فإنهم اختلفوا في أنه هل هو الرابع والعشرين منهم. وعلى الأخير يكون بانضمام العباس السادس والعشرين، وعلى الأخيرين يكون مكان «بعضه» «يقصده».

الأخبار الواردة عن معرفة الإمام علي بالأمور الغيبية

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الشمالي، عن سويد بن غفلة أن علياً عليه السلام، خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له فقال عليه السلام: والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جمار. فقام رجل آخر من تحت المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن جمار، وإني لك شيعة ومحِب، فقال: أنت حبيب بن جمار؟ قال: نعم، فقال له ثانية: والله إنك لحبيب بن جمار؟ فقال: أي والله! قال أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب. وأشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فوالله ما متَّ حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، وجعل خالد بن عُرفطة، على مقدمته وحبيب بن جمار صاحب رايته، فدخل من باب الفيل.

وروى محمد بن إسماعيل بن عمرو البجلي، قال: أخبرنا عمرو بن موسى الوجيهي، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال، قال علي عليه السلام على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له: فما أنزل الله تعالى فيك؟ فقام الناس إليه يضربونه، فقال: دعوه، أنقرأ سورة هود؟ قال: نعم، قال: فقرأ عليه السلام: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنِهِ مِّن رَّيْبٍ،

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴿١٥٢﴾ ثُمَّ قَالَ: الَّذِي كَانَ عَلَى بَيْتَةِ مِنْ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ،
والشاهد الذي يتلوه أنا.

وروى عثمان بن سعيد، عن عبد الله بن بكير، عن حكيم بن
جبير، قال: خطب علي ﷺ فقال في أثناء خطبته: أنا عبد الله،
وأخو رسوله، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلا كذب، ورثت نبي
الرحمة، ونكحت سيدة نساء هذه الأمة، وأنا خاتم الوصيين.

فقال رجل من عبس: من لا يحسن أن يقول مثل هذا! فلم
يرجع إلى أهله حتى جنّ وصرع، فسألوه: هل رأيتم به عرضاً قبل
هذا: قالوا: ما رأينا قبل هذا عرضاً. وروى محمد بن جبلة الخياط.

عن عكرمة، عن يزيد الأحمسي أن علياً ﷺ كان جالساً في
مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريس، إذ أقبلت امرأة
مختمرة لا تعرف فوقفت، فقالت لعلي ﷺ: يا من قتل الرجال،
وسفك الدماء وأيتم الصبيان، وأرمل النساء! فقال ﷺ: وإنها لهي
هذه السلققة الجلعة المجنة، وإنها لهذه هي شبيهة الرجال والنساء،
التي ما رأت دماً قط، قال: فولّت هاربة منكسة رأسها، فتبعها
عمرو بن حريث، فلما صارت بالرحبة، قال لها: والله لقد سررت
بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتى أهب لك
وأكسوك، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها
لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته ألا يكشفها، وقالت: أنا
والله كما قال، لي ركب النساء، وأنثيان كأثنى الرجال، وما رأيت دماً

قط. فتركها وأخرجها. ثم جاء إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال: إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بالمتمردين علي من الرجال والتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة.

قلت: السلقلة: السليطة، وأصله من السلق وهو الذنب، والسلقة الذئبة. والجلعة المجعة: البذيئة اللسان. والركب: منبت العانة.

وروى عثمان بن سعيد، عن شريك بن عبد الله، قال: لما بلغ علياً عليه السلام أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي صلى الله عليه وآله له وتفضيله على الناس، قال أنشد الله من بقي ممن لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسمع مقاله في يوم غدير خم إلا قام فشهد بما سمع، فقام ستة ممن عن يمينه، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وستة ممن على شماله من الصحابة أيضاً، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك اليوم، وهو رافع بيدي علي عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه».

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التيمي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى باهلة وهو غلام يومئذ حدث إلى علي عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجل فقال:

ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك الله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يشقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، وقد أحضر في جملة الأسرى الذي أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج فقرّعه ووثّبه، واستنشدته شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس.

وروى محمد بن علي الصّوّاف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه عن شمير بن سدير الأزدي، قال، قال علي بن عمرو بن الحقيق الخزاعي: أين نزلت يا عمرو؟ قال في قومي، قال: لا تنزلن فيهم، قال فأنزل في بني كنانة جيراننا: قال: لا، قال: فأنزل في ثقيف قال: فما تصنع بالمعرة والمجرة؟ قال وما هما؟ قال عنقان من نار، يخرجان من ظهر الكوفة، يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلما يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر، فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقلّ من يصيب منهم، إنما يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: أنزل في بني عمرو بن عامر، من الأزد، قال: فقال: قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلا كاهناً يتحدث بحديث الكهنة، فقال: يا عمرو، إنك المقتول بعدي، وإن

رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك، إلا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك، قال: فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد.

وروي إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبة العرني، قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعلي بن أبي طالب صديقاً، وكان علي يحبه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناداه يا جويرية، إلحق بي فإني إذا رأيتك هويتك قال إسماعيل بن أبان: فحدثني الصباح، عن مسلم عن حبة العُرني، قال: سرنا مع علي عليه السلام يوماً فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه: يا جويرية، إلحق بي لا أباك لك! ألا تعلم أنني أهواك وأحبك! قال: فركض نحوه، فقال له: إني محدثك بأمور فاحفظها، ثم اشتركا في الحديث سرّاً، فقال له: جويرية: يا أمير المؤمنين، إني رجل نسي، فقال له: إني أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر ما حدثه إياه: يا جويرية، أحب حببنا ما أحبنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض أبغضنا ما أبغضنا، فإذا أحبنا فأحبه.

قال: فكان ناس ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون: أترأه جعل جويرية وصيته كما يدعي هو من وصية رسول الله ﷺ: قال:

يقولون ذلك لشدة اختصاصه له، حتى دخل ﷺ يوماً، وهو مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيها النائم، استيقظ، فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسم أمير المؤمنين ﷺ، قال: وأحدثك يا جويرية بأمر، أما والذي نفسي بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر، قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعب، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه.

وروى إبراهيم في كتاب «الغارات» عن أحمد بن الحسن المثنى، قال: كان لميثم التمار مولى علي بن أبي طالب ﷺ عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي ﷺ منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك: فقال: سالم، فقال: إن رسول الله ﷺ أخبرني أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم «ميثم» فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، فهو والله اسمي. قال: فارجع إلى اسمك، ودع سالمًا، فنحن نكتيك به: فكتاه أبا سالم. قال: وقد كان قد اطلعه علي ﷺ على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون عليه ﷺ في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه، وفيهم الشاك والمخلص: يا ميثم، إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر مُنْخَرَاك وفمك دماً، حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طُعنْتَ بحربة

يُقضَى عليك، فانتظر ذلك. والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث؛ إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأريتك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين، وكان ميثم يأتيها، فيصلي عندها، ويقول: بوركت من نخلة، لك خلقت، ولي نبئت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام، حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده ويرتدّد إليه، ويبصره، وكان يلقي عمرو بن حريث، فيقول له: إني مجاورك فأحسن جوارِي، فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود، أم دار ابن حكيم؟ قال: وحجّ في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبته، فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب، فقالت: أنت ميثم، قال: بل أنا ميثم، فقالت: سبحان الله! والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حائط له، قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين، إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه، وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيبت لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة، وقالت له: إنه ليس بسيدك وحدك، وهو سيدي وسيد المسلمين، ثم ودّعته.

فقدم الكوفة، فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد. وقيل له: هذا كان من أثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي!

قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: أين ربك؟ قال بالمرصاد، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك، قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه ليقال إنه قد أخبرك بما سيلقاك، قال: نعم، إنه أخبرني، قال: ما الذي أخبرك أني صانع بك؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، قال: لأخالفته، قال: ويحك! كيف تخالفه؟ إنما أخبر عن رسول الله ﷺ وأخبر رسول الله عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء! أما والله لقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة؟ وإنني لأول خلق الله ألجم في الإسلام بلجام، كما يلجم الخيل، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد: إنك تفلت وتخرج نائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخذيه، فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد، يأمره بتخليه سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع، فأمضى شفاعته، وكتب بتخليه سبيل المختار على البريد، فوافى البريد، وقد أخرج ليضرب عنقه، فأطلق. وأما ميثم فأخرج بعده ليصلب. وقال عبيد الله: لأمضين حكم أبي تراب فيه، فلقيه رجل، فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم؟ فتبسم، وقال: لها خلقت، ولي غُذيت؛ فلما رُفِع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو:

لقد كان يقول لي : إني مجاورك ، فكان يأمر جاريته كل عشية أن تكتس تحت خشبته وترشه ، وتجمر بالمجمر تحته ، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم ، ومخازي بني أمية ، وهو مصلوب على الخشبة ، فقيل لابن زياد : قد فضحككم هذا العبد ، فقال والجموه ، فألجم فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام ، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً فلما كان اليوم الثالث طعن بحربة فمات .

وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام .

قال حذيفة بن اليمان في زمن عثمان لعلي عليه السلام : إني والله ما فهمت قولك ولا عرفت تأويله حتى بلغت ليلتي أتذكر ما قلت لي بالحرّة وإني مقبل «كيف أنت يا حذيفة إذا ظلمت العيون العين» والنبي ﷺ بين أظهرنا ، ولم أعرف تأويل كلامك إلا البارحة ، رأيت عقيقاً وهو اسم أبو بكر وعمر وعثمان تقدموا عليك : فقال يا حذيفة نسيت عبد الرحمن وعمرو بن العاص فهؤلاء العيون المجتمعة على ظلمي .

سلوني قبل أن تفقدوني

قوله ﷺ سلوني قبل أن تفقدوني :

قال الصدوق (ره): حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (ره) قالوا: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمد بن العباس قال: حدثني محمد بن أبي السرى قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد الكنانى، عن الأصبغ بن نباتة قال: لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ، لابساً بردة رسول الله ﷺ، منتعلاً نعل رسول الله ﷺ متقلداً سيف رسول الله ﷺ فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ثم شبك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال:

هذا سبط العلم هذا لعاب رسول الله ﷺ يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني .

هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق عليّ ما كذب لقد

أفتاكم بما أنزل الله فيّ. وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل ويقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ. وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ. وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتهموني عن أي آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيتها ومدنيها، سفرها وحضرها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، تأويلها وتنزيلها لأخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له: ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟

قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره.

قال: فكيف رأيته صفه لنا؟

قال: ويلك يا ذعلب إنّ ربّي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بمجيء ولا ذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة، لا يوصف بالعظم، كبير

الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرفقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا باللفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مبائنة، فوق كل شيء فلا يقال شيء فوقه، وأمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

فخر ذعلب مغشياً ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب والله لا عدت إلى مثله.

ثم قال ﷺ: سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي؟

قال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً، وبعث إليهم رسولاً حتى كان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها، فلما أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه فقالوا: أيها الملك دنت علينا ديننا فأهلكته فاخرج نظهرك ونقيم عليك الحد. فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشانكم، فاجتمعوا فقال لهم: هل علمتم أن الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء؟ قالوا: صدقت أيها الملك. قال: أفليس قد زوج بنيه وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدين فتعاقدوا على ذلك فمحا الله ما في صدورهم من العلم ورفع عنهم

الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب والمنافقون أشد حالاً منهم.

قال الأشعث: والله ما سمعت لمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبداً. ثم قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عصاه فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه، فقال: يا أمير المؤمنين دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار. فقال له: اسمع يا هذا ثم افهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله، وبفقر صابر. فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدنها أي الكفر بعد الإيمان.

أيها السائل فلا تغترن بكثرة المساجد وجماعة أقوام أجسادهم مجمعة وقلوبهم شتى.

أيها الناس إنما الناس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته، وأما الصابر فيتمناها بقلبه فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

قال له: يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟

قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، وينظر إلى ما خلفه فيتبرأ منه وإن كان حميماً قريباً.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين ثم غاب الرجل فلم نره فطلبه الناس فلم يجدوه فتبسم علي عليه السلام على المنبر ثم قال: ما لكم هذا أخي الخضر عليه السلام.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني فلم يقم إليه أحد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام.

ثم قال للحسن عليه السلام: يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون: إن الحسن بن علي لا يحسن شيئاً، قال الحسن عليه السلام: يا أبة كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟ قال له: بأبي وأمي أوارى نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لا تراني.

فصعد الحسن عليه السلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغة شريفة وصلى على النبي عليه السلام صلاة موجزة ثم قال:

أيها الناس سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها وهل تدخل المدينة إلا من بابها، ثم نزل، فوثب إليه علي عليه السلام فحمله وضّمه إلى صدره.

ثم قال للحسين عليه السلام: يا بني قم فاصعد المنبر وتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون: إن الحسين بن علي لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلاة موجزة ثم قال: «يا معاشر الناس سمعت رسول الله ﷺ، وهو يقول: إِنَّ عَلِيّاً هُوَ مَدِينَةُ هَدًى فَمَنْ دَخَلَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ. فَوُثِبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام فُضِمَ إِلَى صَدْرِهِ وَقَبِلَهُ ثُمَّ قَالَ: معاشر الناس اشهدوا أنهما فرخا رسول الله ووديعته التي استودعنيها، وأنا استودعكموها، معاشر الناس ورسول الله سائلكم عنهما.

أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها.

وهذه الكلمة قد قالها عليه السلام مراراً، ووقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها: إِنَّ قَرِيشاً طَلَبَتْ السَّعَادَةَ فَشَقِيتْ، وَطَلَبَتْ النِّجَاةَ فَهَلَكَتْ، وَطَلَبَتْ الْهَدًى فَضَلَّتْ، أَلَمْ يَسْمَعُوا وَيَحْكَمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَلَمْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ؟﴾ فأيمن المعدل والمنزع عن ذرية الرسول، الذي شيد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم، إلا إِنَّ الذرية أفنانُ أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقها، وإني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر، أشباحاً عالية، لا أجساماً نامية. إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: مَلِكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ عَبْدٌ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، فَإِذَا انْكَشَفَ لَكُمْ سِرٌّ،

أو وضح لكم أمر فاقبلوه، وإلا فاسكتوا تسلموا، وردّوا علمنا إلى الله، فإنكم في أوسع مما بين السماء والأرض.

وفي غرر الحكم عن الأمدى: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنني بطرق السماوات أخبر منكم بطرق الأرض.

وفي نهج البلاغة: «فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا نبأكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً» وفي رواية: لو شئت أخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت.

وعن سلمان أنه قال عليه السلام: عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب، ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر، ودولة الدول، فسلوني عما يكون إلى يوم القيامة، وعما كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يعبد الله.

قال ابن المسيب: ما كان في أصحاب رسول الله ﷺ أحد يقول: «سلوني» غير علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال ابن شبرمة: ما أحد قال على المنبر: «سلوني» غير علي.

علي عليه السلام سيد المتكلمين

قال النبي ﷺ: علي رباني هذه الأمة. وفي الأخبار أن أول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي عليه السلام وقد ناظره الملاحدة في مناقضات القرآن، وأجاب مشكلات مسائل الجائليق حتى أسلم.

أبو بكر بن مردويه في كتابه عن سفيان أنه قال: ما حاج علي أحداً إلا حجّه.

أبو بكر الشيرازي في كتابه، عن مالك، عن أنس، عن ابن شهاب، وأبو يوسف يعقوب بن سفيان في تفسيره: وأحمد بن حنبل وأبو يعلى في مسندهما قال ابن شهاب: أخبرني علي بن الحسين أن أباه الحسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبره أن النبي ﷺ طرده وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: ألا تصلون فقلت: يا رسول الله ﷺ إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا يبعثنا - أي يكثر اللطف بنا - فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ، ثم سمعته وهو مولى يضرب فخذه يقول: «وكان الإنسان» يعني علي بن أبي طالب عليه السلام «أكثر شيء جدلاً» يعني متكلماً بالحق والصدق.

وقال لرأس الجالوت لما قال له: لم تلبثوا بعد نبيكم إلا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف فقال ﷺ: وأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلمتم لموسى ﴿أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾.

وأرسل إليه أهل البصرة كليلاً الجرمي بعد يوم الجمل ليزيل الشبهة عنهم في أمره، فذكر له ما علم أنه على الحق، ثم قال: بايع، فقال: إني رسول القوم فلا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم، فقال: رأيت لو أن الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلاء والماء فقال: فامدد إذا يدك قال كليب: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليّ فبايعته.

علي ﷺ أخطب الخطباء والفصحاء

ألا ترى إلى خطبة مثل التوحيد والشقشقية والهداية والملاحم واللولؤة والغراء والقاصعة والافتخار والأشباح والذرة اليتيمة والأقاليم والوسيلة والطالوتية والقصبية والنخيلية والسلمانية والناطقة والدامغة والفاضحة، بل إلى نهج البلاغة عن الشريف الرضي، وكتاب خطب أمير المؤمنين عن اسماعيل بن مهران السكوني عن زيد بن وهب أيضاً، قال الرضي: كان أمير المؤمنين ﷺ شرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها.

الجاحظ في كتاب الغرة: كتب علي إلى معاوية: غرك عرك،

فصار قصار، ذلك ذلك، فاحش فاحش، فعلك فعلك، تهذا بهذا.

وقال عليه السلام : من آمن آمن .

وروى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام أنه اجتمعت الصحابة فتذكروا أن الألف أكثر دخولاً في الكلام فارتجل عليه السلام الخطبة المؤنقة التي أولها «حمدت من عظمت منته، وسبغت نعمته وسبقت رحمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته» إلى آخرها، ثم ارتجل خطبة أخرى من غير النقط التي أولها «الحمد لله أهل الحمد ومأواه وله أوكد الحمد وأحلاه، وأسرع الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماءه، وأكرم الحمد وأولاه» إلى آخرها، ومن كلامه «تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم» وقوله : «ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم بيد واحدة ويقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن تلت حاشيته يستدم من قومه المودة» وقوله : «من جهل شيئاً عاداه» مثله ﴿يَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلِيهِ﴾ [يونس : ٣٩] وقوله : «المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر» مثله : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد : ٣٠] وقوله : «قيمة كل امرئ ما يحسن» مثله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة : ٢٤٧] وقوله : «القتل يقل القتل» مثله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

علي عليه السلام معلم الفلاسفة

قال عليه السلام : أنا النقطة أنا الخط أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة

والخط، فقال جماعة: إن للمقدرة هي الأصل، والجسم حجاب، والصورة حجاب الجسم، لأن النقطة هي الأصل، والخط حجاب ومقامه والحجاب غير الجسد الناسوتي. وسئل عليه السلام عن العالم العلوي فقال: صرر عارية من المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، وطالعتها فتلاّأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة. إن زكاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد.

أبو علي سينا: لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلا علي عليه السلام.

الشريف الرضي: من سمع كلامه لا يشك أنه كلام من قيع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلاً سيفه، فيقط الرقاب ويجذل الأبطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الأبدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التي جمع بها بين الأضداد.

علي عليه السلام مؤسس النحو

هو واضع النحو، لأنهم يروونه عن الخليل بن أحمد بن عيسى بن عمرو الثقفي، عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي، عن أبي عمرو بن العلاء عن ميمون الأقرن، عن عنبسة الفيل، عن أبي الأسود الدؤلي عنه عليه السلام والسبب في ذلك أن قريشاً كانوا يزوجون

بالأنباط، فوقع فيما بينهم أولاد ففسد لسانهم، حتى أن بنتاً لخويلد الأسدي كانت متزوجة بالأنباط، فقالت: «إن أبوي مات وترك علي مال كثير»، مكان أن تقول «إن أباي مات وترك علي مالاً كثيراً» فلما رأى فساد لسانهم أسس النحو. وروي أن أعرابياً سمع من سوقتي يقرأ: «إن الله بريء من المشركين ورسوله» فشج رأسه، فخاصمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له في ذلك، فقال إنه كفر بالله في قراءته، فقال عليه السلام: إنه لم يتعمد بذلك.

وروي أن أبا الأسود كان في بصره سوء وله بنية تقوده إلى علي عليه السلام، فقالت يا أبتاه ما أشد حرّ الرمضاء - تريد التعجب - فنهاها عن مقالها، فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فأسس.

وروي أن أبا الأسود كان يمشي خلف جنازة، فقال له رجل: من المتوفي فقال: الله، ثم إنه أخبر علياً عليه السلام بذلك فأسس.

فعلى أي وجه كان دفعه إلى أبي الأسود، وقال: ما أحسن هذا النحو احش له بالمسائل، فسَمّي نحواً قال ابن سلام: كانت الرقعة: «الكلام ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أوجد معنى في غيره. وكتب «علي بن أبو طالب عليه السلام» فعجزوا عن ذلك فقالوا: أبو طالب اسمه كنيته، وقالوا: هذا تركيب مثل حضرموت، وقال الزمخشري: في الفائق: ترك في حال الجرّ على لفظه في حال الرفع، لأنه اشتهر بذلك وعرف، فجرى مجرى المثل الذي لا يغير.

علي عليه السلام أعلم الشعراء

وهو أشعرهم . عن الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وفي كتاب فضائل بني هاشم أيضاً، والبلاذري في أنساب الأشراف أن علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأكبتهم . تاريخ البلاذري: كان أبو بكر يقول الشعر، وعمر يقول الشعر، وعثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة .

ومن داره خرجت العروض، روي أن الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمد بن علي الباقر أو علي بن الحسين عليه السلام فوضع لذلك أصولاً .

وهو عليه السلام أحكم أصحاب العربية . ابن الحريري البصري في درة الغواص وابن فياض في شرح الأخبار: إن الصحابة قد اختلفوا في «المؤودة» فقال لهم علي عليه السلام: إنها لا تكون مؤودة حتى يأتي عليها الثارات السبع، فقال له عمر: صدقت أطل الله بقالك، أراد بذلك المبينة في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، فأشار أنه إذا استهل بعد الولادة ثم دفن فقد وئد .

علي عليه السلام أعلم الوعاظ

وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ما له نحو قوله: «من زرع العدوان حصد الخسران، من ذكر المنية نسي الأمانة، من قعد به العقل قام به الجهل، يا أهل الغرور ما ألهجكم بدار خيرها زهيد، وشرها عتيد، ونعيمها مسلوب، وعزيزها منكوب، ومسالمها

محروب، ومالكها مملوك، وتراثها متروك؟" وصنف عبد الواحد
الآمدي غرر الحكم من كلامه عليه السلام.

علي عليه السلام أعلم الناس بالهندسة

وهو أعلمهم. حفص بن غالب مرفوعاً قال: بينا رجلان
جالسان في زمن عمر إذ مرّ بهما عبد مفيد، فقال أحدهما: إن لم
يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً، وحلف الآخر بخلاف
مقاله، فسئل مولى العبد أن يحل قيده حتى يعرف وزنه، فأبى فارتفعا
إلى عمر فقال لهما: اعتزلا نساء كما وبعث إلى علي عليه السلام وسأله عن
ذلك، فدعا بإجانة فأمر الغلام أن يجعل رجله فيها ثم أمر أن يصب
الماء حتى غمر القيد والرجل ثم علم في الإجانة علامة وأمره أن يرفع
قيده عن ساقه، فنزل الماء عن العلامة فدعا بالحديد فوضعه في
الإجانة حتى تراجع الماء إلى موضعه، ثم أمر أن يوزن الحديد، فوزن
فكان وزنه بمثل وزن القيد، وأخرج القيد فكان مثل ذلك، فعجب
عمر.

التهذيب: قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: إني حلفت أن أزن
الفيل. فقال: لم تحلفون بما لا تطيقون؟ فقال: قد ابتليت،
فأمر عليه السلام بقرقرور فيه قصب فأخرج منه قصب كثير، ثم علم صبغ
الماء بقدر ما عرف صبغ الماء قبل أن يخرج القصب، ثم صير الفيل
فيه حتى رجع إلى مقداره الذي كان انتهى إليه صبغ الماء أولاً، ثم أمر
بوزن القصب الذي أخرج، فلما وزن قال: هذا وزن الفيل: ويقال:
وضع كلكاً وعمل المجداف وأجرى على الفرات أيام صفين.

علي عليه السلام أعلم الناس بالنجوم

وهو أكيس المنجمين وأعلمهم. سعيد بن جبیر أنه استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان - استقبله من المدائن إلى جسر بوزان، - وفي رواية قيس بن سعد أنه مرخان بن شاسوا فقال له: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست الصعود بالنحوس، فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن فيه كوكبان، وانكفأ فيه الميزان، وانقذ من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الدهقان المنبئ بالآثار المخوف من الأقدار ما كان البارحة صاحب الميزان؟ وفي أي برج كان صاحب السرطان؟ وكم الطالع من الأسد والساعات في الحركات؟ وكم بين السراري والزراري؟ قال سأنظر في الأسطرلاب فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: وملك يا دهقان أنت مسير الثابتات؟ أم كيف تقضي على الجاريات؟ وأين ساعات الأسد من المطالع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ وما دور السراري المحركات؟ وكم قدر شعاع المنيرات؟ وكم التحصيل بالغدوات؟ فقال: لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين، فقال له عليه السلام: يا دهقان هل نتج علمك أن أنتقل بيت ملك الصين، واحترقت دور بالزنج، وخمد بيت نار فارس، وانهدمت منارة الهند، وغرقت سرانديب، وانقض حصن الأندلس، ونتج بترك الروم بالرومية، وفي رواية: البارحة وقع بيت الصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور سرانديب، وانهزم بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود نايله وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك أفريقيا، أكنت عالماً بهذا؟ قال: لا

يا أمير المؤمنين، وفي رواية أظنك حكمت باختلاف المشتري وزحل، إنما أنار لك في الشفق، ولاح لك شعاع المريخ في السحر، واتصل جرمه بجرم القمر، ثم قال: البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كل عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم، وأوماً بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي وكان جاسوساً للخوارج في عسكره، فظن الملعون أنه يقول خذوه، فأخذ بنفسه فمات، فخر الدهقان ساجداً، فلما أفاق قال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق؟ فقال: بلى، فقال: أنا وصاحبي لا شرقيون ولا غربيون نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، أما قولك: «انقذ من برجك النيران وظهر منه السرطان» فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي، أما نوره وضيائه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذهب عني، وهذه مسألة عميقة أحسبها إن كنت حاسباً، فقال الدهقان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، وأنت علي ولي الله.

علي عليه السلام أعلم الناس بالحساب

وعن ابن أبي ليلى يقول: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما سبقه إليها أحد وذلك أن رجلين اصطحبا في سفر فجلسا يتغديان، فأخرج أحدهما خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة، فمرّ بهما رجل فسلم، فقالا له: الغداء، فجلس يأكل معهما، فلما فرغ من أكله رمى إليهما ثمانية دراهم وقال لهما: هذا عوض ما أكلت من طعامكما، فاختصما وقال صاحب الثلاثة: هذا نصفان بيننا، فقال صاحب الخمسة: بلى لي خمسة ولك ثلاثة، فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام

وقصًا عليه القصة، فقال لهما: وهذا أمر فيه دناءة، والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن فقال صاحب الثلاثة أرغفة: لست أَرْضَى إلا بمر القضاء، قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا كنت لا تَرْضَى إلا بمر القضاء فإن لك واحداً من ثمانية ولصاحبك سبعة، فقال سبحانه الله كيف صار هذا وهكذا؟ فقال له: أخبرك أليس كان لك ثلاثة أرغفة؟ قال: بلى، ولصاحبك خمسة؟ قال: بلى، قال: هذه أربعة وعشرون ثلثاً، أكلت أنت ثمانية وصاحبك ثمانية والضيف ثمانية، فلما أعطاكم الثمانية كان لصاحبك سبعة ولك واحد، فانصرف الرجلان على بصيرة من أمرهما في القضية.

علي ؑ أعرف الناس بالطب

وهو أكثرهم فطنة. أبو عبد الله ؑ قال: كان أمير المؤمنين ؑ يقول: إذا كان الغلام ملثا الإزرة صغير الذكر ساكن النظر فهو ممن يرجى خيره ويؤمن شره، وإذا كان الغلام شديد الإزرة كبير الذكر حاد النظر فهو ممن لا يرجى خيره ولا يؤمن شره.

وعنه ؑ أنه قال: يعيش الولد لسته أشهر ولسبعة ولتسعة، ولا يعيش لثمانية أشهر.

وعنه ؑ لبن الجارية وبولها يخرج من مثانة أمها، ولبن الغلام يخرج من العضدين والمنكبين.

وعنه ؑ يشب الصبي كل سنة أربع أصابع بأصابع نفسه.

وسأل رجل أمير المؤمنين ؑ عن الولد ما باله تارة يشبه أباه وأمه وتارة يشبه خاله وعمه؟ وقال للحسن ؑ أجبه، فقال ؑ: أما الولد فإن الرجل إذا أتى أهله بنفس ساكنة وجوارح غير مضطربة اعتلجت النطفان كاعتلاج المتنازعين فإن علت نطفة الرجل نطفة المرأة جاء الولد يشبه أباه، وإن علت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه أمه، وإذا أتاها بنفس مزعجة وجوارح مضطربة غير ساكنة اضطربت

النطفتان فسقطتا عن يمنة الرّحم ويسرته فإن سقطت عن يمنة الرّحم سقطت على عروق الأعمام والعنات فيشبه أعمامه وعمّاته، وإن سقطت عن يسرة الرّحم سقطت على عروق الأخوال والخالات فشبّه أخواله وخالاته، فقام الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وروي أنه كان الخضر عليه السلام .

وسئل النبي ﷺ : كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل؟ قال: يلتقي الماءان، فإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت.

طب الإمام علي عليه السلام

البنفسج

قال علي عليه السلام : اكسروا حر الحمى بالبنفسج والماء البارد، فإن حرها من فسيح جهنم .

قال علي عليه السلام : ادهنوا بالبنفسج، فإنه بارد في الصيف، حار في الشتاء .

قال علي عليه السلام : استعطوا بالبنفسج، فإن رسول الله ﷺ قال : «لو يعلم الناس ما في البنفسج لحسوه حسوا» .

● خلاصة فوائد البنفسج :

البنفسج : من الفصيلة البنفسجية، وهو من النباتات ذات الزهور المعروفة، وأصل الكلمة فارسي مشتق من «بنفشه» .

خواصه: في رأي - ابن سينا -: إنه يولد دماً معتدلاً، ويسكن الأورام الحارة ضماً مع دقيق الشعير وكذلك ورقه. ودهن البنفسج طلاء جيد للجرب، وهو يسكن الصداع شماً وطلاء، وينفع من الرمد الحار، والسعال، ويلين الصدر، خصوصاً مع السكر، وشرابه نافع من ذات الجنب والرئة والتهاب المعدة، ووجع الكلى، ويلين الطبيعة برفق.

وفي رأي - ابن البيطار -: إن البنفسج يبرد من التهاب المعدة والأورام الحارة في العين، ونتوء المقعد، وينفع من السعال، وينوم نوماً معتدلاً، ويسهل المرة الصفراء المتبسة في المعدة والأمعاء والبنفسج الرطب إذا ضمّد به الرأس والجبين سكن الصداع والحرارة وشربه مع السكر يسهل المعدة.

وفي رأي - ابن جزلة -: إنه يسهل الصفراء شرباً وشماً، وشربه يضر بالزكام البارد. وذكروا «شراب البنفسج المسكر» وفائدته لتليين المعدة؛ وطريقة صنعه: أن يغلى بالماء، ثم يرفع البنفسج ويضاف غيره، وهكذا إلى خمس أو سبع دفعات، ثم يصفى ويضاف البنفسج.

● البنفسج في الطب الحديث:

يوصف زهر البنفسج شرباً كالكشاي بنسبة عشرة غرامات في لتر ماء؛ فيفيد ضد السعال والرشوحات، ويستعمل الزهر كمهدئ لآلام الالتهابات بشكل لبخات.

وتمزج زهوره مع السكر وتجفف لاستعماله في معالجة السعال والإمساك، كما أن جذوره تفيد في مكافحة الإمساك.

ويصنع من زهور البنفسج شراب مقو ومدر خفيف للبول، كما يفيد مغليه ضد الزحار «الزنتارية» وانحباس البول، كما أن منقوع زهوره يفيد في أمراض الجلد، وهو منق وملين ومعرق، وجذوره يحضر منها شراب مقيء، وتجفف الزهور ويشرب منقوعه أو مغليه لتهدئة الأعصاب، وفي حالات الصرع، ولرائحة البنفسج تأثير مهيج للغريزة الجنسية.

● بحث علمي حول البنفسج :

التركيبات الكيميائية :

يحتوي البنفسج المعطر على موسيلاز ومادة زرقاء سريعة الفساد. هذه المادة إذا تأثرت بالحوامض تولد لوناً أحمر، والقليل في هذه المادة يعطي اللون الأخضر.

بالإضافة إلى ذلك يحتوي على مقدار قليل من الأسانس (Essences)، (Emetine) مع عطر مطبوع، ومادة باسم ويولين، حيث لها أثر يشبه مادة الامتين.

التفاح

قال علي عليه السلام : كلوا التفاح، فإنه نَضُوجُ المعدة.

توضيح : نضح البيت بالماء : رشه، والجلد بله لكي لا يتكسر.

قال علي بن أبي طالب: كل التفاح، فإنه يطفئ الحرارة، ويبرد الجوف، ويذهب بالحمى.

● خلاصة فوائد التفاح:

قالوا في فوائد التفاح أقوالاً كثيرة، منها: أنه سهل الهضم، يقوي الدماغ والقلب والمعدة، ويفيد في علاج أمراض المفاصل، والخفقان.

ويسكن العطش، ويقطع القيء، ويفرح، ويفيد الموسوسين، ويقوي الشهوة، ويذهب عسر التنفس، ويصلح الكبد والدم. والمربي منه أجود في كل خواصه. وقالوا في سيئاته: إنه يولد الرياح الغليظة، والنسيان، خصوصاً الحامض منه.

● التفاح في الطب الحديث:

وحين جرى تحليل التفاح وجد في كل مائة غرام منه ٩٠ وحدة من فيتامين أ، و ٤٠ من فيتامين ب١، و ٢٠ من فيتامين ج، و ١٢٪ من السكر و ٩٪ من سكر العنب وسكر الفواكه، و ٨٥٪ من الماء، و ١٠٪ بروتين، و ٣٪ مواد دهنية، و ٩٪ سليلوز، و ٤٪ بكتين، و ٨٪ أحماض عضوية وقليل من النشا (في التفاح الناضج) وكثير (في التفاح الفج).

وفي التفاح أملاح معدنية مهمة، مثل: البوتاسيوم، والكالسيوم، والصوديوم، وغيرها مما لا غنى عنه في تغذية الخلايا وإنمائها، كما فيه مقادير، قليلة من الكلور، والمنغنيز، والحديد،

والفوسفور، والكوبالت، والبروم، والألومين والزرنيخ، والكبريت.
وفي الطب الحديث كلام كثير عن فوائد التفاح، منها: إنه
أفضل الفواكه وأعظمها نفعاً، فهو ينشط الأمعاء، ويكافح الإمساك
المزمن، والإسهال عند الأطفال، وحصى الكلى والحالبين والمثانة،
ويزيل حمض البول. ويخفف نفعيه من آلام الحمى، والعطش،
وينشط الكبد، ويهدئ السعال، ويخرج البلغم، ويخلص الجسم من
الأحماض والدهون، ويسهل إفراز غدد اللعاب والأمعاء والكبد،
وينشط القلب، ويخفف آلام التهاب الأعصاب، وأمراض الكبد،
والوهن القلبي، ويصون الأوعية الدموية، والأسنان من النخر، ويزيل
الشعور بالتعب، وينفع أصحاب المعدة والأمعاء الضعيفة، شريطة أن
يأكلوه مطبوخاً.

التمر

عن علي عليه السلام قال: كلوا التمر، فإن فيه شفاء من الأدواء.
قال الإمام علي عليه السلام: أطمعوا المرأة في شهرها الذي تلد فيه
التمر، فإن ولدها يكون حليماً نقياً.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال علي عليه السلام: كلوا التمر على
الريق، فإنه يقتل الدود.

قال علي عليه السلام: ما تأكل الحامل من شيء، ولا تتداوى به
أفضل من الرطب، قال الله عز وجل لمريم: ﴿وَهَرَيَ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ
النَّخْلَةِ سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا خَيْرٌ﴾ ﴿١٥﴾ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَفَرِي عَيْنًا، حنكوا

أولادكم بالتمر، فهكذا فعل رسول الله ﷺ بالحسن والحسين عليهما السلام.

الثوم

قال علي عليه السلام : لا يصلح أكل الثوم إلا مطبوخاً.
عن علي عليه السلام أنه : نهى عن أكل الثوم إلا مطبوخاً.

● خلاصة خواص الثوم :

الثوم : منشط للجسم ، مطيل للعمر ، محرض للشهية ، ويساعد الرئتين على التنفس ، وخاصة في الحالات المرضية كالبرونشيت والربو والسعال الديكي .

وهو طارد للديدان وعلاج لمسامير الأرجل ، فإذا سحق ودهن به أسفل الرجلين أو العمود الفقري أفاد في حالة السعال الديكي ، كما يفيد في تعقيم الجروح ، ويضعف البصر ، وينفع من السعال المزمن ، وينفع من أوجاع الصدر .

يعتقد البعض أن الثوم يقي من الإصابة بالسرطان ، ومن الثابت طبياً أنه على الأقل يعيق نمو خلايا السرطان ، ويبقي كذلك من الإصابة في مرض شلل الأطفال ، وينفع مرضى السكري ، ويخفض الثوم ضغط الدم .

● الثوم في الطب الحديث :

تستعمل من الثوم - في المآكل وفي الطب - فصوصه البيضية

المحلبة الظهر، ولدى تحليلها تبين أنها تحتوي على ٢٥٪ من زيت طيار فيه مركبات كبريتية، و٤٩٪ بروتين، و٠,٢٪ دهن، و٢٢٪ فحمانيات، و٠,٤٧٪ أملاح، و٦٠٪ ماء.

ولدى إجراء التجارب عليه ظهر أنه مطهر معوي، ومنبه معدي، موقف للإسهال الميكروبي (يؤكل بلعاً على الريق، أو يستعمل فص أو فصان تحميلة)، يؤكل مع اللبن الرائب - لتطهير الأمعاء، ومعالجة السعال، والربو، والسعال الديكي، وهو يطرد الأرياح، ويفيد الأعصاب، وينشط القوة الجنسية، ويفيد دهوناً في أمراض الصدر، وصعوبة التنفس وسقوط الشعر.

هذا، وقد أعلن الطبيب الأستاذ «هانز رويتر» الألماني أنه تأكد له: أن الثوم ينقي الدم من الكولسترول والمواد الدهنية، وأنه يقتل الجراثيم التي تسبب السل والدفترية، وفي بعض الحالات كان أشد فعالية من البنسلين وبعض المضادات الحيوية.

وجاء في نتيجة أبحاث حديثة أجراها علماء روس: إن الأبخرة المتصاعدة من الثوم المقشر أو المقطع، تكفي لقتل كثير من الجراثيم دون حاجة إلى أن يلمسها الثوم.

وشاهدوا أن جراثيم الزنتارية والدفترية والسل تموت بعد تعريضها لبخار الثوم لمدة خمس دقائق، كما أن مضغ الثوم مدة ثلاثة دقائق يقتل الدفترية المتجمعة في اللوزتين.

ثم إنه يوجد في الثوم: سكر سكورويوز، وهو سكر رباعي

يتكون من أربع وحدات فركتوز: كما يوجد به مركبات عضوية كبريتية مثل: ثنائي كبريتيد الآيل بروبايل، وثنائي كبريتيد ثنائي الآيل، كما يوجد به الآليسين، وهو مضاد البكتيريا الرئيسي في الثوم.

كما أكدت التجارب التي قام بها العديد من خبراء الطب في العالم مثل: شاليه، بيرت، لوير، دويريه وغيرهم، إن الثوم: يذيب البلورات التي تتجمع في الجسم، ويقلل من الضغط الدموي في الشرايين.

وأكدت أيضاً نتائج دراسات العلماء الفرنسيين: إن الانتظام في تناول الثوم، يعيق نمو الخلايا السرطانية، كما أنه يعالج حالات التيفوئيد والدوستتاريا. ومن المشاهدات الطبية لهيئة الصحة العالمية اتضح: أن أهل الصين أقل الناس تعرضاً للإصابة بحالات السرطان، نتيجة للانتظام في تناول الثوم في جميع مأكولاتهم.

الدباء

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كلوا الدباء، ونحن أهل البيت نحبه.

قال عليه السلام: عليكم بالقرع، فإنه يزيد في الدماغ.

● خلاصة فوائد الدباء:

الدباء: هو القرع، ويقال له يقطين أيضاً، ويسمى في العراق «شجر»، وفي بلاد الشام «كوسا»، ويعبر عنه باللغة الفارسية «كدو». طبعه بارد، مولد للبلغم، وهو من طعام المحرورين.

يطفئ ويبرد ويسكن اللهب والعطش، وينفع من الحميات. وغير المطبوخ منه يضر المعدة جداً. وإذا شوي واستخرج ماؤه وشرب أسكن حرارة الحمى الملهة، وهو يقلل الشهوة. وماؤه يذهب الصداع إذا شرب أو غسل به الرأس.

والدهن المستخرج منه ينفع وجع الأذن ووجع الأمعاء الحارة. يحتوي ثمره الناضج على: البروتين والدهن والمواد النشوية، ويحتوي على المعادن كالكبريت والفوسفور والبوتاس والكلس والحديد والمنغنيز.

ويقول الشيخ المجلسي: كأن زيادة العقل منه، لأنه مولد للخلط الصحيح وبه تقوى القوى الدماغية، التي هي آلات النفس في الإدراكات.

وأما بذره فيحتوي على:

- ١ - تقوية عضلات المثانة.
- ٢ - معالجة التهاب المثانة مطبوخاً.
- ٣ - معالجة البروستات.
- ٤ - يخفف الظمأ، أي العطش.
- ٥ - يفيد لترميم الجلد وتقوية البدن.

● الدباء في الطب الحديث:

ظهر في تحليل اليقطين: إنه غني بفيتامين (أ)، وفيتامين (ب)،

وحوامض: اللوسين، والتيروزين، والبيوريزين. ومن خواصه أنه غير مهيج ولا سام.

وهو: هاضم، ومسكن، ومرطب، وملين، ومدر للبول، ومطهر للصدر، وملطف. ويفيد في أمراض وعلل: التهابات مجاري البول، وحصر البول، والبواسير، والزحار (الزنتارية)، والإمساك، والوهن، وعسر الهضم، والتهاب الأمعاء، وعلل القلب، والأرق، ومرض السكري.

عرفت - في عصر النهضة الأوروبية - قدرة القرع على طرد الديدان. وعرفت في بداية القرن التاسع عشر، فاعلية بذور القرع في علاج الدودة الشريطية (الوحيدة). وقد عدت هذه البذور - قديماً - مسكّنة لالتهابات الأقنية الهضمية والبولية، وأسند إليها القدرة على قمع شهوات الجسد.

الرمان

قال علي عليه السلام: كلوا الرمان بشحمه، فإنه دباغ للمعدة، وفي كل حبة من الرمان إذا استقرت في المعدة، حياة للقلب وإنارة للنفس، وتقرض وسواس الشيطان أربعين ليلة، والرمان من فواكه الجنة، قال الله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِيَانٌ﴾.

قال علي عليه السلام: من أكل رمانة، نور الله قلبه.

قال علي عليه السلام: من أكل الرمان بشحمه، دبغ معدته.

● خلاصة فوائد الرمان :

وصف الرمان في الطب القديم، بأن الحلو منه : جيد للمعدة، مقو لها بما فيه من قبض لطيف . نافع للحلق والصدر والرئة، جيد للسعال . وماؤه ملين للبطن . يغذي البدن غذاء فاضلاً يسيراً، سريع التحلل لرقته ولطافته . يولد حرارة يسيرة في المعدة وريحاً، لذلك يعين على الباه، ولا يصلح للمحمومين .

وحامضه : قابض لطيف، ينفع المعدة الملتهبة، ويدبر البول أكثر من غيره من الرمان، ويسكن الصفراء، ويقطع الإسهال، ويمنع القيء، ويلطف الفصول، ويطفىء حرارة الكبد، ويقوي الأعضاء . نافع من الخفقان الصفراوي، والآلام العارضة للقلب وفم المعدة . وإذا استخرج ماؤه بشحمه وطبخ ببisir من العسل حتى يصير كالمرهم، واكتحل به : قطع الآكلة، العارضة لها . وإن استخرج ماؤه بشحمه أطلق البطن، وأحدر الرطوبات العفنة من المرارة، ونفع من الحميات المتقطعة المتطاولة .

● الرمان في الطب الحديث :

في الطب الحديث وصف الرمان بأنه : مقو للقلب، قابض، طارد للدودة الشريطية، مفيد للزحار «الزنتارية»، وللوهن العصبي، ويكافح الأورام في الغشاء المخاطي إذا قطر منه في الأنف مصحوباً بالعسل، وإذا شرب عصيره مع الماء والسكر، أو مع الماء والعسل يكون مسهلاً خفيفاً، وهو ينظف مجاري التنفس والصدر، ويطهر

الدم، ويشفي عسر الهضم، وأكله مع المأكّل الدسمة يهضمها، ويخلص الأمعاء من فضلات المأكّل الغليظة.

الزبيب

قال علي عليه السلام : الزبيب يشد القلب، ويذهب بالمرض، ويطفى الحرارة، ويطيب النفس.

● بعض فوائد الزبيب :

الزبيب : هو العنب المجفف في الشمس، ذو سكر عالٍ، لا يحتوي بعضه على بذر في جوفه.

● الزبيب في الطب الحديث :

يفيد الزبيب في النزلات واحتراق الصدر أو المعدة والأمعاء، ويدخل في أكثر المشروبات والمغليات الصدرية والملطفة، ويضم للصمغ والأزهار المضادة للسعال والسكر والعسل، ولذا كان أحد الثمار الصدرية الأربعة وهي : الزبيب، والتين، والبلح والعناب.

● الزبيب الأحمر :

قال علي عليه السلام : من يصبح بواحدة وعشرين زبينة حمراء، لم يصبه إلا مرض الموت.

الزعفران

قال علي عليه السلام : من أخذ من الزعفران الخالص جزءاً، ومن

السعد جزءاً، ويضيف إليهما عسلاً، ويشرب مثقالين في كل يوم، فإنه يتخوف عليه من شدة الحفظ، أن يكون ساحراً.

● الزعفران في الطب الحديث :

وفي الطب الحديث : ثبت أن أزهار الزعفران تحوي مادة مقوية للأعصاب، ومنشطة ومنبهة، ومدررة للطمث (الحيض). ولا يقر الطب الحديث بأنه منشط جنسي، والواقع أن إضافة مواد أخرى له كالعنبر وغيره هي التي تعطيه هذه المزية التي تنسب إليه. لقد كان يستعمل في الطب القديم على مدى واسع، أما في الطب الحديث فإنه يستعمل على مدى ضيق جيداً.

ومن أراد التوسع، فعليه بكتاب طب الإمام علي عليه السلام، بقلم عبد الحسين الجوهري.

الطحال والكبد

التهديب في خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه لما نهى عن أكل الطحال قال قصاب: يا أمير المؤمنين ما الكبد والطحال إلا سواء، فقال له: (كذبت يا لكع ائني بتور من ماء أنبأتك بخلاف ما بينهما)؛ فأتى بكبد وطحال وتور من ماء فقال: (شق الكبد من وسطه والطحال من وسطه)، ثم رماه في الماء جميعاً فابيض الكبد ولم ينقص منه شيء ولم يبيض الطحال وخرج ما فيه كله وصار دماً كله وبقي جلدًا وعروقًا، فقال له: (هذا خلاف ما بينهما هذا لحم وهذا دم).

علي عليه السلام الشاهد

وقال سليم بن قيس: سألت رجل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له وأنا أسمع: أخبرني بأفضل منقبة لك، قال: ما أنزل الله في كتابه، قال: وما أنزل فيك؟ قال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتَرٍ مِّن زَيْدٍ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] قال: أنا الشاهد من رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] إياي عني بمن عنده علم الكتاب - فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره، مثل قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَمُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وغير ذلك - قال: قلت: فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله ﷺ، فقال: نصبه إياي يوم غدير ختم فقال لي بالولاية بأمر الله عز وجل، وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

أمثلة بعلم علي عليه السلام

من خطبة له عليه السلام:

«أيها الناس غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم. ما لي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين! كأنكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبني، ومشرب دوي، وإنما هي كالمعلوفة للمدى، لا تعرف ماذا يراد بها! إذا أحسن إليها تحسب يومها دهرها، وشبعها أمرها.

والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ﷺ. ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه. والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كله وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إليّ.

أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمّد ﷺ

هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكمة منطقهم. لا يخالفون الحق، ولا يختلفون عليه، وهم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل.

هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه. بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائضه.

يقول الشيخ محمد عبده «إن حكمه وشرعه - أي النبي - يرجع إليهم وهم أهل البيت حفاظ كتبه يحوونها كما تحوي الكهوف ما

فيها. وكتب القرآن وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها ما خصّ الله به هذه الأمة وهذه صفات أهل البيت لاستعدادهم لأسرار الله وحكمته.

فكلام الشيخ محمد عبده صريح في أن الإسلام نما وقوي وامتد بأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً بأمر المؤمنين علي عليه السلام وهذا ما تشهد به آية المباهلة.

العباس يطالب بإرث الرسول ﷺ

صالح بن كيسان وابن رومان رفعاه إلى جابر الأنصاري قال: جاء العباس إلى علي عليه السلام يطالبه بميراث النبي ﷺ فقال له: (ما كان لرسول الله شيء يورث إلا بغلته دلدل، وسيفه ذو الفقار، ودرعه وعمامته السحاب، وأنا أربأ بك أن تطلب بما ليس لك) فقال: لا بد من ذلك وأنا أحق عمه ووارثه دون الناس كلهم، فنهض أمير المؤمنين ومعه الناس حتى دخل المسجد، ثم أمر بإحضار الدرع والعمامة والسيف والبقلة فأحضر فقال للعباس: (يا عم إن أطق النهوض بشيء منها فجمعيه لك، فإن ميراث الأنبياء لأوصيائهم دون العالم ولأولادهم، فإن لم تطق النهوض فلا حق لك فيه) قال: نعم، فألبسه أمير المؤمنين الدرع بيده وألقى إليه العمامة والسيف ثم قال: (انهض بالسيف والعمامة يا عم)، فلم يطق النهوض فأخذ منه وقال له: (انهض بالعمامة فإنها آية من نبينا).

فأراد النهوض فلم يقدر على ذلك وبقي متحيراً ثم قال له: (يا عم وهذه البقلة بالباب لي خاصة ولولدي، فإن أطق النهوض

وركوبها فاركبها)، فخرج ومعه عدوي فقال له: يا عم رسول الله خدعك علي فيما كنت فيه، فلا تخدع نفسك في البغلة إذا وضعت رجلك في الركاب فاذكر الله وسم واقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِيتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] قال: فلما نظرت البغلة إليه مقبلاً مع العباس نفرت وصاحت صياحاً ما سمعناه قط، فوقع العباس مغشياً عليه واجتمع الناس وأمر بإمساكها فلم يقدر عليها، ثم إن علياً عليه السلام دعا البغلة باسم ما سمعناه، فجاءت خاضعة ذليلة، فوضع رجله في الركاب ووثب عليها فاستوى عليها راكباً فاستدعى أن يركبها الحسن والحسين فأمرهما بذلك ثم لبس عليّ الدرع والعمامة والسيف وركبها وسار عليها إلى منزله، وهو يقول: (هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أنا وهما أم تكفر أنت يا فلان).

ومن خطبة له في التقوى

الإيمان أعلى من الإسلام بدرجة، والتقوى أعلى من الإيمان بدرجة، واليقين أعلى من التقوى بدرجة.

فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق في كل ملكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب.

فاعملوا والعمل يرفع، والتوبة تنفع، والدعاء يسمع، والحال هادئة والأقلام جارية. وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً خالساً.

فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور، إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حدّ البراءة.

والهجرة قائمة على حدّها الأول، ما كان لله في أهل الأرض حاجة من مستسرّ الأمة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجرٌ، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه.

إنّ أمرنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحمله إلا عبدٌ مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا صدورٌ أمينةٌ، وأحلامٌ رزينةٌ.

ومن خطبة له في الإرشاد

أوصيكم أيّها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعائمه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصّكم بنعمة، وتدارككم برحمة! . أعورتم له فستركم، وتعرّضتم لأخذه فأمهلكم! .

وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم؛ فكفى واعظاً بموتى عايتموهم، حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وأنزلوا فيها غير نازلين، فكأنّهم لم يكونوا للعالم عماراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً. أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا، وأضاعوا ما إليه انتقلوا، لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً، ولا

في حسن يستطيعون ازدياداً، أنسوا بالدنيا فغرتهم، ووثقوا بها فصرعتهم.

فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها، والتي رغبتم فيها ودعيتم إليها، واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته، فإنَّ غداً من اليوم قريب.

ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وما أسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر!

من كلام له يصف فيه الدنيا

ما أصف من دار، أولها عناء، وآخرها فناء! فبحلالها حساب وفي حرامها عقاب.

من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بضرتة، ومن أبصر إليها أعمته.

يقول ابن المعتز إلى قوله: «من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته» فقال الدنيا كظلك كلما طلبته زاد عنك بعداً.

- ١ - الدنيا غرورٌ حائلٌ، وسرابٌ زائلٌ، وسنادٌ مائلٌ.
- ٢ - احذر الدنيا فإنها شبكة الشيطان ومفسدة الإيمان.
- ٣ - إياك وحب الدنيا فإنها أصل كل خطيئة ومعدن كل بلية.
- ٤ - إن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم.

- ٥ - إِنَّ الدنيا كالحية لتين مسها، قاتل سمها، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يعجبك منها.
- ٦ - الدنيا حلم والآخرة يقظة وأنت بينهما في أضغاث أحلام.
- ٧ - الدنيا دول فأجمل في طلبها، واصطبر حتى تأتيك دولتك.
- ٨ - الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تفي لصاحب.
- ٩ - إِنَّ جَدَّ الدنيا هزلٌ وعزَّها ذُلٌّ وعلوها سفْلٌ.
- ١٠ - إِنَّ مثل الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان إذا أرضى إحداهما أسخط الأخرى.
- ١١ - الدنيا مليئة بالمصائب، طارقة بالفجائع والنواب.
- ١٢ - الدنيا شرك النفوس، وقرارة كل ضر وبؤس.
- ١٣ - أيها الناس إياكم وحب الدنيا فإنها رأس كل خطيئة وباب كل بلية وقران كل فتنة وداعي كل رزية.
- ١٤ - وما نلتها من الدنيا فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأسفن عليه حزناً.

خطبة تحذر من الدنيا

ومن خطبة له عليه السلام : «فأتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جدّ بكم، واستعدوا للموت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صريح بهم فانتبهوا، وعلموا أَنَّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا فإنَّ الله سبحانه لم يخلقكم

عبثاً، ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به.

وإن غاية تنقصها اللحظة، وتهدمها الساعة، لجديرة بقصر المدة. وإن غائباً يحدوه الجديدان: الليل والنهار، لحري بسرعة الأوبة. وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة.

فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً. فاتقوا عبثاً ربه، نصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به، يزين له المعصية ليركبها، ويمنيه التوبة ليسوفها، إذا هجمت منيته عليه أغفل ما يكون عنها.

فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤذيه أيامه إلى الشقوة!

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية، ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة.

مسكين ابن آدم: «مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتنته العرق، وتقتله الشقة».

ويح ابن آدم: «أسير الجوع، صريع الشبع، غرض الآفات، خليفة الأموات».

الزهد من الدنيا

انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادقين عنها، فإنها والله

عَمَّا قَلِيلٍ تَزِيلُ الثَّأْوِي السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمَتْرَفَ الْأَمَنَ، لَا يَرْجِعُ مَا
تَوَلَّى فَادْبِرْ، وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيَتَنَظَّرُ.

سرورها مشوب بالحزن، وجلد الرجال فيها إلى الضعف
والوهن، فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها.

رحم الله امرءاً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنّ ما هو كائن
من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم
يزل، وكلّ معدودٍ منقّص، وكلّ متوقع آتٍ، وكل آت قريب دان.

العالم من عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره.
وإنّ من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبداً وكله الله إلى نفسه، وجائراً
عن قصد السبيل، سائراً بغير دليل؛ إن دعي إلى حرث الدنيا عمل،
وإن دعي إلى حرث الآخرة كسل، كأن ما عمل له واجبٌ عليه،
وكان ما وني فيه ساقطٌ عنه.

وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة، إن شهد لم
يعرف، وإن غاب لم يفتقد أولئك مصابيح الهدى وأعلام السرى،
ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر، أولئك يفتح الله لهم أبواب
رحمته، ويكشف عنهم ضرأ نقمته.

أيها الناس، سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام، كما يكفأ
الإناء بما فيه. أيها الناس إنّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم؛ ولم
يعذكم من أن يبتليكم، وقد قال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَن
كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

ومن كلامه عليه السلام : «فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها، تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده».

فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل أخوانكم.

- ١ - بالزهد ثمر الحكمة.
- ٢ - الزهد تقصير الآمال، وإخلاص الأعمال.
- ٣ - إن الزهد في الجهل بقدر الرغبة في العقل.
- ٤ - اعزف عن دنياك تسعد بمنقلبك وتصلح مثواك.
- ٥ - الزهد أن لا تطلب المفقود حتى يعدم الموجود.
- ٦ - حسن الزهد من أفضل الإيمان، والرغبة في الدنيا تفسد الإيقان.
- ٧ - زهدك في الدنيا ينجيك، ورغبتك فيها ترديك.
- ٨ - زهد المرء فيما يفنى على قدر يقينه بما يبقى.
- ٩ - ليكن زهدك فيما ينفد ويزول، فإنه لا يبقى لك ولا تبقى له.
- ١٠ - لا ينفع زهد من لم يتخلّ عن الطمع، ويتحلّ بالورع.
- ١١ - انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر إليها نظر العاشق الوامق.
- ١٢ - إن الزهد في ولاية الظالم بقدر الرغبة في ولاية العادل.

١٣- الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عن كل ما حرم الله.

١٤- الزاهد في الدنيا من لا يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره.

النِّقَاطَةُ الزَّهَادُ

كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها ما يحذرون، تقلّب أبدانهم بين ظهرائي أهل الآخرة، ويرون أهل الدنيا، يعظمون موت أجسادهم وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحيائهم.

التَّرفُّقُ فِي الطَّلَبِ

رويداً يسفر الظلام، كأن قد وردت الأظعان؛ يوشك من أسرع أن يلحق؛ واعلم يا بنيّ أنّ من كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً.

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب، وأجمل في المكتسب، فإنه ربّ طلب قد جرّ إلى حرب؛ فليس كلّ طالب بمرزوق، ولا كلّ مجمل بمحروم.

وأكرم نفسك عن كلّ دنية وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً.

وما خيرُ خيرٍ لا ينال إلاّ بشرٍ، ويسرٍ لا ينال إلاّ بعسرٍ؟
وإياك أن توجف بك مطايا الطمّع، فتوردك مناهل الهلكة.

وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنّك
مدركُ قسمك، وآخذُ سهمك، وإنّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم
من الكثير من خلقه وإن كان كلُّ منه.

قال رحمه الله في المنافقين

ألا وإنّ اللسان بضعة من الإنسان، يسعده القول إذا امتنع، ولا
يمهله النطق إذا اتسع، وإنّا لأمرء الكلام، وفينا تنشبت عروقه،
وعليّنا تهذّلت غصونه.

واعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحقّ قليلٌ،
واللسان عن الصّدق قليلٌ، واللازم للحقّ ذليلٌ، أهله معتكفون على
العصيان، مصطلحون على الإدهان، فتاهم عارمٌ، وشائبهم آثمٌ،
وعالمهم منافقٌ، وقارنهم ماذقٌ، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم، ولا
يعول غنيهم فقيرهم.

ذكر الموت

يا بني أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتفضي بعد
الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرک، وشددت له أزرک،
ولا يأتيك بغتةً فيبهرك.

وإياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكال بهم

عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشفت لك عن مساوئها، فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرُّ بعضها على بعض، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها.

نعم معقلة، وأخرى مهملة، قد أضلت عقولها، وركبت مجهولها.

سروح عاهة بوادٍ وعث، ليس لها راع يقيمها، ولا مسيم يسيما.

سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتأهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها.

ظلمة القبر

أحمدته شكراً لإنعامه، وأستعينه على وظائف حقوقه. عزيز الجند عظيم المجد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا إلى طاعته، وقاهر أعدائه جهاداً على دينه. لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لإطفاء نوره. فاعتصموا بتقوى الله فإن لها حبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته. وبادروا الموت في غمراته. وأمهّدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله. فإن الغاية القيامة. وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس، وشدة الإبلاس.

وهول المطلع، وروعات الفرع. واختلاف الأصلاع واستكاك
الأسماع. وظلمة اللحد، وخيفة الوعد. وغم الضريح، وردم
الصفائح، فالله عباد الله فإن الدنيا ماضية بكم على سنن، وأنتم
والساعة في قرن. وكأنها قد جاءت بأشراتها، وأزفت بأفراطها،
ووقفت بكم على صراطها. وكأنها قد أشرفت بزلزلها، وأناخت
بكلاكلها، وانصرمت الدنيا بأهلها، وأخرجتم من حضنها، فكانت
كيوم مضى أو شهر انقضى، وصار جديدها رثاً، وسمينها غثاً، في
موقف ضنك المقام، وأمور مشبهة عظام ونارٍ شديدٍ كلبها، عالٍ
لجبتها، ساطعٍ لهبها، متغيّظٍ زفيرها، متأججٍ سعيها، بعيدٍ خمودها،
ذاكٍ وقودها، مخيفٍ وعيدها، غمٍ قرارها، مظلمةٍ أقطارها. حاميةٍ
قدورها، فظيعةٍ أمورها.

إخوان الإمام (الترحال).....

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان
مدبراً، وأزمع الترحال عباد الله الأخيار، وباعوا ليلاً من الدنيا لا يبقى
بكثير من الآخرة لا يفنى. ما ضرَّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم
بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء؟ سيسفون الغصص ويشربون الرنق.
قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم.
أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين
ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين
تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة. (قال ثم ضرب بيده

على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة. دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه (ثم نادى بأعلى صوته): الجهاد الجهاد عباد الله. ألا وإني معسكر في يومي هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.

الموت زائر غير محبوب

فإن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طياتكم. فكان قد أتاكم بغتة فأسكت نجيكم، وفزق نديكم، وعقى أثاركم، وعطل دياركم، وبعث وزائركم، يقتسمون تراثكم، بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخر شامت لم يجزع.

فعليكم بالجد والاجتهاد، والتأهب والاستعداد، والتزود في منزل الزاد، ولا تغرّركم الحياة الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية، والقرون الخالية، الذين احتلبوا درتها، وأصابوا غرّتها، وأفنوا عدّتها، وأخلقوا جدّتها، وأصبحت مساكنهم أجداناً، وأموالهم ميراثاً، لا يعرفون من أتاهم، ولا يحفلون من بكاهم، ولا يجيبون من دعاهم. فاحذروا الدنيا فإنها غدارة غرارة خدوع، مُعطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها.

علي عليه السلام يصف حالنا

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فلا تبصر إلا فقيراً يكابد

فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفوفاً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله
وفراً، أو متمرداً كأن يأذنه عن سمع المواعظ وقرأ.

أين أخياركم وصلحاًؤكم وأحراركم وسمحاًؤكم، وأين
المتورعون في مكاسبهم، والمتنزهون في مذهبهم! أليس قد ظعنوا
جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة!

وهل خلفتم إلا في حثالة لا تلتقي بدمهم الشفتان، استصغاراً
لقدركم وذهاباً عن ذكرهم! فإننا لله وإنا إليه راجعون.

خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الخالية من حرف الألف

روي أن الصحابة قالوا يوماً: ليس من حرف العجم حرف أكثر دوراناً في الكلام من الألف، فنهض أمير المؤمنين عليه السلام وخطب خطبة على البديهة طويلة تشتمل على الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه وآله وفيها الوعد والوعيد ووصف الجنة والنار والمواعظ والزواجر والنصيحة للخلق وليس فيها ألف وهي التالية: قال عليه السلام: حمدت من عظمت مثته، وسبغت نعمته، وسبقت غضبه رحمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيتته، حمدته حمد مقرّ بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، متفرّد بتوحيده، مؤمل منه مغفرة تنجيّه، يوم يشغل عن فصيلته وبنيه.

ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، وشهدت له شهود مخلص موقن، وفردته تفريد مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مدعن، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي في صنعه، جلّ عن مشير ووزير، وعن عون معين، ونصير ونظير. علم فستر، وبطن فخبّر، وملك فقهر، وعصى فغفر، وحكم فعدل، لم

يزل ولن يزول (ليس كمثله شيء)، وهو بعد كل شيء رب متعزز بعزته، متمكن بقوته، مقدّس بعلوه، متكبر بسموه ليس يدرکه بصراً، ولم يحط به نظر قويّ منيع، بصيرٌ سميعٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

عجز عن وصفه من يصفه، وضلّ عن نعته من يعرفه.

قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفيّ، وبطش قويّ، ورحمة موسّعة وعقوبة موجعة، رحمته جنةٌ عريضةٌ موفقةٌ، وعقوبته جحيمٌ ممدودةٌ موبقةٌ.

وشهدت ببعث محمد رسوله، وعبدته وصفّيه ونبيّه ونجيّه، وحبّبه وخلّيله، بعثه في خير عصر، وحين فترة وكفر رحمةً لعبيده، ومئةً لمزيده، ختم به نبوّته، وشيّده به حجّته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن، رحيمٌ سخيّ، رضيّ وليّ زكيّ، عليه حرمةٌ وتسليمٌ، وبركةٌ وتكريمٌ من ربّ غفور رحيم، قريبٌ مجيبٌ.

وصيّتكم معشر من حضرني بوصيّة ربّكم، وذكّرتكم بسنة نبيكم، فعليكم برهة تسكن قلوبكم، وخشية تدرّج دموعكم، وتقية تنجّيككم قبل يوم نبليكم وتذهلكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخفّ وزن سيّئته، ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذلّ وخضوع، وشكر وخشوع، بتوبة وتوّرّع، وندم ورجوع، وليغتنم كلّ مغتنم منكم صحّته قبل سقمه، وشيبيته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبرٍ وتهرمٍ وتسقمٍ، يملّه طبيبه، ويعرض عنه حبيبّه وينقطع غمده، ويتغيّر عقله، ثم قيل: هو

موعوك، وجسمه منهوك، ثم جدّ في نزع شديد، وحضرة كل قريب
وبعيد، فشخص بصره، وطمع نظره، ورشح جبينه، وعطف عرينه
وسكن حنينه وحزنته نفسه، وبكته عرسه، وحفر رمسه، ويثم منه
ولده، وتفرّق منه عدده، وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ومدّد
وجُرد، وعزّي وغسل، ونشّف وسجّي، وبسط له وهبي، ونشر عليه
كفنه، وشدّ منه ذقنه، وقمّص وعمّم وودع وسلّم، وحمل فوق
سرير، وصلي عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرفة، وقصور مشيدة،
وحجر متحدة، وجعل في ضريح ملحود، وضيق مرصود، بلبن
منضود، مسقف بجلمود، وهيل عليه حفرة، وحثي عليه مدره،
وتحقق حذره، ونسي خبره، ورجع عنه وليّه وصفيّه، ونديمه
ونسبه، وتبدّل به قرينه وحبّيه، فهو حشو قبر، ورهين قفر، يسعى
بجسمه دود قبره، ويسيل صديده من منخره، يسحق تربه لحمه،
وينشف دمه، ويرمّ عظمه حتى يوم حشره فنشر حين ينفخ في صور،
ويدعى بحشر ونشور.

فثم بعثت قبور، وحصلت سريرة صدور، وجيء بكل نبي
وصديق وشهيد، وتوخذ للفصل قديرٌ بعبد خبيرٌ بصير، فكم من
زفرة تضنيه، وحسرة تنصيه، في واقف مهول، ومشهد جليل، بين
يدي ملك عظيم، وبكل صغير وكبير عليم، فيحنّذ يلجمه عرقه،
ويحصره قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة، وحججه
غير مقبولة، زالت جريدته، ونشرت صحيفته، نظر في سوء عمله،
وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه

بلمسه، وجلده بمسه، فسلسل جيده، وغلت يده، وسبق فحسب وحده، فورد جهنم، بكرب وشدة، فظل يعذب في جحيم، ويسقى شربة من حميم، تشوى وجهه، وتسلخ جلده، وتضربه زينة بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم، ويتصرخ فيلبث حقبة يندم.

نعوذ بربّ قدير، من شر كلّ مصير، ونسأله عفو من رضي عنه، ومغفرة من قبله، فهو وليّ مسألتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح عن تعذيب ربّه جعل في جنته، بقربه، وخلد في قصور مشيدة، وملك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكؤوس، أسكن في حظيرة قدوس، وتقلب في نعيم، وسقي من تسنيم، وشرب من عين سلسيل، ومزج له بزنجيل، مختّم بمسك، وعبير مستديم للملك، مستشعر للسّر، يشرب من خمور، في روض مغدق، ليس يصدع من شربه، وليس ينزف.

هذه منزلة من خشي ربّه، وحذر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مشيئته، وسوّلت له نفسه معصيته، فهو قول فصل، وحكم عدل، وخبر قصص قصّ، ووعظ نص، (تنزيل من حكيم حميد) نزل به روح قدس مبين، على قلب نبي مهتد رشيد، صلّت عليه رسل سفرة، مكرمون بررة عذب بربّ عليم، رحيم كريم، من شرّ كلّ عدوّ لعين رجيم، فليتضرّع متضرّعكم، وليتهل مبتهلكم، وليستغفر كلّ مربوب منكم لي ولكم، وحسبي ربّي وحده.

خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام خالية من النقطة

في المناقب عن ابن شهر آشوب والكلبي وابن بابويه بإسناده عن
الرضا عليه السلام أنه حدث أصحابه معاجز جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
حتى نقل لهم هذه المعجزة الخالدة ألا وهي الخطبة المباركة العارية
عن النقطة فقال: الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، مصور
كل مولود، ومالك كل مطرود، ساطع المهاد، وموطل الأطواد،
ومرسل الأمطار، عالم الأسار ومدركها، ومدمر الأملاك ومهلكها،
ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها، عم سماحه وكمل
ركامه، وهمل، وطاع السؤال كما وخذ ألا وهو الله لا إله إلا الله
سواه، ولا صارع لما عدل سواه، أرسل محمداً علماً للإسلام،
وإماماً للأحكام، مسدد الرعام، ومعطل أحكام ود وسواع أعلم وحلم
وحكم وحكم واصل الأصول، ومهد، والد الوعود وأوعد أوصل الله
له الإكرام، وأودع روحه السلام، ورحمه الله وأهله الكرام، ما لمع
دال، وطلع هلال، وسمع أهلال، اعلموا رعاكم الله لأصلح
الأعمال، واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام ورعوه،
واسمعوا أمر الله ووعوه، وصلوا الأرحام وراعوها، وعاصوا الأهواء
واردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع، وصالحوا رهط اللهو
والطمع، ومصاهركم أظهر الأحرار مولداً، وأسرارهم سؤدداً،
وأحلامهم مورداً. . .

ومن خطبة له حول إسلام قريش والأعراب

ألا وإني قد نفضتكم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية، فإن الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمة، فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفه التي ينتقلون في ظلّها ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن، وأجلّ من كل خطر.

واعلموا أنّكم صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلّقون من الإسلام إلّا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلّا رسمه، تقولون: النار ولا العار! كأنكم تريدون أن تكفثوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأمنأ بين خلقه.

وإني إن لجأتكم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل، ولا مهاجرين ولا أنصار ينصرونكم، إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم.

وإنّ عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه، وأيامه ووقائعه، فلا تستبطئوا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه، فإنّ

الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي!

ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأتمم أحكامه.

ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوخت، وأما شيطان الردة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه، ورجة صدره، وبقيت بقية من أهل البغي. ولئن أذن الله في الكرة عليهم، لأدبلن منهم إلا ما يتشذر في أطراف البلاد تشذراً.

أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر. وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا وليد يضمنني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه. وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام

غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة.

ولقد سمعت رثة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرثة؟ فقال: هذا الشيطان، قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلّى خير.

ولقد كنت معه ﷺ؛ لما أتاه الملائكة من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادّعت عظيمًا لم يدعه آباؤك، ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمرًا إن أنت أحببتنا إليه وأريتناه، علمنا أنك نبيٌّ ورسولٌ، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحرٌ كذابٌ.

فقال ﷺ: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها، وتقف بين يديك. فقال ﷺ: إن الله على شيءٍ قدير، فإن فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحق، قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيثون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب. ثم قال ﷺ: يا أيّها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أنّي رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تفقي بين يديّ بإذن الله. والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويٌّ شديدٌ، وقصفت كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ وبيعض أغصانها على منكبي. وكنت عن يمينه ﷺ، فلما نظر القوم إلى ذلك، قالوا

علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ، فقالوا كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه، كما كان، فأمره ﷺ فرجع، فقلت أنا: لا إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك. فقال القوم كلّهم: بل ساحرٌ كذابٌ، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك إلا مثل هذا يعنونني، وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيماء الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل، ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغفلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل.

علي عليه السلام والشمس

روى الكليني في الكافي أنها رجعت بمسجد الفضيل من المدينة، وأما المعروف مرتان في حياة النبي ﷺ بكراع الغميم، وبعد وفاته ببابل، فأما في حال حياته ﷺ ما روت أم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر الأنصاري، وأبو ذر وابن عباس والخدري وأبو هريرة والصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ صلى بكراع الغميم فلما سلم نزل عليه الوحي وجاء علي عليه السلام وهو على ذلك الحال فأسنده إلى ظهره، فلم يزل على تلك الحال حتى غابت الشمس والقرآن

ينزل على النبي ﷺ فلما تم الوحي قال: «يا عليّ صليت»؟ قال: (لا)، وقصّ عليه فقال: «ادع ليرد الله عليك الشمس» فسأل الله فردت عليه بيضاء نقية، وفي رواية أبي جعفر الطحاوي أن النبي ﷺ قال: «اللهم إن علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس»، فردت فقام عليّ ﷺ وصلى فلما فرغ من صلاته وقعت الشمس وبدر الكواكب، وفي رواية أبي بكر مهرويه قالت أسماء: أما والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار في الخشب قال: وذلك بالصهباء في غزاة خيبر وروي أنه صلى إيماء فلما ردت الشمس أعاد الصلاة بأمر رسول الله ﷺ وسئل صاحب أن ينشد في ذلك فأنشأ:

لا تقبل التوبة من تائب إلا بحب ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره والصهر لا يعدل بالصاحب
يا قوم من مثل عليّ وقد ردت عليه الشمس من غائب
وأما بعد وفاته ﷺ: ما روى جويرية بن مسهر وأبو رافع
والحسين بن عليّ ﷺ أن أمير المؤمنين لما عبر الفرات ببابل صلى
بنفسه في طائفة معه العصر ثم لم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت
الشمس وفات صلاة العصر من الجمهور، فتكلموا في ذلك فسأل الله
تعالى رد الشمس عليه فردها عليه فكانت في الأفق فلما سلم القوم
غابت فسمع لها وجيب شديد هال الناس ذلك وأكثروا التهليل
والتسبيح والتكبير ومسجد الشمس بالصاعدية من أرض بابل شائع
ذائع، وعن ابن عباس بطرق كثيرة أنه لم ترد الشمس إلا لسليمان

وصي داود، وليوشع وصي موسى، ولعلي بن أبي طالب وصي محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

علي عليه السلام أعرف الخلق بالكيماء

وهو أكثرهم حظاً. سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الصنعة، فقال: هي أخت النبوة وعصمة المروءة، والناس يتكلمون فيها بالظاهر وإنني لأعلم ظاهرها وباطنها، والله ما هي إلا ماء جامد، وهواء راكد، ونار جائلة وأرض سائلة .

وسئل عليه السلام في أثناء خطبته: هل الكيماء تكون؟ فقال: الكيماء كان وهو كائن وسيكون، فقليل: من أي شيء هو؟ فقال: إنه من الزئبق الرجراج، والأسرب والزاج، والحديد المزعفر، وزنجار النحاس الأخضر الحبور إلا توقف على عابرهن، فقليل: فهمنا لا يبلغ إلى ذلك، فقال: اجعلوا البعض أرضاً، واجعلوا البعض ماء، وافلجوا الأرض بالماء وقد تمّ، فقليل: زدنا يا أمير المؤمنين، فقال: لا زيادة عليه فإن الحكماء القدماء ما زادوا عليه كيما يتلاعب به الناس .

علي عليه السلام والسنن والأحكام

وأما الأخبار التي جاءت بالباهرة من قضاياه في السنن وأحكامه التي افتقر إليه في علمها كافة المؤمنين بعد الذي أثبتناه من جملة، الوارد في تقدمه في العلم وتبريزه على الجماعة بالمعرفة والفهم وفزع علماء الصحابة إليه فيما أعضل من ذلك والتجائهم إليه فيه وتسليمهم له القضاء به فهي أكثر من أن تحصى وأجل من أن تتعاطى، وأنا مورد منها جملة تدل على ما بعدها إن شاء الله، فمن ذلك ما رواه نقلة الآثار من العامة والخاصة في قضاياه ورسول الله صلى الله عليه وآله حي، فصوله فيها وحكم له بالحق فيما قضى به، ودعا له بخير، وأثنى عليه وأبانه بالفضل في ذلك من الكافة، ودل به على استحقاقه الأمر من بعده، ووجوب تقدمه على من سواه في مقام الإمامة، كما تضمن ذلك التنزيل فيما دل على معناه، وعرف به ما حواه من التأويل، حيث يقول الله عز وجل ﴿أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّئَ أَنتَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْكَوْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] وقوله عز وجل في قصة آدم وقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَقَادِمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿البقرة: ٣٠ - ٣٣﴾ فنبه الله جل جلاله الملائكة على أن آدم أحق بالخلافة منهم، لأنه أعلم منهم بالأسماء وأفضلهم في علم الأنبياء، وقال تقدست أسماءوه في قصة طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾ فجعل جهة حقه في التقدم عليهم ما زاده الله من البسطة في العلم والجسم، واصطفاه إياه على كافتهم بذلك، وكانت هذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أن الأعلم هو أحق بالتقدم في محل الإمامة ممن لا يساويه في العلم، وذلك يدل على وجوب تقدم أمير المؤمنين عليه السلام على كافة المسلمين في خلافة الرسول وإمامة الأئمة، لتقدمه عليه السلام في العلم والحكمة وقصورهم عن منزلته في ذلك.

علي عليه السلام عنده علم الكتاب

في حياة النبي ﷺ

فمما جاءت به الرواية في قضاياه والنبي ﷺ حي موجود أنه

لما أراد رسول الله ﷺ تقليده قضاء اليمن وإنفاذه إليهم ليعلمهم الأحكام ويبين لهم الحلال من الحرام ويحكم فيهم بأحكام القرآن قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : تندبني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء؟ فقال له : ادن مني ، فدنا منه فضرب على صدره بيده وقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام ولما استقرت به الدار باليمن ونظر فيما ندبه إليه رسول الله ﷺ من القضاء والحكم بين المسلمين رفع إليه رجلان بينهما جارية يملكان رقها على السواء ، قد جهلا حظر وطنها فوطأها معاً في طهر واحد على ظن منهما جواز ذلك ، لقرب عهدهما بالإسلام ، وقلة معرفتهما بما تضمنته الشريعة من الأحكام ، حملت الجارية ووضعت غلاماً فاختصما إليه ، ففرع على الغلام باسمهما فخرجت القرعة لأحدهما ، فألحق الغلام به وألزمه نصف قيمة الولد أن لو كان عبداً لشريكه ، وقال : لو علمت أنكما أقدمتما على ما فعلتما بعد الحجة عليكما بحظره ، لبالغت في عقوبتكما ، وبلغ رسول الله ﷺ هذه القضية فأمضاها ، وأقر الحكم بها في الإسلام ، وقال الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود عليه السلام وسبيله في القضاء ، يعني به القضاء بالإلهام الذي في معنى الوحي ونزول النص به أن لو نزل على التصريح .

وفي أخبار أبي رافع أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي بن أبي طالب عليه السلام : يا علي هذا كتاب الله خذه إليك ، فجمعه

علي عليه السلام في ثوب فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي ﷺ جلس علي فآلفه كما أنزل الله، وكان به عالماً.

وحذثني أبو العلاء العطار والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن علي بن رباح أن النبي ﷺ أمر علياً بتأليف القرآن فآلفه وكتبه.

جبله بن سحيم، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لو ثني لي الوسادة وعرف لي حقي لأخرجت لهم مصحفاً كتبه وأملاه علي رسول الله ﷺ، ورويت أيضاً أنه إنما أبطأ علي عن بيعة أبي بكر لتأليف القرآن.

قال الله تعالى: ﴿يَتَّبِعْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وقال: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فإذا كان ذلك لا يوجد في ظاهره فهل يكون موجوداً إلا في تأويله؟ كما قال: ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] وهو الذي عناه عليه السلام بـ«سلوني قبل أن تفقدوني» ولو كان إنما عني به ظاهره فكان في الأمة كثير يعلم كذلك ولا يخطئ فيه حرفاً، ولم يكن عليه السلام ليقول من ذلك على رؤوس الأشهاد ما يعلم أنه لا يصح من قوله وإن غيره يساويه فيه أو يدعي على شيء منه معه، فإذا ثبت أنه لا نظير له في العلم صح أنه أولى بالإمامة.

ومن عجيب أمره في هذا الباب أنه لا شيء من العلوم إلا وأهله يجعلون علياً قدوة، فصار قبله في الشريعة، فمنه سمع القرآن، وذكر

الشيرازي في نزول القرآن وأبو يوسف يعقوب في تفسيره عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] كان النبي ﷺ يحرك شفثيه عند الوحي ليحفظه فقليل له: «لا تحرك به لسانك» يعني بالقرآن ﴿لَتَجْعَلَٰ بِهِ﴾ من قبل أن يفرغ به من قراءته عليك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي وجمعه علي بعد موت رسول الله ﷺ بسة أشهر.

لا أضع الرداء حتى أجمع القرآن

أبو نعيم في الحلية والخطيب في الأربعين بالإسناد عن السدي عن عبد خير عن علي عليه السلام: لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن.

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أنه آلى أن لا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع مع التيه، فقالوا: لأمر ما جاء به أبو الحسن؟ فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وهذا الكتاب وأنا العترة، فقام إليه الثاني

فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما! فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجة. وفي خبر طويل عن الصادق عليه السلام أنه حملة وولى راجعاً نحو حجرته وهو يقول: ﴿فَبَدَّوْهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبَشَّرُوهُ﴾ ولهذا قرأ ابن مسعود ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغَ قُرْآنَهُ﴾ فأما ما روي أنه جمعه أبو بكر وعمر وعثمان فإن أبا بكر أقر لما التمسوا منه جمع القرآن فقال: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أمرني به؟ ذكره البخاري في صحيحه وادعى علي أن النبي ﷺ أمره بالتأليف ثم إنهم أمروا زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير بجمعه، فالقرآن يكون جمع هؤلاء جميعهم.

علي عليه السلام أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله ﷺ

أحمد بن حنبل وابن بطة وأبو يعلى في مصنفاتهم عن الأعمش عن أبي بكر بن عياش في خبر طويل أنه قرأ رجلان ثلاثين آية من الأحقاف فاختلفا في قراءتهما، فقال ابن مسعود: هذا الخلاف ما أقرؤه، فذهبت بهما إلى النبي ﷺ فغضب وعليّ عنده، فقال عليّ: رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم، وهذا دليل على علم علي بوجوه القراءات المختلفة.

وروي أن زيدا لما قرأ «التابوه» قال علي عليه السلام اكتبه «التابوت» فكتبه كذلك، والقراء السبعة إلى قراءته يرجعون، فأما حمزة

والكسائي فيعولان على قراءة علي عليه السلام وابن مسعود، وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود، فهما إنما يرجعان إلى علي ويوافقان ابن مسعود فيما يجري مجرى الإعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيت أحداً أقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام للقرآن فأما نافع وابن كثير وأبو عمرو فمعظم قراءتهم ترجع إلى ابن عباس، وابن عباس قرأ على أبي بن كعب وعلي عليه السلام، والذي قرأه هؤلاء القراء يخالف قراءة أبي، فهو إذاً مأخوذ عن علي عليه السلام.

وأما عاصم فقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وقال أبو عبد الرحمن: قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب عليه السلام. فقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم، لأنه أتى بالأصل، وذلك أنه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقق من الهمزة ما لينه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره.

والعدد الكوفي في القرآن منسوب إلى علي عليه السلام ليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره، وإنما كتب عدد ذلك كل مصر عن بعض التابعين.

علي عليه السلام خير الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم

ابن مجاهد في التاريخ، والطبري في الولاية؛ والديلمي في الفردوس، وأحمد في الفضائل، والأعمش عن أبي وائل، وعن عطية عن عائشة، وقيس عن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر ومن رضي فقد شكر».

أبو الزبير وعطية العوفي وجواب قال كل واحد منهم : رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم وهو يروي هذا الخبر ثم يقول : معاصر الأنصار أدبوا أولادكم على حب عليّ، فمن أبي فليُنظر في شأن أمه .

الداري بإسناده عن الأصبع بن نباتة، عن جميع التيمي كليهما عن عائشة أنها لما روت هذا الخبر قيل لها : فلم حاربتك؟ قالت : ما حاربتك من ذات نفسي إلا حملني طلحة والزبير . وفي رواية أمر قدر وقضاء غلب .

أبو وائل، ووكيع، وأبو معاوية، والأعمش، وشرك، ويوسف القطان بأسانيدهم : أنه سأل جابر وحذيفة عن عليّ عليه السلام فقالا : عليّ خير البشر، لا يشك فيه إلا كافر . وروى عطاء عن عائشة مثله ورواه سلام بن أبي الجعد عن جابر بأحد عشر طريقاً .

الطبري في تاريخه أن المأمون أظهر القول بخلق القرآن وتفضيل عليّ بن أبي طالب وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين : وقال البغداديون وأكثر البصريين من المعتزلة : أفضل الخلق بعد رسول الله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو اختيار أبي عبد الله البصري .

أبو بكر الهذلي عن الشعبي : إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله؟ علمني شيئاً ينفعني الله به قال : «عليك بالمعروف، فإنه ينفعك في عاجل دنياك وآخرك» إذ أقبل عليّ فقال :

يا رسول الله فاطمة تدعوك قال: «نعم» فقال الرجل: من هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا من الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]».

ابن عباس وأبو برزة وابن شريحيل والباقر عليه السلام لعلي مبتدئاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض إذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك غراً محجلين».

أبو نعيم الأصفهاني فيما نزل من القرآن في علي عليه السلام بإسناد عن شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق عن الحارث قال علي عليه السلام: (نحن أهل بيت لا نقاس بالناس)، فقام رجل فأتى ابن عباس فأخبره بذلك فقال: صدق علي، أو ليس النبي لا يقاس بالناس، وقد نزل في علي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

أبو بكر الشيرازي في كتاب نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين عليه السلام أنه حدث مالك بن أنس عن حميد، عن أنس بن مالك قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في علي صدق أول الناس برسول الله ﷺ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تمسكوا بأداء الفرائض ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يعني علياً أفضل الخليقة بعد النبي ﷺ إلى آخر السورة.

الأعمش عن عطية، عن الخدري، وروى الخطيب عن جابر: أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «علي خير البرية». وفي رواية

جابر كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.

سأل جابر بن سمرة رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله من يحمل رايك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «من عسى يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا علي بن أبي طالب».

علي عليه السلام هو الأخير بعد النبي ﷺ

عن ابن عمر قال: سألتني عمر بن الخطاب فقال لي: يا بني من أخير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: قلت له: من أحل الله له ما حرّم على الناس وحرّم عليه ما أحل للناس، فقال: والله لقد قلت فصدقت، حرّم على علي بن أبي طالب عليه السلام الصدقة وأحلت للناس، وحرّم عليهم أن يدخلوا المسجد وهم جنب وأحل له، وأغلقت الأبواب وسدت ولم يغلق لعلني باب ولم يسد.

علي عليه السلام واختلاف الحديث

دخل سليم بن قيس الهلالي على أمير المؤمنين عليه السلام وقال: سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله ﷺ غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي ﷺ أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل! أفترى الناس يكذبون على رسول الله ﷺ متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علي فقال قد سألت فافهم الجواب:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكَذِبًا، وَنَاسِخًا وَمُنْسُوخًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمَحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا، وَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خُطْبِيًّا فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كَذَبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّمَا أَنَا كَمِ الْحَدِيثِ مِنْ أَرْبَعَةٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

١ - رَجُلٌ مُنَافِقٌ يَظْهَرُ الْإِيمَانَ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدًا! فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يَصْذَقُوهُ، وَلَكِنْهُمْ قَالُوا هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ! وَأَخَذُوا عَنْهُ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَالَهُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالِدَعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبَهْتَانِ فَوَلَوْهُمْ الْأَعْمَالُ، وَحَمَلَوْهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

٢ - وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَهْمٍ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدِهِ، يَقُولُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُرْوِيهِ فَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهْمٌ لَمْ يَقْبَلُوهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهْمٌ لَرَفَضَهُ.

٣ - ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

٤ - ورجل رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ لم ينسب بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال الله عز وجل في كتابه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله ﷺ وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطارئ فيسأل رسول الله ﷺ حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول الله ﷺ كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله ﷺ أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض

منازله أخلاقي وأقام عني نساءه . فلا يبقى عنده غيري ، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني . وكنت إذا سأله أجبني وإذا سكث عنه وفنيت مسائلي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي وكتبته ، منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً . ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال : لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل .

علي عليه السلام يحلّ العضلات

جمع عمر بن الخطاب الناس يسألهم من أي يوم نكتب ، فقال علي عليه السلام : من يوم هاجر رسول الله ﷺ ونزل أرض الشرك ، فكانه أشار لا تبتدعوا بدعة ، وتأرخوا كما كانوا يكتبون في زمان رسول الله ﷺ ، لأنه لما قدم النبي ﷺ المدينة في شهر ربيع الأول أمر بالتأريخ ، فكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت له سنة ، ذكره التاريخي عن ابن شهاب .

وفي رواية أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لو شاء: ادن مني، قال: فدنوت منه، فقال: امض إلى محلّتكم ستجد علي باب المسجد رجلاً وامرأة يتنازعان فائتني بهما، قال: فمضيت فوجدتهما يختصمان، فقلت: إن أمير المؤمنين يدعوكما، فسرنا حتى دخلنا عليه، فقال: يا فتى ما شأنك وهذه المرأة؟ قال: يا أمير المؤمنين إني تزوجتها وأمهرت وأملكت وزففت، فلما قربت منها رأيت الدم، وقد حرت في أمري، فقال عليه السلام: هي عليك حرام ولست لها بأهل، فماج الناس في ذلك فقال لها: هل تعرفيني؟ قالت: سماع أسمع بذكرك ولم أرك، فقال: فأنت فلانة بنت فلان من آل فلان؟ فقالت: بلى والله، فقال: ألم تتزوجي بفلان ابن فلان متعة سرّاً من أهلك ألم تحملي منه حملاً ثم وضعتيه غلاماً ذكراً سوياً، ثم خشيت قومك وأهلك فأخذتیه وخرجت ليلاً، حتى إذا صرت في موضع خال وضعتيه على الأرض، ثم وقفت مقابلته فحننت عليه، فعدت أخذتیه ثم عدت طرحتیه، حتى بكى وخشيت الفضيحة، فجاءت الكلاب فأنبحت عليك، فخفت فهرولت فانفرد من الكلاب كلب فجاء إلى ولدك فشمه، ثم نهشه لأجل رائحة الزهومة فرميت الكلب إشفاقاً فشججتيه، فصاح فخشيت أن يدركه الصباح فيشعر بك، فولّيت منصرفة وفي قلبك من البلبال فرفعت يديك نحو السماء وقلت: اللهم احفظه يا حافظ الودائع؟ قالت: بلى والله كان هذا جميعه، وقد تحيرت في مقالتك فقال: أين الرجل؟ فجاء فقال: اكشف عن جبينك، فكشف فقال للمرأة: ها الشجة في قرن ولدك، وهذا الولد

ولذلك، والله تعالى منعه من وطئك بما أراه منك من الآية التي صدّته،
والله قد حفظ عليك كما سألتيه فاشكري الله ما أولاك وحباك .

علي عليه السلام والمسجد المنهدم

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أراد قوم على عهد أبي بكر أن
يبنوا مسجداً بساحل عدن ، فكان كلما فرغوا من بنائه سقط ، فعادوا
إليه فسألوه فخطب وسأل الناس وناشدهم : إن كان عند أحد منكم
علم هذا فليقل ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : احتفروا في ميمنته
وميسرته في القبلة ، فإنه يظهر لكم قبران مكتوب عليهما : أنا رضوي
وأختي حبا ، متنا لا نشرك بالله العزيز الجبار ، وهما مجردتان
فاغسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما وادفنوهما ، ثم ابنوا مسجدكم
فإنه يقوم بناؤه ، ففعلوا ذلك فكان كما قال عليه السلام .

علي عليه السلام وضيع الميت

من قضاياه في زمان عمر فإن غلاماً طلب مال أبيه من عمر ،
وذكر أن والده توفي بالكوفة والولد طفل بالمدينة ، فصاح عليه عمر
وطرده ، فخرج يتظلم منه ، فلقيه علي عليه السلام فقال : ائتوني به إلى
الجامع حتى أكشف أمره ، فجيء به فسأله عن حاله ، فأخبره بخبره ،
فقال عليه السلام : لأحكمن فيكم بحكومة حكم الله بها من فوق سبع
سماواته ، لا يحكم بها إلا من ارتضاه لعلمه ، ثم استدعى بعض
أصحابه وقال : هات بمجرفة ، ثم قال : سيروا بنا إلى قبل والد
الصبي ، فساروا فقال : احفروا هذا القبر وانبشوه واستخرجوا لي

ضلعاً من أضلاعه، فدفعه إلى الغلام فقال له: شمه، فلما شمه انبعث الدم من منخريه، فقال ﷺ إنه ولده، فقال عمر: بانبعث الدم تسلم إليه المال؟ فقال: إنه أحق بالمال منك ومن سائر الخلق أجمعين، ثم أمر الحاضرين بشم الضلع فشموه، فلم ينبعث الدم من واحد منهم فأمر أن أعيد إليه ثانية وقال: شمه، فلما شمه انبعث الدم انبعثاً كثيراً فقال ﷺ: إنه أبوه، فسلم إليه المال ثم قال: والله ما كذبت ولا كذبت.

علي ﷺ يذكر مسألة غريبة

عن الصادق ﷺ أن عقبة بن أبي عقبة مات فحضر جنازته علي ﷺ وجماعة من أصحابه وفيهم عمر، فقال علي ﷺ لرجل كان حاضراً: إن عقبة لما توفي حرمت امرأتك، فاحذر أن تقربها، فقال عمر: كل قضايك يا أبا الحسن عجيب وهذه من أعجبها، يموت الإنسان فتحرم على آخر امرأته! فقال: نعم إن هذا عبد كان لعقبة، تزوج امرأة حرة، وهي اليوم ترث بعض ميراث عقبة، فقد صار بعض زوجها رقاً لها، وبضع المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوجها، فقال عمر: لمثل هذا نسألك عما اختلفنا فيه.

لولا علي ﷺ لهلك عمر

أحمد بن عامر بن سليمان الطائي عن الرضا ﷺ في خبر أنه أقر رجل بقتل ابن رجل من الأنصار، فدفعه عمر إليه ليقتله به، فضربه ضربتين بالسيف حتى ظن أنه هلك، فحمل إلى منزله وبه

رمق، فبرىء الجرح بعد ستة أشهر، فلقيه الأب وجره إلى عمر فدفعه إلى عمر، فاستغاث الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لعمر: ما هذا الذي حكمت به على هذا الرجل؟ فقال: «النفس بالنفس» قال: ألم يقتله مرة؟ قال: قد قتله ثم عاش، قال: فيقتل مرتين؟ فبهت، ثم قال: فاقض ما أنت قاض، فخرج عليه السلام فقال للأب: ألم تقتله مرة؟ قال: بلى، فيبطل دم ابني؟ قال: لا ولكن الحكم أن تدفع إليه فيقتص منك مثل ما صنعت به ثم تقتله بدم ابنك، قال: هو والله الموت، ولا بد منه؟ قال: لا بد أن يأخذ بحقه، قال: فإني قد صفحت عن دم ابني ويصفح لي عن القصاص، فكتب بينهما كتاباً بالبراءة، فرفع عمر يده إلى السماء وقال: الحمد لله أنتم أهل بيت الرحمة يا أبا الحسن، ثم قال: لولا علي لهلك عمر.

تهذيب الأحكام عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: قال: جمع عمر بن الخطاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقولون في الرجل يأتي أهله فيخالطها فلا ينزل؟ فقالت الأنصار: الماء من الماء، وقال المهاجرون: إذا التقى الختانان فوجب عليه الغسل، فقال عمر: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: أتوجبون عليه الرجم والحد ولا توجبون عليه صاعاً من ماء؟ إذا التقى الختانان وجب عليه الغسل.

أبو المحاسن الروياني في الأحكام أنه ولد في زمانه مولدان ملتصقان، أحدهما حي والآخر ميت، فقال عمر: يفصل بينهما بحديد، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يدفن الميت ويرضع الحي، ففعل ذلك فتميز الحي من الميت بعد أيام.

علي عليه السلام يرد على أبي بكر

وجاءت الرواية أن بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ فقال له: نعم، فقال: إنا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم، فأخبرني عن الله سبحانه أين هو في السماء أم في الأرض؟ فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه وأراه على هذا القول في مكان دون مكان؟! فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أغرب عني وإلا قتلتك، فولى الحبر متعجباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به، وإنا نقول: إن الله عز وجل أين أين فلا أين له، وجل أن يحويه مكان، وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء منها من تدبيره، وإني مخبرك بما في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟ قال: نعم، قال: أستم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق فقال له موسى: من أين أقبلت؟ قال من عند الله عز وجل، ثم جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال من عند الله عز وجل، ثم جاءه ملك آخر فقال له من أين جئت؟ فقال قد جئت من السماء السابعة من عند الله عز وجل، ثم جاءه ملك آخر فقال له: قد جئت من الأرض السفلى السابعة من عند الله تعالى، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان، فقال اليهودي: أشهد أن هذا هو

الحق، وأنت أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه، وأمثال هذه الأخبار كثيرة.

علي عليه السلام يضع مخطط إسلام إيران

فصل: ومما جاء عنه عليه السلام في معنى القضاء وصواب الرأي وإرشاد القوم إلى مصالحهم وتداركه ما كان يفسد بهم لولا تنبيهه على وجه الرأي فيه ما حدث به شبابة بن سوار عن أبي بكر الهذلي قال: سمعت رجلاً من علمائنا يقولون: تكاثبت الأعاجم من أهل همدان وأهل الري وأصبهان وقومس ونهاوند، وأرسل بعضهم إلى بعض أن ملك العرب الذي جاءهم بدينهم وأخرج كتابهم قد هلك - يعنون النبي ﷺ - وأنه ملكهم من بعده رجل ملكاً يسيراً ثم هلك - يعنون أبا بكر - ثم قام بعده آخر قد طال عمره حتى تناولكم في بلادكم وأغزاكم جنوده - يعنون عمر بن الخطاب - وأنه غير منته عنكم حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتخرجوا إليه فتغزوه في بلاده، فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليه، فلما انتهى الخبر إلى من بالكوفة من المسلمين أنهوا إلى عمر بن الخطاب، فلما انتهى إليه الخبر فزع لذلك فزعاً شديداً، ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر المهاجرين والأنصار إن الشيطان قد جمع لكم جموعاً وأقبل بها ليطفئ بها نور الله، ألا إن أهل همدان وأهل أصبهان وأهل الري وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها قد تعاقدوا وتعاهدوا أن يخرجوا من بلادهم إلى

إخوانكم من المسلمين، ويخرجوا إليكم فيغزوكم في بلادكم، فأشيروا عليّ وأوجزوا ولا تطنبوا في القول، فإن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا، فقام طلحة بن عبد الله وكان من خطباء قريش فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين قد حنكتك الأمور، وجرستك الدهور، وعجمتك البلايا، وأحكمتك التجارب، وأنت مبارك الأمر، ميمون النقيبة، وقد وليت فخبرت، واختبرت وخبرت، فلم تنكشف من عواقب قضاء الله إلا عن خيار، فاحفر هذا الأمر برأيك ولا تغب عنه، ثم جلس، فقال عمر: تكلموا، فقام عثمان بن عفان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فإنني أرى أن تشخص أهل الشام من شامهم وأهل اليمن من يمنهم وتسير أنت في أهل هذين الحرمين وأهل المصريين والكوفة والبصرة، فتلقى جميع المشركين بجميع المؤمنين، فإنك يا أمير المؤمنين لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية، ولا تمتع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز، فأحضره برأيك ولا تغب عنه، ثم جلس. فقال عمر: تكلموا، فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الحمد لله - حتى تمّ التحميد والثناء على الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم - ثم قال: أما بعد فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت أهل الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم وإن أشخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها وأكنافها، حتى تكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب أهم إليك مما بين يديك، فأما ذكرك كثرة العجم ورهبتك من

جموعهم فإننا لم نقاتل على عهد رسول الله ﷺ بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالبصيرة، وأما ما بلغك من اجتماعهم على المسير إلى المسلمين فإن الله لمسيرهم أكره منك لذلك، وهو أولى بتغيير ما يكره، وإن الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب، فإن قطعتموه قطعتم العرب، وكان أشد لكلبهم وكنت قد ألبتهم على نفسك، وأمدّهم من لم يمدّهم، ولكنني أرى أن تقرّ هؤلاء في أمصارهم وتكتب إلى أهل البصرة فليتفرّقوا على ثلاث فرق، فلتقم فرقة على ذراريهم حرساً لهم، ولتقم فرقة على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا، ولتسر فرقة منهم إلى إخوانهم مدداً لهم، فقال: أجل هذا الرأي، وقد كنت أحب أن أتابع عليه، وجعل يكرّر قول أمير المؤمنين عليه السلام وينسقه إعجاباً به واختياراً له.

علي عليه السلام يخبر عن سر المرأة

إبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان، عن إبراهيم بن أيوب، عن عمرو بن شمر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة إذ جاءت امرأة تستدعي على زوجها، ففضى لزوجها عليها فغضبت فقالت: والله ما الحق فيما قضيت وما تقضي بالسوية، ولا تعدل في الرعية ولا قضيتك عن الله بالمرضية، فنظر إليها ملياً ثم قال لها: كذبت يا جريئة يا بذية أيا سلسع (أي التي لا تحبل من حيث تحبل النساء) يا مهيع (أي التي تصاحب النساء دون الرجال) قال: فولت المرأة هاربة تولول وتقول: ويللي ويللي لقد هتكت يا بن أبي طالب سترأ كان مستوراً، قال:

فلحقها عمرو بن حريث فقال لها: يا أمة الله لقد استقبلت علياً بكلام سررتني ثم إنه نزع بكلمة فوليت عنه هاربة تولولين، قالت: إن علياً عليه السلام والله أخبرني بالحق وبما أكتمه من زوجي منذ ولي عصمتي ومن أبوي، فرجع عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره ما قالت له المرأة، وقال له فيما يقول: ما نعرفك بالكهانة قال له يا عمرو: ويحك إنها ليست بالكهانة ولكن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، فلما ركب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم مؤمن أم كافر، وما هم به مبتلون، وما هم عليه من شر أعمالهم وحسنهم في قدر أذن الفأرة، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيته فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُسْتَعِينٍ﴾ وكان رسول الله هو المتوسم ثم أنا من بعده والأئمة من ذريتي من بعدي هم المتوسمون، فلما تأملتها عرفت ما هي عليها بسماها.

صورة أخرى

أخرج الحافظ عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر بإسنادهم عن الدؤلي قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لسته أشهر فأراد عمر أن يرحمها فجاءت أختها إلى علي بن أبي طالب فقالت: إن عمر يرحم أختي فأنشدك الله إن كنت تعلم أن لها عذراً لما أخبرتني به فقال علي: إن لها عذراً فكبرت تكبيرة سمعها عمر ومن عنده فانطلقت إلى عمر فقالت: إِنَّ عَلِيّاً زَعَمَ أَنَّ لَأَخْتِي عَذْراً فَأَرْسَلَ عَمْرَ عَلَى عَلِيٍّ مَا عَذَرَهَا؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَالْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ لِأَوْلَادِهِنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ. فقال: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً. فتركها عمر، قال: ثم بلغنا أنها ولدت آخر لسته أشهر.

صورة مفصلة

إن عمر بن الخطاب أتى بامرأة زنت فأقرت فأمر برجمها فقال علي عليه السلام : لعل بها عذراً ثم قال لها : ما حملك على الزنى؟ قالت : كان لي خليط وفي إبله ماء ولبن ولم يكن في إبلي ماء ولا لبن فظممت فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أعطيه نفسي فأبيت عليه ثلاثاً فلما ظممت وظننت أن نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني . فقال علي : الله أكبر ، فمن اضطر غير باغ ، ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم .

كلام له ﷺ في أصناف الناس وفضيلة العلم وجملة وصايا

قال كميل بن زياد النخعي: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فأخرجني إلى الجبان فلما أصبح تنفس الصعداء ثم قال: يا كميل: إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها؛ فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعا، أتباع كل ناعق؛ يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم فيهدوا، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق فينجوا. يا كميل بن زياد؛ العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال؛ والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق، والمال يزول بزواله. يا كميل بن زياد: العلم دين يداك الله به؛ به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدث بعد وفاته؛ والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل بن زياد؛ هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار.

تبيان مدي علمه لو عرف الناس

هاه هاه إن ههنا (وأشار إلى صدره) لعلما جمًا، لو أصبت له حملة. بلى لقد أصبت له لقنا غير مأمون عليه؛ ممستعملًا آلة الدين للدنيا، ومستظهرًا بنعم الله عز وجل على عباده، وبحججه على أوليائه. أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه، ينقذح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة.

ألا، لا ذا ولا ذاك، أو منهوماً باللذة، سلس القيادة للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادخار. ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبها بهما الأنعام السائمة. كذلك يموت العلم بموت حامله. اللهم بلى؛ لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً، لئلا، تبطل حجج الله وبياناته. وكم ذا، وأين أولئك؟! أولئك والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله جل ذكره قدرًا؛ يحفظ الله حججه وبياناته بهم، حتى يودعوها نظراءهم،

ويزرعوها في قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ،
وباشروا روح اليقين واستلنوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما
استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل
الأعلى قد دانوا بالتقية عن دينهم ، والخوف من عدوهم ؛ خرس
صمت في دولة الباطل ينتظرون دولة الحق . يا كميل : أولئك أمناء الله
في خلقه وخلفاؤه في أرضه وسرجه في بلاده والدعاة إلى دينه .

إبرازه ﷺ الشوق إلى لقاء المتقين الآتين

ماه ماه طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم ،
وآه آه شوقاً إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم . وسيجمعنا الله وإياهم
في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وذرياتهم .

يا كميل : سم كل يوم باسم الله وقل لا حول ولا قوة إلا بالله ؛
وتوكل على الله واذكرنا وسم بأسمائنا ، وصل علينا واستعذ بالله بنا ،
وادراً بذلك على نفسك وما تحوطه عنايتك ، تكف شر ذلك اليوم إن
شاء الله .

يا كميل : إن رسول الله ﷺ أدبه الله عز وجل وهو ﷺ
أدبني وأنا أودب المؤمنين ، وأورث الآداب المكرمين .

يا كميل : ما من علم إلا وأنا أفتحه وما من سر إلا
والقائم ﷺ يختمه .

يا كميل : ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّمَّنْ لَمَّ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ فَأَبْغَضَ إِلَيْهِمْ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

يا كميل : لا تأخذ إلا عنا تكن منا .

يا كميل : ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة .

يا كميل : إذا أكلت الطعام فسم باسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء ، وفيه شفاء من كل الأدواء .

يا كميل : إذا أكلت الطعام فواكل الطعام ولا تبخل عليه ، فإنك لن ترزق الناس شيئاً والله يجزل لك الثواب بذلك .

يا كميل : إذا أنت أكلت فطول أكلك ليستوفي من معك ، ويرزق منه غيرك .

يا كميل : إذا استوفيت طعامك فاحمد الله على ما رزقك ، وارفع بذلك صوتك يحمدك سواك فيعظم بذلك أجرك .

يا كميل : لا توقرن معدتك طعاما ، ودع فيها للماء موضعاً وللريح مجالاً .

يا كميل : لا تنفذ طعامك فإن رسول الله ﷺ لا ينفذه .

يا كميل : لا ترفعن يدك عن الطعام إلا وأنت تشتهيها فإذا فعلت فأنت تستمره .

يا كميل : صحة الجسم من قلة الطعام وقلة الماء .

وصيته ﷺ لكميل بحسن الخلق ووصايا

يا كميل : أحسن خلقك ، وأبسط جليسك ، ولا تنهرن خادمك .

يا كميل : البركة في المال من إيتاء الزكاة ، ومواساة المؤمنين ، وصلة الأقربين ، وهم الأقربون لنا .

يا كميل : زد قرابتك المؤمن على ما تعطي سواء من المؤمنين ،
وكن بهم أراف وعليهم أعطف وتصدق على المساكين .

يا كميل : لا تردن سائلاً ولو من شطر حبة عنب أو شق تمره ،
فإن الصدقة تنمو عند الله .

يا كميل : أحسن حلية المؤمن التواضع ، وجماله التعفف ،
وشرفه التفقه وعزه ترك القال والقيـل .

يا كميل : إياك والمرء ، فإنك تغري السفهاء وإذا فعلت تفسد
الإخاء .

يا كميل : إذا جادلت في الله تعالى فلا تخاطب إلا من يشبه
العقلاء وهذا ضرورة .

يا كميل : هم على كل حال سفهاء كما قال الله تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

يا كميل : في كل صنف قوم أرفع من قوم فإياك ومناظرة
الخبـيس منهم وإن أسمعوك فاحتمل وكن من الذين وصفهم الله فقال
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ .

يا كميل : قل الحق على كل حال ، ووازر المتقين ، واهجر
الفاسقين وجانب المنافقين ، ولا تصاحب الخائنين .

يا كميل : إياك والتطرق إلى أبواب الظالمين والاختلاط بهم ،
والاكتساب معهم ، وإياك أن تطيعهم وتعظمهم أو أن تشهد في
مجالسهم بما سخط الله عليك ، وإن اضطررت إلى حضورهم فداوم

ذكر الله تعالى والتوكل عليه واستعذ بالله من شرورهم وأطرق عنهم، وانكر بقلبك فعلهم واجهر بتعظيم الله تعالى لتسمعهم، فإنهم بهم بها يهابونك وتكفى شرهم.

يا كميل: إن أحب ما امتثله العباد إلى الله بعد الإقرار به وبأوليائه ﷺ التجميل والتعفف والاصطبار. فلا تزين الناس افتقارك، واصبر عليه احتساباً بعز وتستر.

يا كميل: لا بأس بأن لا تعلم شرك.

يا كميل: لا بأس بأن تعلم أخاك شرك. ومن أخوك؟ أخوك الذي لا يخذلك عند الشديدة ولا يقعد عنك عند الجريرة ولا يخذلك حين تسأله، ولا يذرك وأمرك حتى تعلمه، فإن كان مميلًا أصلحه.

بيانه ﷺ معنى الأخوة الإسلامية

يا كميل: المؤمن مرآة المؤمن، لأنه يتأمله فيفسد فاقته، ويجمل حالته.

يا كميل: المؤمنون إخوة، ولا شيء أثر عند كل أخ من أخيه.

يا كميل: إن لم تحب أخاك فليست أخاه. إن المؤمن من قال بقولنا، فمن تخلف عنه قصر عنا ومن قصر عنا لم يلحق بنا، ومن لم يكن معنا فهو في الدرك الأسفل من النار.

يا كميل: كل مصدور ينفث فمن نفث إليك منا بأمر أمرك

بستره فاستره، وإياك أن تبديه وليس لك من إبدائه توبة، وإذا لم يكن توبة فالمصير إلى لظى.

يا كميل: إذاعة سر آل محمد ﷺ لا يقبل الله تعالى منها ولا يحتمل أحد عليها وما قالوه لك فلا تعلمه إلا مؤمناً موافقاً.

يا كميل: لا تعلموا الكافرين من أخبارنا فيزيدوا عليها فيبدوكم بها إلى يوم يعاقبون عليها.

يا كميل: لا بد لماضيكم من أوبة ولا بد لنا فيكم من غلبة.

يا كميل: سيجمع الله تعالى لكم خير البدء والعاقبة.

يا كميل: أنتم ممتعون بأعدائكم، تطربون بطربهم وتشربون بشربهم وتأكلون بأكلهم وتدخلون مداخلهم، وربما غلبتم على نعمتهم، إي والله، على إكراه منهم لذلك، ولكن الله عز وجل ناصركم وخاذلكم. فإذا كان - والله - يومهم، وظهر صاحبكم، لم يأكلوا والله معكم ولم يردوا مواردكم ولم يقرعوا أبوابكم ولم ينالوا نعمتكم؛ أذلة خائبين ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا﴾.

يا كميل: إحمد الله تعالى والمؤمنين على ذلك، وعلى كل نعمة.

يا كميل: قل عند كل شدة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تكفها وقل عند كل نعمة الحمد لله تزدد منها، وإذا أبطأت الأرزاق عليك فاستغفر الله يوسع عليك فيها.

يا كميل: إذا وسوس الشيطان في صدرك فقل: أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وأعوذ بمحمد الرضي من شر ما قدر وقضي، وأعوذ بإله الناس من شر الجنة والناس تكف مؤونة إبليس والشياطين معه، ولو كلهم أبالسة مثله.

تبيانہ ﷺ خدع الشيطان لحرف المؤمنين

يا كميل: إن لهم خدعاً وشقاشق وزخارف ووساوس وخيلاء على كل أحد قدر منزلته في الطاعة والمعصية فبحسب ذلك يستولون عليه بالغبلة.

يا كميل: لا عدو أعدى منهم، ولا ضار أضر بك منهم أمنيتهم أن تكون معهم غداً إذا اجتثوا في العذاب؛ لا يفتر عنهم بشره، ولا يقص عنهم ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يا كميل: سخط الله تعالى محيط بمن لم يحترز منهم باسمه وبنبيه وجميع عزائمه.

يا كميل: إنهم يخدعونك بأنفسهم، فإذا لم تجبهم مكروا بك وبنفسك بتحبيبهم إليك شهواتك، وإعطائك أمانيك وإرادتك، ويسولون لك، وينسونك، وينهونك ويأمرونك، ويحسنون ظنك بالله عز وجل حتى ترجوه فتغتر بذلك فتعصيه وجزاء العاصي لظى.

يا كميل: احفظ قول الله عز وجل ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَأَ لَهُمْ﴾ والمسول الشيطان والمملي الله.

يا كميل: أذكر قول الله تعالى لإبليس: ﴿وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ يَحْيَاكَ

وَرَجَلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠﴾ إن إبليس لا يعد عن نفسه، وإنما يعدهم عن ربه، فيحملهم على معصية فيورطهم.

يا كميل: إنه يأتيك بلطف كيده، فيأمرك بما يعلم أنك قد ألفته من طاعة لا تدعها فتحسب أن ذلك ملك كريم، وإنما هو شيطان رجيم؛ فإذا سكنت إليه واطمأنت حملك على العظائم المهلكة التي لا نجاة معها.

يا كميل: إن له فخاخاً ينصبها فاحذر أن يوقعك فيها.

يا كميل: إن الأرض مملوءة من فخاخهم، فلن ينجو منها إلا من تشبث بنا وقد أعلمك الله أنه لن ينجو منها إلا عباده، وعباده أولياؤنا، وهو قول الله عز وجل ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

يا كميل: أنج بولايتنا من أن يشركك الشيطان في مالك وولدك.

يا كميل: لا تغتر بأقوام يصلون فيطيلون ويصومون فيداومون، ويتصدقون فيحسبون أنهم موفقون فكم من صائم ليس في صيامه إلا الجوع والظمأ، وكم من قائم ليس من قيامه إلا السهر والعناء. حبذا صوم الأكياس وإفطارهم.

توضيحه نماذج من حيل إبليس

يا كميل: أقسم بالله؛ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الشيطان إذا حمل قوماً على الفواحش مثل الزنى وشرب الخمر وما أشبه ذلك من الخنا والمآثم، حجب إليهم العبادة الشديدة، والخشوع، والركوع، والخضوع، والسجود ثم حملهم على ولاية الأئمة الذين يدعون إلى النار ﴿وَيَوْمَ أَلْقَيْتَهُمْ لَا يُصْرونَ﴾.

يا كميل: إنه مستقر ومستودع، فاحذر أن تكون من المستودعين؛ وإنما يستحق أن يكون مستقراً إذا لزمته الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج ولا تزيلك عن منهج.

يا كميل: لا رخصة في فرض ولا شدة في نافلة.

يا كميل: إن الله لا يسألك إلا على الفرض؛ فإنما قدمنا عمل النوافل بين أيدينا للأهوال العظام والطامة يوم القيامة.

يا كميل: إن الواجب لله أعظم من أن تزيله الفرائض والنوافل وجميع الأعمال وصالح الأموال.

يا كميل: إن ذنوبك أكثر من حسناتك، وغفلتك أكثر من ذكرك، ونعم الله عليك أكثر من كل عملك.

يا كميل: إنك لا تخلو من نعمة الله عز وجل عندك وعافيته إياك، فلا تخل من حميده، وتمجيده، وتسبيحه، وتقديسه، وشكره وذكره على كل حال.

يا كميل: لا تكونن من الذين قال عنهم الله عز وجل ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ ونسبهم إلى الفسق فقال ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

يا كميل: ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق، الشأن أن تكون الصلاة بقلب نقي، وعمل عند الله مرضي، وخضوع سوي، وإبقاء للجد فيها.

تحديده ﷺ شرائط قبول الصلاة

يا كميل: عند الركوع والسجود وما بينهما تبطل العروق والمفاصل حتى تستوفي ولاء إلى ما تأتي به من جميع صلواتك.

يا كميل: أنظر فيما تصلي؟ وعلام تصلي؟ إن لم تكن من وجهه وحله فلا قبول.

يا كميل: إن اللسان ينزح من القلب، والقلب يقوم بالغذاء، فانظر فيما تغذي قلبك وجسمك فإن لم يكن حلالا لم يقبل الله تعالى تسبيحك ولا شكرك.

يا كميل: إفهم واعلم أنا لا نرخص في ترك أداء الأمانات لأحد من الخلق، فمن روى عني في ذلك رخصة فقد أبطل وأثم، وجزاؤه النار بما كذب أقسم لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثة: يا أبا الحسن؛ أد الأمانة إلى البر والفاجر فيما جل وقل حتى الخيط والمخيط.

يا كميل: لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نفل، إلا من إمام فاضل.

يا كميل: أرايت لو لم يظهر نبي وكان في الأرض مؤمن تقي
لكان في دعائه إلى الله مخطئاً أو مصيباً؟ بلى والله مخطئاً حتى ينصبه
الله عز وجل لذلك ويؤهله له.

يا كميل: الدين لله، فلا تغترن بأقوال الأمة المخدوعة التي قد
ضلت بعدما اهتمت، وجحدت بعدما قبلت.

يا كميل: الدين لله، فلا يقبل الله تعالى من أحد القيام به إلا
رسولاً أو نبياً أو وصياً.

يا كميل: هي نبوة ورسالة وإمامة، وليس بعد ذلك إلا موالين
متبعين أو عامهين مبتعدين.

يا كميل: إن النصراري لم تعطل أحكام الله تعالى ولا اليهود،
ولا جحدت موسى ولا عيسى، ولكنهم زادوا ونقصوا، وحرفوا،
والحدوا، ومقتوا ولم يتوبوا.

يا كميل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

يا كميل: إن أبانا آدم لم يلد يهودياً، ولا نصرانياً، ولا كان ابنه
إلا حنيفاً مسلماً، فلم يقم بالواجب عليه، فأداه إلى أن لم يقبل الله
قربانه، بل قبل من أخيه فحسده فقتله، وهو من المسجونين في الفلق
الذين عدتهم إثنا عشر؛ ستة من الأولين، وستى من الآخرين؛ والفلق
أسفل من النار ومن بخاره حر جهنم، وحسبك فيما حر جهنم من
بخاره.

توضيحه ﷺ مكانة أهل البيت عند الله

يا كميل : نحن والله ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ .

يا كميل : إن الله عز وجل كريم ، حلیم ، عظیم ، رحيم ، دلنا على أخلاقه وأمرنا بالأخذ بها وحمل الناس عليها ، فقد أدينها غير مختلفين ، وأرسلناها غير منافقين ، وصدقناها غير مكذبين وقبلناها غير مرتابين ؛ ولم يكن لنا شياطين نوحى إليها وتوحى إلينا ، كما وصف الله تعالى قوما ذكرهم بأسمائهم في كتابه لو قرىء كما أنزل . ﴿شَیْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ .

الويل لهم ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ .

يا كميل : لست والله متملقاً حتى أطاع ، ولا ممناً حتى أعصى ولا مائلاً لطغام الأعراب حتى انتحل إمرة المؤمنين وادعى بها يا كميل ؛ نحن الثقل الأصغر ، والقرآن الثقل الأكبر . وقد أسمعهم رسول الله ﷺ وقد جمعهم ، فنادى : الصلاة جامعة أياماً سبعة ، فلم يتخلف أحد ؛ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : معاشر الناس ؛ إني مؤد عن ربي عز وجل ولا مخبر عن نفسي ، فمن صدقني فله صدق ومن صدق الله أثابه الجنان ومن كذبنى فقد كذب الله ، ومن كذب الله أعقبه النيران ثم ناداني . فصعدت . فأقامني دونه ورأسي إلى صدره ، والحسن والحسين عن يمينه وشماله ثم قال : معاشر المسلمين ؛ أمرني جبرائيل عن الله عز وجل ربي وربكم أعلمكم أن القرآن هو الثقل الأكبر وأن وصيي هذا وابنائي ومن خلفهم من أصلابهم ، الثقل الأصغر ؛ يشهد الثقل الأصغر للثقل الأكبر ؛ كل

واحد منهما ملازم لصاحبه غير مفارق له حتى يردا على الله فيحكم بينهما وبين العباد.

يا كميل: فإذا كنا كذلك فعلام يتقدمنا من تقدم، ويتأخر عنا من تأخر؟!

يا كميل: قد أبلغهم رسول الله ﷺ رسالته، ونصح لهم، ولكن لا يحبون الناصحين.

بيانه ﷺ حسد الناس لهم في مقامهم

يا كميل: قال رسول الله ﷺ قولاً أعلنه، والمهاجرون والأنصار متوافرون يوماً بعد العصر، يوم النصف من شهر رمضان، قائم على قدميه من فوق منبره: علي مني وابنائي منه والطيبون مني ومنهم، وهو الطيبون بعد أهمهم وهم سفينة نوح؛ من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى، الناجي في الجنة والهاوي في لظى.

يا كميل: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

يا كميل: علام يحسدوننا، والله أنشأنا قبل أن يعرفونا. أتراهم إيانا عن ربنا يزيلوننا؟!

يا كميل: إنما حظي بدنيا زائلة مدبرة، ونحظى بآخرة باقية ثابتة.

يا كميل: كل يصير إلى الآخرة، والذي نرغب فيه منها رضى الله عز وجل والدرجات العلى من الجنة التي يورثها من كان تقياً.

يا كميل: من لا يسكن الجنة فبشره بعذاب أليم، وخزي مقيم، ومقاطع وأكبال، وسلاسل طوال، ومقطعات النيران، ومقارنة الشيطان؛ الشراب صديد، واللباس حديد، والخزنة فظظة، والنار ملتهبة، والأبواب موثقة مطبقة، ينادون فلا يجابون، ويستغيثون فلا يرحمون، نداؤهم ﴿يَمْنُكَ يَنْقُصُ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ (٧٧) لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ.

يا كميل: نحن والله الحق الذي قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.

يا كميل: ثم ينادون الله تقდست أسماؤه بعد أن يمكثوا أحقاباً: إجعلنا على الرضا فيجيبهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُوا﴾ فعندما يتسوا من الكرة، واشتدت الحسرة وأيقنوا بالمكث والهلكة، جزاء بما كسبوا عذبوا.

يا كميل: مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويسارعوا إلى تحمل المغانم ويدلجوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله سبحانه وتعالى له من ذلك السرور لطفاً؛ فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل.

يا كميل: أنا أحمد الله على توفيقه إياي والمؤمنين، وعلى كل حال واستغفر الله لي ولك.

قم - انصرف - يا كميل - إذا شئت.

علي عليه السلام يعلمنا القضاء

وعن ابن أبي لیلی يقول: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما سبقه إليها أحد وذلك أن رجلين اصطحبا في سفر فجلسا يتغديان، فأخرج أحدهما خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة، فمر بهما رجل فسلم، فقالا له: الغداء، فجلس يأكل معهما، فلما فرغ من أكله رمى ثمانية دراهم وقال لهما: هذا عوض ما أكلت من طعامكما، فاختصما وقال صاحب الثلاثة:

هذا نصفان بيننا، فقال صاحب الخمسة: بل لي خمسة ولك ثلاثة، فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقصا عليه القصة، فقال لهما: هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن فقال صاحب الثلاثة أرغفة: لست أرضى إلا بمر القضاء، قال أمير المؤمنين عليه السلام إذا كنت لا ترضى إلا بمر القضاء فإن لك واحداً من ثمانية ولصاحبك سبعة، فقال سبحانه الله كيف صار هذا هكذا؟ فقال له: أخبرك أليس كان لك ثلاثة أرغفة؟ قال: بلى، ولصاحبك خمسة؟

قال: بلى، قال هذه أربعة وعشرون ثلثاً، أكلت أنت ثمانية وصاحبك ثمانية والضيف ثمانية فلما أعطاكم الثمانية كان لصاحبك

سبعة ولك واحد، فانصرف الرجلان على بصيرة من أمرهما في القضية .

الأصبغ : أوصى رجل ودفع إلى الوصي عشرة آلاف درهم، قال : إذا أدرك ابني فأعطه ما أحببت منها، فلما أدرك استعدى عليه أمير المؤمنين عليه السلام قال له : كم تحب أن تعطيه؟ قال : ألف درهم، قال : أعطه تسعة آلاف درهم فهي التي أحببت وخذ الألف .

القضاء والقدر

عام ستة وثلاثين خرج أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة قاصداً صفين لمحاربة معاوية وجيشه الناكثين، وقد دامت هذه المعركة ثمانية عشر شهراً، وعندما خمدت نيران الحرب عاد إلى الكوفة.

كان أمير المؤمنين جالساً بالكوفة إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ ما علوتم قلعة ولا هبطتم بطن وادٍ إلا بقضاء من الله وقدر.

فقال له الشيخ: عند الله احتسب عنائي، يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام له: مه يا شيخ، فوالله لقد عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم تقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطربين.

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطربين.

وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟

فقال عليه السلام : وتظنّ أنّه كان قضاء حتماً وقدرأ لازماً؟ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصما الرحمن وحزب الشيطان وقدريّة هذه الأمة ومجوسها.

لما سمع الشيخ كلام أمير المؤمنين عليه السلام واستأنس إليه فأنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالإحسان إحسانا

قصة طريفة وقضاء طريف

عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فادّعى عليه سبعين درهماً ثمن ناقة فقال له النبي ﷺ: يا أعرابي ألم تستوف مني ذلك؟ فقال: لا، فقال النبي ﷺ: إني قد أوفيتك، قال الأعرابي: قد رضيت برجل يحكم بيني وبينك فقام النبي ﷺ معه فتحاكما إلى رجل من قريش، فقال الرجل للأعرابي: ما تدّعي على رسول الله ﷺ قال: سبعين درهماً ثمن ناقة بعثتها منه، فقال: ما تقول يا رسول الله؟ فقال: قد أوفيته فقال القرشي: قد أقررت له يا رسول الله بحقه، فإما أن تقيم شاهدين يشهدان بأنك قد أوفيته وإما أن توفيّه السبعين التي يدّعيها عليك، فقام النبي ﷺ مغضباً يجزّ رداءه وقال: والله لأقصدن من يحكم بيننا بحكم الله تعالى ذكره، فتحاكم معه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال للأعرابي: ما تدّعي على رسول الله ﷺ؟ قال سبعين درهماً ثمن ناقة بعثتها منه، قال: ما تقول يا رسول الله قال: قد أوفيته، قال: يا أعرابي إن رسول الله ﷺ يقول: قد أوفيتك فهل صدق؟ فقال: لا ما أوفاني، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام سيفه من غمده وضرب عنق

الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: يا علي لم قتلت الأعرابي؟ قال: لأنه كذَّبك يا رسول الله ومن كذَّبك فقد حل دمه ووجب قتله، فقال النبي ﷺ: يا علي والذي بعثني بالحق ما أخطأت حكم الله تبارك وتعالى فيه ولا تعد إلى مثلها.

عن الحسن بن طريف قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد ﷺ يقول: لا تجد علياً يقضي بقضاء إلا وجدت له أصلاً في السنة، قال: وكان علي ﷺ يقول: لو اختصم إلي رجلان فقضيت بينهما ثم مكثا أحوالاً كثيرة ثم أتياني في ذلك الأمر لقضيت بينهما قضاء واحداً، لأن القضاء لا يحول ولا يزول.

لم تكن خائفة:

روي أن تسعة إخوة أو عشرة في حيٍّ من أحياء العرب كانت لهم أخت واحدة، فقالوا لها: كل ما يرزقنا الله نطرحه بين يديك فلا ترغب في التزويج فحميتنا لا تحمل ذلك، فوافقتهم في ذلك ورضيت به وقعدت في خدمتهم، وهم يكرمونها فحاضت يوماً، فلما طهرت أرادت الاغتسال وخرجت إلى عين ماء كان بقرب حيِّهم فخرجت من الماء علقه فدخلت في جوفها وقد جلست في الماء، فمضت عليها الأيام والعلقة تكبر حتى علت بطنها، وظن الأخوة أنها حبلى وقد خانت، فأرادوا قتلها فقال بعضهم: نرفع أمرها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فإنه يتولى ذلك فأخرجوها إلى حضرته وقالوا فيها ما ظنوا بها، فاستحضر ﷺ طشتاً مملوءاً بالحماة وأمرها

أن تقعد عليه ، فلما أحسّت العلقة برائحة الحماة نزلت من جوفها ، فقالوا: يا علي أنت ربنا العلي فإنك تعلم الغيب! فزبرهم وقال: إن رسول الله ﷺ أخبرنا بذلك عن الله بأن هذه الحادثة تقع في هذا اليوم في هذا الشهر في هذه الساعة .

مراجعة عمر إلى علي في خمسة أخذوا في الزنى

مناقب ابن شهر آشوب ج ١/ ٤٩٣ أخرج بسنده عن الأصبغ بن نباتة أن عمر حكم على خمسة نفر في الزنى بالرجم ، فخطأه أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك وقدم واحداً فضرب عنقه ، وقدم الثاني فرجمه ، وقدم الثالث فضربه الحد ، وقدم الرابع فضربه نصف الحد خمسين جلدة ، وقدم الخامس فعزره ، فقال عمر كيف ذلك؟ فقال عليه السلام : (أما الأول) فكان ذمياً زنى بمسلمة فخرج عن ذمته (وأما الثاني) فرجل محصن زنى فرجمناه (وأما الثالث) فغير محصن فضربناه الحد (وأما الرابع) فعبد زنى فضربناه نصف الحد (وأما الخامس) فمغلوب على عقله مجنون فعزرناه ، فقال عمر (لا عشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن).

قيصر يكتب إلى عمر

من كتاب إرشاد القلوب للديلمى بحذف الإسناد قال: لما جلس عمر في الخلافة جرى بين رجل من أصحابه يقال له الحارث بن سنان الأزدي وبين رجل من الأنصار كلام ومنازعة ، فلم ينتصف له عمر فلحق الحارث بن سنان بقيصر وارتد عن الإسلام

ونسي القرآن كله إلا قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فسمع قيصر هذا الكلام قال: سأكتب إلى ملك العرب بمسائل، فإن أخبرني بتفسيرها أطلقت من عندي من الأسارى، وإن لم يخبرني بتفسير مسائلي عمدت إلى الأسارى فعرضت عليهم النصرانية فمن قبل منهم استعبدته، ومن لم يقبل قتلته، وكتب إلى عمر بن الخطاب بمسائل: أحدها سؤاله تفسير الفاتحة، وعن الماء الذي ليس من الأرض ولا من السماء، وعما يتنفس ولا روح فيه، وعن عصا موسى عليه السلام مِمَّ كانت؟ وما اسمها؟ وما طولها؟ وعن جارية بكر لأخوين في الدنيا وفي الآخرة لواحد. فلما وردت هذه المسائل على عمر لم يعرف تفسيرها ففرع في ذلك إلى علي عليه السلام.

فكتب إلى قيصر: من علي بن أبي طالب صهر محمد ﷺ، ووارث علمه، وأقرب الخلق إليه، ووزيره، ومن حقت له الولاية، وأمر الخلق من أعدائه بالبراءة، قرأ عين رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأبو ولده، إلى قيصر ملك الروم:

أما بعد فلإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، عالم الخفيات، ومنزل البركات، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، ورد كتابك وأقرانيه عمر بن الخطاب، فأما سؤالك عن اسم الله تعالى فإنه اسم فيه شفاء من كل داء، وعون على دواء، وأما الرحمن فهو عون لكل من آمن به، وهو اسم لم يسم به غير الرحمن تبارك وتعالى وأما الرحيم فرحم من عصي وتاب وآمن وعمل صالحاً.

وأما قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك ثناء منا على ربنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا، وأما قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة، وكل من كان في الدنيا شاكاً أو جباراً أدخله النار، ولا يمتنع من عذاب الله شاك ولا جبار، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً محافظاً إياه أدخله الجنة برحمته.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإننا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً. وأما قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإننا نستعين بالله عز وجل على الشيطان الرجيم لا يضلنا كما أضلكم.

وأما قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فذلك الطريق الواضح، من عمل في الدنيا عملاً صالحاً فإنه يسلك على الصراط إلى الجنة.

وأما قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فتلك النعمة التي أنعمها الله عز وجل على من كان قبلنا من النبيين والصديقين، فنسأل الله ربنا أن ينعم علينا كما أنعم عليهم.

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فأولئك اليهود بدلوا نعمة الله كفرًا فغضب عليهم فجعل منهم القردة والخنازير، فنسأل الله تعالى أن لا يغضب علينا كما غضب عليهم.

وأما قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فانت وأمثالك يا عابد الصليب الخبيث ضللتهم من بعد عيسى ابن مريم عليه السلام فنسأل الله ربنا أن لا يضلنا كما ضللتهم.

وأما سؤالك عن الماء الذي ليس من الأرض ولا في السماء،
فذلك الذي بعثته بلقيس إلى سليمان بن داود عليه السلام وهو عرق الخيل
إذا جرت في الحروب.

وأما سؤالك عما يتنفس ولا روح له فذلك الصبح إذا تنفس.

وأما سؤالك عن عصا موسى عليه السلام مما كانت؟ وما طولها؟ وما
اسمها؟ وما هي؟ فإنها كانت يقال لها: البرنية الرائدة، وكانت إذا كان
فيها الروح زادت، وإذا خرجت منها الروح نقصت، وكانت من
عوسج، وكانت عشرة أذرع، وكانت من الجنة أنزلها جبرائيل عليه السلام.

وأما سؤالك عن جارية تكون في الدنيا لأخوين وفي الآخرة
لواحد، فتلك النخلة في الدنيا هي لمؤمن مثلي ولكافر مثلك، ونحن
من ولد آدم عليه السلام، وفي الآخرة للمسلم دون الكافر المشرك، وهي
في الجنة ليست في النار، وذلك قوله عز وجل: ﴿فِيهَا فَكَّهَةٌ وَتَخْلُ
وَرَمَانٌ﴾ ثم طوى الكتاب وأنفذه، فلما قرأه قيصر عمد إلى الأسارى
فأطلقهم وأسلم ودعا أهل مملكته إلى الإسلام والإيمان
بمحمد عليه السلام، فاجتمعت عليه النصارى وهموا بقتله فجاء بهم فقال:
يا قوم إنني أردت أن أجربكم، وإنما أظهرت منه ما أظهرت للنظر
كيف تكون، فقد حمدت الآن أمركم عند الاختبار فاسكنوا واطمئنوا،
فقالوا: كذلك الظن بك، وكنتم قيصر إسلامه حتى مات وهو يقول
لخواص أصحابه ومن يثق به: إن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
ألقاها إلى مريم وروح منه، ومحمد عليه السلام نبي بعد عيسى، وأن عيسى
بشر أصحابه بمحمد عليه السلام ويقول: من أدركه منكم فليقرئه مني

السلام، فإنه أخي وعبد الله ورسوله، ومات قيصر على القول مسلماً، فلما مات وتولى بعده هرقل أخبروه بذلك قال: اكتموا هذا وأنكروه ولا تقروا فإنه إن ظهر طمع ملك العرب، وفي ذلك فسادنا وهلاكنا، فمن كان من خواص قيصر وخدمه وأهله على هذا الرأي كتموه، وهرقل أظهر النصرانية وقوي أمره، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله.

علي عليه السلام أعلم الناس بالنجوم

سعيد بن جبير أنه استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان - وفي رواية قيس بن سعد أنه مرخان بن شاسوا - استقبله من المدائن إلى جسور بوزان، فقال له: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست الصعود بالنحوس، فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن فيه كوكبان، وانكفاً فيه الميزان، وانقذ من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الدهقان المنبئ بالآثار المخوف من الأقدار ما كان البارحة صاحب الميزان؟ وفي أي برج كان صاحب السرطان؟ وكم الطالع من الأسد والساعات في الحركات؟ وكم بين السراي والزراي؟ قال سأنظر في الأسطرلاب فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: وملك يا دهقان أنت مسير الثابتات؟ أم كيف تقضي على الجاريات؟ وأين ساعات الأسد من المطالع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ وما دور السراي المحركات؟ وكم قدر شعاع المنيرات؟ وكم التحصيل بالغدوات؟ فقال: لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين، فقال له عليه السلام: يا دهقان هل نتج علمك أن انتقل بيت ملك الصين، واحترقت دور بالزنج،

وخمد بيت نار فارس، وانهدمت منارة الهند، وغرقت سرانديب، وانقض حصن الأندلس، ونتج بترك الروم بالرومية، وفي رواية: البارحة وقع بيت الصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور سرانديب، وانهزم بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديان اليهود نائله وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك أفريقيا، أكنت عالماً بهذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، وفي رواية أظنك حكمت باختلاف المشتري وزحل، إنما أثار لك في الشفق، ولاح لك شعاع المريخ في السحر، واتصل جرمه بجرم القمر، ثم قال: البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كل عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم، وأوماً بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي وكان جاسوساً للخوارج في عسكره، فظن الملعون أنه يقول خذوه، فأخذ بنفسه فمات، فخر الدهقان ساجداً، فلما أفاق قال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق؟ فقال: بلى، فقال: أنا وصاحبي لا شرقيون ولا غربيون نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، أما قولك: «انقذ من برجك النيران وظهر منه السرطان» فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي، أما نوره وضيأؤه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذهب عني، وهذه مسألة عميقة أحسبها إن كنت حاسباً، فقال الدهقان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، وأنت علي ولي الله.

يقول الإمام علي عليه السلام «أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكاfer، والكاfer في النار».

السنون الشمسية والقمرية

وفي كتب أصحاب الرواية أنه قالت اليهود لما سمعت قوله سبحانه في شأن أصحاب الكهف ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] ما نعرف التسع، ذكرها رهط من المفسرين كالزجاج وغيره أن جماعة من أحبار اليهود أتت المدينة بعد رسول الله ﷺ فقالت: ما في القرآن يخالف ما في التوراة، إذ ليس في التوراة إلا ثلاثمائة سنين، فأشكل الأمر على الصحابة فبهتوا، فرفع إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: لا مخالفة، إذ المعبر عند اليهود السنة الشمسية وعند العرب السنة القمرية، والتوراة نزلت عن لسان اليهود والقرآن العظيم عن لسان العرب، والثلاثمائة من السنين الشمسية ثلاثمائة وتسع من السنين القمرية.

إسلام أبو الضمضام العبسي

عن محمد الشوهاني بإسناده أنه قدم أبو الضمضام العبسي إلى النبي ﷺ قال: متى يجيء المطر، وأي شيء في بطن ناقتي هذه، وأي شيء يكون غداً، ومتى أموت؟ فنزل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] فأسلم الرجل ووعد النبي أن يأتي بأهله فقال: «اكتب يا أبا الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم أقر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأشهد على نفسه في صحة عقله وبدنه وجواز أمره، أن لأبي ضمضام العبسي عليه وعنده وفي ذمته ثمانين ناقة حمر الظهور، بيض العيون سود الحديق، عليها من طرائف اليمن ونقط الحجاز». وخرج أبو الضمضام ثم جاء في قومه بني عبس كلهم مسلمين، وسأل عن النبي ﷺ فقالوا: قبض، قال: فمن الخليفة من بعده؟ فقالوا: أبو بكر، فدخل أبو الضمضام المسجد وقال: يا خليفة رسول الله، إن لي على رسول الله ثمانين ناقة حمر الظهور بيض العيون سود الحديق عليها من طرائف اليمن ونقط الحجاز فقال: يا أخا العرب سألت ما فوق العقل، والله ما خلف رسول الله إلا بغلته الدلدل وحماره اليعفور وسيفه ذا الفقار ودرعه

الفاضل، أخذها كلها علي بن أبي طالب، وخلف فينا فذكاً فأخذناها بحق ونبينا لا يورث فصاح سلمان (كردي ونكردي وحق أمير المؤمنين ﷺ بيردي) ردوا العمل إلى أهله، ثم ضرب بيده إلى أبي الضمضام فأقامه إلى منزل علي بن أبي طالب ﷺ ففرع الباب فنادى علي: (ادخل يا سلمان أنت وأبو الضمضام)، فقال أبو الضمضام: هذه أعجوبة، من هذا الذي سماني باسمي ولم يعرفني! فعد سلمان فضائل علي، فلما دخل وسلم عليه قال: يا أبا الحسن، إن لي على رسول الله ثمانين ناقة، ووصفها فقال علي ﷺ: (أمعك حجة؟) فدفع إليه الوثيقة، فقال علي: (يا سلمان ناد في الناس ألا من أراد أن ينظر إلى دين رسول الله فليخرج غداً إلى خارج المدينة)، فلما كان الغد خرج الناس وخرج علي ﷺ وأسر إلى ابنه الحسن ﷺ سرّاً وقال: (امض يا أبا الضمضام مع ابني الحسن إلى الكثيب من الرمل)، فمضى ﷺ ومعه أبو الضمضام فصلى الحسن ركعتين عند الكثيب وكلم الأرض بكلمات لا ندري ما هي وضرب الكثيب بقضيب رسول الله ﷺ، فانفجر الكثيب عن صخرة ململمة مكتوب عليها سطران من نور، السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فضرب الحسن الصخرة بالقضيب فانفجرت عن خطام ناقة فقال الحسن: اقتد يا أبا الضمضام، فاقتاد أبو الضمضام ثمانين ناقة حمر الظهور بيض العيون سود الحديق، عليها من طرائف اليمن ونقط الحجاز ورجع إلى علي بن أبي طالب، فقال: (استوفيت يا أبا الضمضام؟) قال نعم:

قال: فسلم الوثيقة، فسلمها إلى عليّ بن أبي طالب فأخذها وخرقها فقال: (هكذا أخبرني أخي وابن عمي رسول الله ﷺ) أن الله عز وجل خلق هذه النوق في هذه الصخرة قبل أن يخلق ناقة صالح بألفي عام). فقال المنافقون: هذا من سحر عليّ قليل.

الإجابة من الله على من دعا عليهم ودعا لهم

عبد الله بن مسعود قال: لا تعرضوا لدعوة عليّ فإنها لا ترد.

دعاؤه على طلحة والزبير:

الأعظم في الفتوح أن علياً عليه السلام رفع يده إلى السماء وهو يقول: (اللهم إن طلحة بن عبد الله أعطاني صفقة يمينه طائعاً ثم نكث بيعتي، اللهم فعاجله ولا تمهله، اللهم وإن الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوي وهو يعلم أنه ظالم لي فاكفنيه كيف شئت وأناى شئت).

تاريخ الطبري قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ والله إنهما يعلمان أنني لست بدون رجل ممن قد مضى، اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما وأرهما المساءة فيما قد عملا).

فضائل العشرة وأربعين الخطيب روى زاذان أنه كذبه رجل في حديثه فقال عليه السلام: (أدعو عليك إن كنت كذبتني أن يعمي الله بصرك)؟ قال: نعم، فدعا عليه فلم ينصرف حتى ذهب بصره.

جميع بن عمير قال: اتهم عليّ رجلاً يقال له العيزار برفع

أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحد فقال ﷺ : (أتحلف بالله يا هذا أنك ما فعلت)؟ قال : نعم وبدر فحلف، فقال له أمير المؤمنين ﷺ : (إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك)، فما دارت الجمعة حتى أخرج أعمى يقاد.

الوليد بن الحارث وغيره أنه قال : إن علياً لما بلغه قتل بشر بن أرطاة من شيعته باليمن حين ولي عليهم من جهة معاوية قال : (اللهم إن بشرأ باع دينه بالدنيا فأسلبه عقله)، فاختلط بشر فكان يدعو بالسيف فاتخذ له سيفاً من خشب، فكان يضرب به حتى يغشى عليه فإذا أفاق يقول : السيف فلم يزل ذلك دأبه حتى مات.

ودعا ﷺ على رجل في غزاة بني زبيد، وكان في وجهه خال فتفشى في وجهه حتى اسود بها وجهه كله.

وقوله لرجل : (إن كنت كاذباً فسلط الله عليك غلام ثقف)، قالوا : وما غلام ثقيف؟ قال : (غلام لا يدع لله حرمة إلا انتهكها) وأدرك الرجل الحجاج فقتله.

وحكم ﷺ بحكم فقال المحكوم عليه : ظلمت والله يا علي، فقال : (إن كنت كاذباً فغير الله صورتك)، فصار رأسه رأس خنزير.

وذكر صاحب في رسالته الغراء عن أبي العيناء أنه لقي جد أبي العيناء الأكبر أمير المؤمنين فأساء مخاطبته، فدعا عليه وعلى أولاده بالعمى، فكل من عمي من أولاده فهو صحيح النسب، ويقال إنه دعا ﷺ على وابصة بن معبد الجهني وكان من أهل الصفة بالرقعة

لما قال له: فنتت أهل العراق وجئت تفتن أهل الشام بالعمى والخرس والصمم وداء السوء، فأصابه في الحال والناس إلى اليوم يرجمون المنارة التي كان يؤذن عليها.

أبو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية: إن علياً عليه السلام دعا على ولد العباس بالشتات فلم يروا بني أم أبعد قبوراً منهم، فعبد الله بالمشرق، ومعبد بالمغرب، وقثم بمنفعة الرواح، وثمامة بالأرجوان، ومتمم بالخازر.

وروى حديث الطير جماعة منهم الترمذي في جامعه وأبو نعيم في حلية الأولياء والبلاذري في تاريخه، والخركوشي في شرف المصطفى، والسمعاني في فضائل الصحابة والطبري في الولاية، وابن البيع في الصحيح، وأبو يعلى في المسند، وأحمد في الفضائل والنطزري في الاختصاص، وقد رواه محمد بن إسحاق، ومحمد بن يحيى الأزدي، وسعيد المازني، وابن شاهين، والسدي، وأبو بكر في تاريخ بغداد من سبعة طرق، وقد صنف أحمد بن محمد بن سعيد كتاب الطير، وقال القاضي أحمد: قد صح عندي حديث الطير وما لي لفظه، وقال أبو عبد الله البصري: إن طريقة أبي عبد الله الجبائي في تصحيح الأخبار يقتضي القول بصحة هذا الخبر لإيراده عليه السلام يوم الشورى فلم ينكر.

قال الشيخ: قد استدل به أمير المؤمنين عليه السلام على فضله في قصة الشورى بمحضر من أهلها فما كان فيهم إلا من عرفه وأقر به

والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها، فصار متواتراً وليس في الأمة على اختلافها من دفع هذا الخبر .

وحدثني أبو العزيز كادش العكبري عن أبي طالب الحربي العشاري عن ابن شاهين الواعظ في كتابه ما قرب سنده قال : قال نعيم بن سالم بن قنبر قال : قال أنس بن مالك الخبر، وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتاب قرب الإسناد، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس وعشرة عن رسول الله ﷺ، فقد صح أن الله تعالى والنبي يحبانه وما صح ذلك لغيره، فيجب الاقتداء به، ومن عزا خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه .

ومجمع الحديث أن أنساً تعصب بعصاة فسئل عنها فقال : هذه دعوة علي، قيل : وكيف ذلك؟ قال : أهدي إلى رسول الله طائر مشوي فقال : «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء علي فقلت له : رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فدعا رسول الله ثانياً فجاء علي فقلت : رسول الله عنك مشغول، فدعا رسول الله ثالثاً فجاء علي فقلت : رسول الله عنك مشغول، فرفع علي صوته وقال : (وما يشغل عني رسول الله)، وسمعه رسول الله فقال : «يا أنس من هذا؟» قلت : علي بن أبي طالب، قال : «ائذن له»، فلما دخل قال له : «يا علي إني قد دعوت الله ثلاث مرات أن يأتيني بك»، فقال : (يا رسول الله ﷺ) إني قد جئت ثلاث مرات كل ذلك يردني أنس ويقول : رسول الله عنك مشغول، فقال لي رسول الله : «ما حملك على هذا؟» قلت : أحببت

أن يكون رجلاً من قومي، فرفع عليّ يده إلى السماء فقال: (اللهم ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس)، وفي رواية، لا تواريه العمامة، ثم كشف العمامة عن رأسه فقال: هذه دعوة عليّ.

ابن العطار الواسطي الهاشمي:

إن أمير المؤمنين عليه السلام سمع في ليلة الإحرام منادياً باكياً فأمر الحسين عليه السلام يطلبه فلما أتاه وجد شاباً يبس نصف بدنه، فأحضره فسأله عليّ عليه السلام عن حاله فقال: كنت رجلاً ذا بطر، وكان أبي ينصحنني فكان يوماً في نصحه إذ ضربته فدعا عليّ بهذا الموضع وأنشأ شعراً فلما تم كلامه يبس نصفي فندمت وتبت وطببت قلبه، فركب على بعير ليأتي بي إلى ههنا ويدعو لي فلما انتصف البادية نفر البعير من طيران طائر ومات والذي فصلني عليّ عليه السلام أربعاً ثم قال: (قم سليماً)، فقام صحيحاً فقال: (صدقت لو لم يرض عنك لما سمعت).

وسمع ضرير دعاء أمير المؤمنين عليه السلام: (اللهم إني أسألك يا رب الأرواح الفانية ورب الأجساد البالية أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها وبطاعة الأجساد الملتزمة إلى أعضائها، وبانشقاق القبور عن أهلها وبدعوتك الصادقة فيهم وأخذك بالحق بينهم إذا برز الخلائق ينتظرون قضاءك ويرون سلطانك، ويخافون بطشك، ويرجون رحمتك يوم لا يغني مولى شيئاً، ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو البر الرحيم، أسألك يا رحمن أن تجعل النور

في بصري، واليقين في قلبي، وذكرك بالليل والنهار على لساني أبداً ما أبقيتني، إنك على كل شيء قدير)، قال: فسمعها الأعمى وحفظها ورجع إلى بيته الذي يأويه، فتطهر للصلاة وصلى ثم دعا بها فلما بلغ إلى قوله: (أن تجعل النور في بصري)، ارتد الأعمى بصيراً بإذن الله.

وروي أن عمر أراد قتل الهرمزان فاستسقى فأتى بقدر فجعل ترعد يده فقال له في ذلك فقال: إني أخاف أن تقتلني قبل أن أشربه، فقال: اشرب ولا بأس عليك، فرمى القدر من يده فكسره فقال: ما كنت لأشربه أبداً وقد آمنتني، فقال: قاتلك الله لقد أخذت أماناً ولم أشعر به.

وفي رواياتنا أنه شكاً ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فدعا الله تعالى فصار القدر صحيحاً مملوءاً من الماء، فلما رأى الهرمزان المعجز أسلم.

واستجابة الدعوات المتواترات من الآيات الباهرات في خلق الله المستمر العادات التي لا يغيرها إلا لخطب عظيم وإقامة حق يقين، وذلك خصوصية للأنبياء والأئمة عليهم السلام.

في نواقض العادات منه

أبو سعيد الخدري وجابر الأنصاري، وعبد الله بن عباس في خبر طويل أنه قال خالد بن الوليد: أتى الأصلح - يعني علياً - عند منصرفي من قتال أهل الردة في عسكري وهو في أرض له وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد وقعقة الرعد فقال لي: (ويلك أكنت

فاعلاً؟ فقلت: أجل، فاحمرّت عيناه وقال: (يا بن اللخناء أمثلك يقدم على مثلي أو يجسر أن يدير اسمي في لهواته)، في كلام له ثم قال: فنكسني والله عن فرسي ولا يمكنني الامتناع منه فجعل يسوقني إلى رحي للحرث بن كدة، ثم عمد إلى قطب الرحي الحديد الغليظ الذي عليه مدار الرحي فمده بكلتا يديه، ولواه في عنقي كما يتفتل الأديم وأصحابي كأنهم نظرُوا إلى ملك الموت، فأقسمت عليه بحق الله ورسوله فاستحيا وخلى سبيلي، قالوا: فدعا أبو بكر جماعة من الحدادين فقالوا: إن فتح هذا القطب لا يمكننا إلا أن نحمله بالنار، فبقي في ذلك أياماً والناس يضحكون منه فقيل: إن علياً جاء من سفره، فأتى به أبو بكر إلى عليّ يشفع إليه في فكّه فقال عليّ: (إنه لما رأى تكاثف جنوده وكثرة جموعه أراد أن يضع مني في موضعي فوضعت منه عندما خطر بباله وهمت به نفسه)، ثم قال: (وأما الحديد الذي في عنقه فلعله لا يمكنني في هذا الوقت فكّه)، فنهضوا بأجمعهم فأقسموا عليه فقبض على رأسي الحديد من القطب فجعل يقتل منه يمينه شبراً شبراً فيرمي به، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ (١٠) أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴿[سبا: ١٠ - ١١].

ابن عباس وسفيان بن عيينة والحسن بن صالح ووكيع بن الجراح وعبيدة يعقوب الأسدي، وفي حديث غيرهم، لا يفعل خالد ما أمرته، وفي حديث أبي ذر: إن أمير المؤمنين أخذ بأصبعه السبابة والوسطى فعصره عصرة، فصاح خالد صيحة منكرة وأحدث في ثيابه وجعل يضرب برجله.

وفي رواية عمار: فجعل يقمص قماص البكر فإذا له رغاء وأساغ ببوله في المسجد، وروي في كتاب البلاذري أن أمير المؤمنين أخذه بأصبعيه السبابة والوسطى في حلقه وشاله بهما وهو كالبعير عظماً، وضرب به الأرض فدق عصصه وأحدث مكانه.

أهل السير عن حبيب بن الجهم وأبي سعيد التيمي والنطنزي في الخصائص والأعثم في الفتوح والطبري في كتاب الولاية بإسناد له عن محمد بن القاسم الهمداني وأبو عبد الله البرقي عن شيوخه عن جماعة من أصحاب علي أنه نزل أمير المؤمنين عليه السلام بالعسكر عند وقعة صفين عند قرية صندودياء فقال مالك الأشر: ينزل الناس على غير ماء؟ فقال: (يا مالك إن الله سيسقينا في هذا المكان احتفر أنت وأصحابك)، فاحتفروا فإذا هم بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة لجين، فعجزوا عن قلعها وهم مائة رجل، فرفع أمير المؤمنين يده إلى السماء وهو يقول: (طاب طاب يا عالم اطيوبثابوثة شميا كرباجا نوثا توديثا برجوثا آمين آمين يا رب العالمين يا رب موسى وهارون). ثم اجتذبها فرماها عن العين أربعين ذراعاً فظهر ماء أعذب من الشهد، وأبرد من الثلج، وأصفى من الياقوت، فشربنا وسقينا ثم رد الصخرة وأمرنا أن نحشو عليها التراب، فلما سرنا غير بعيد قال: (من منكم يعرف موضع العين؟ قلنا: كلنا، فرجعنا فخفي مكانها علينا، فإذا راهب مستقبل من صومعة فلما بصر به أمير المؤمنين قال: (شمعون؟ قال: نعم هذا اسمي سمتني به أمي ما اطلع عليه إلا الله ثم أنت، قال: (وما تشاء يا شمعون؟ قال: هذا العين واسمه قال:

(هذا عين زاحوما) - وفي نسخة (راجوه وهو من الجنة شرب منها ثلاثمائة نبي وثلاثة عشر وصياً وأنا آخر الوصيين شربت منه)، قال: هكذا وجدت في جميع كتب الإنجيل وهذا الدير بني على قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، ولم يدركه عالم قبلي غيري لقد رزقنيه الله، وأسلم.

وفي رواية أنه جب شعيب ثم رحل أمير المؤمنين والراهب يقدمه حتى نزل صفيين، فلما التقى الصفان كان أول من أصابته الشهادة فنزل أمير المؤمنين عليه السلام وعيناه تهملان وهو يقول: (المرء مع من أحب الراهب معنا يوم القيامة).

وصيته لإبنه الحسن ؑ عند انصرافه من صفين

من الوالد الفان، المقرّ للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر
الذام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الطّاعن عنها غداً، إلى المولود
المؤمل ما لا يدرك، السّالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام،
ورهيئة الأيّام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم
المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونصب
الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات.

أمّا بعد، فإنّ فيما تبينت من إدبار الدنيا عني، وجموع الدّهر
عليّ، وإقبال الآخرة إليّ، ما يزعني عن ذكر من سواي، والاهتمام
بما ورائي، غير أنّي حيث تفرّد بي دون هموم الناس هم نفسي،
فصدفني رأبي، وصرفني عن هواي، وصرّح لي محض أمري،
فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعبٌ، وصدق لا يشوبه كذبٌ.

ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حتّى كأنّ شيئاً لو أصابك
أصابني، وكأنّ الموت لو أتاكَ أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من
أمر نفسي، فكتبت إليك مستظهِراً به إن أنا بقيت لك أو فנית.

فإني أوصيك بتقوى الله - أي بني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك

بذكره، والاعتصام بحبله . وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله
إن أنت أخذت به؟ .

أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره
بالحكمة، وذللّه بذكره الموت، وقزّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا،
وحذّره صولة الدّهر وفحش تقلّب اللّياالي والأيام، وأعرض عليه
أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر
في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا
ونزلوا! فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلّوا ديار الغربه،
وكانك عن قليل قد صرت كأحدهم . فاصلح مثواك، ولا تبع آخرتك
بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلف .

وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإنّ الكفّ عند حيرة
الضلال خيرٌ من ركوب الأهوال .

وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك
وبابن من فعله بجهدك، وجاهد في الله حقّ جهاده، ولا تأخذك في
الله لومة لائم .

وخض الغمرات للحقّ حيث كان، وتفقه في الدين، وعود
نفسك التّصبر على المكروه، ونعم الخلق التّصبر في الحقّ! والجىء
نفسك في أمورك كلّها إلى إلهك، فإنّك تلجئها إلى كهف حريز،
ومانع عزيز .

وأخلص في المسألة لربّك، فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر

الاستخارة، وتفهم وصيتي، ولا تذهبن عنها صفحاً، فإن خير القول ما نفع.

واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه.

إني لما رأيتني قد بلغت سناً، ورأيتني أزداد وهناً، بادرت بوصيتي إليك، أي بني، وأوردت خصلاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي، أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا، فتكون كالصعب الثقور.

وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته.

فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كئنا نأتيه، واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه.

أي بني، وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كإني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله، وتوخّيت لك جميله، وصرف عنك مجهوله،

ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة، ونفس صافية، وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيره.

ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك، وأن يهديك، لقصدك، فعهدت إليك وصيتي هذه.

واعلم يا بني أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عما لم يكلّفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم، لا بتورط الشبهات، وعلق الخصومات.

وأبدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالله، والرغبة إليه في توفيقك، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة.

فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، وكان همك في ذلك همّاً واحداً، فانظر فيما فسرت لك، وإن أنت لم

يجتمع لك ما تحبّ من نفسك، وفراق نظرك وفكرك، فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء، وتتورّط الظلماء.

وليس طالب الدّين من خبط أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل.

فتفهّم يا بنيّ وصيّتي، واعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة، وأنّ الخالق هو المميت وأنّ المقني هو المعيد، وأنّ المبتلي هو المعافي، وأنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النعماء، والابتلاء، والجزاء في المعاد، أو ما شاء ممّا لا نعلم، فإنّ أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك، فإنّك أوّل ما خلقت خلقت جاهلاً ثمّ علمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك، ويضلّ فيه بصرك ثمّ تبصره بعد ذلك! فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك.

واعلم يا بنيّ أنّ أحداً لم ينبيّ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول ﷺ فارض به رائداً، وإلى النّجاة قائداً، فإنّي لم ألك نصيحة.

وإنّك لن تبلغ في النظر لنفسك - وإن اجتهدت - مبلغ نظري لك.

واعلم يا بنيّ أنّه لو كان لربّك شريك لأنتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إلّه واحد كما صف نفسه.

لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبداً ولم يزل.

أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية.

عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر.

فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره، وقلة قدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربه. في طلب طاعته، والخشية من عقوبته، والشفقة من سخطه فإنه لم يأمرك إلا بحسن، ولم ينهك إلا عن قبيح.

يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها، وزوالها وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها، وضربت لك فيهما الأمثال، لتعتبر بها، وتحذو عليها.

إنما مثل من خبر الدنيا كثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب، فأما منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً، فاحتملوا وعشاء الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر، وجشوبة المطعم، ليأتوا سعة دارهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً، ولا يرون نفقة مغرمًا.

ولا شيء أحب إليهم ممّا قرّبهم من منزلهم، وأدناهم من محلّتهم.

ومثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب، فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه، إلى ما يهجمون عليه، ويصيرون إليه.

يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تکره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

واعلم أن الإعجاب ضد الضواب، وآفة الألباب، فاسع في كدحك، ولا تكن خازناً لغيرك، وإذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك.

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وأنه لا غنى لك فيه عن حسن الارتداد، وقدر بلاغك من الزاد، مع خفة الظهر، فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثقل ذلك وبالأعلى عليك، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة، فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه، وأكثر من تزويده، وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده.

واغتنم من استقرضك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك.

واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً، المخف فيها أحسن حالاً من المثقل، والبطيء عليها أقبح حالاً من المسرع، وأن مهبطك بها لا محالة على جنة أو على نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطئ المنزل قبل حلولك، «فليس بعد الموت مستعتب» ولا إلى الدنيا منصرف.

واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالثقة، ولم يعيرك بالإجابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإجابة، ولم يناقشك، بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنك عشرة، وفتح لك باب المتاب، وباب الاستعتاب؛ فإذا ناديتك سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك، وأبشته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كربك، واستعنته على أمورك، وسألك من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره، من زيادة الأعمار، وصحة الأبدان، وسعة الأرزاق.

ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية.

وربما أخرت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل.

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو أجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته.

فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له. واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللنقاء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنت في منزل قلعة ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة، وأنت طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا يفوته طالبه.

ولا بد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة، قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك.

كتابه للاشتر النخعي عندما ولاه مصر

يعتبر هذا الكتاب بمثابة قانون عام لكل زمان ومكان كيف يجب أن يكون الوالي أو الحاكم .

مالك الأشتر النخعي من زعماء العرب وأبطالهم ، كان جديراً باحترام وحب أمير المؤمنين له حتى قال فيه عليه السلام : « كان لنا ناصحاً ، وعلى عدونا شديداً ، وكان ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته » .

نستخلص من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن مالك الأشتر كان يجمع صفات كثيرة إضافة إلى زعامة قومه كالفروسية - والشجاعة - والعلم - والإخلاص .

« هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها .

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحدٌ إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه .

أمير المؤمنين عليه السلام يحدد كيف تبني الدولة :

- أ - بالمال وهو ما أشار إليه «بجباية خراجها» .
- ب - بالجيش وهو ما أشار إليه «بجهاد عدوها» .
- ج - الاهتمام بطبقات الشعب وأعمالهم - تجارة - زراعة - صناعة ، الخ .

وهذا لا يتم إلا بتقوى الله وطاعته واتباع أوامره والبعد عن نواهيه «حتى ينصر الله من نصره» .

وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ، وينزعها عند الجمحات ، فإن النفس أماراة بالسوء ، إلا ما رحم الله .

ثم اعلم يا مالك ، أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك ، وشخ بنفسك عما لا يحلّ لك ، فإن الشخ بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت» .

الشرح :

نصرة الله باليد : الجهاد بالسيف ، وبالقلب الاعتقاد للحق ، وباللسان قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تكفل الله بنصرة من نصره ، لأنه تعالى قال : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ .

والجمحات: منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها، ونزعها بكفها.

ثم قال له: قد كنت تسمع أخبار الولاة، وتعيب قوماً وتمدح قوماً، وسيقول الناس في إمارتك الآن نحو ما كنت تقول في الأمراء. فاحذر أن تعاب وتذم كما كنت تعيب وتذم من يستحق الذم.

ثم قال: إنما يستدل على الصالحين بما يكثر سماعه من السنة الناس بمدحه والثناء عليهم؛ وكذلك يستدل على الفاسقين بمثل ذلك.

وكان يقال: السنة الرعية أقلام الحق سبحانه إلى الملوك.

ثم أمره أن يشح بنفسه، وفسر له الشح ما هو؟ فقال: أن تنتصف منها فيما أحببت وكرهت أي لا تتمكنها من الاسترسال في الشهوات، وكن أميراً عليها، ومسيطرأ وقامعاً لها من التهور والانهماك.

فإن قلت: هذا معنى قوله: «فيما أحببت» فما معنى قوله: «وكرهت»؟

قلت: لأنها تكره الصلاة والصوم وغيرها من العبادات الشرعية ومن الواجبات العقلية، وكما يجب أن يكون الإنسان مهيمناً عليها في طرف الفعل يجب أن يكون مهيمناً عليها في طرف الترك.

حب الحاكم لرعيته

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم.

ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم، وابتلاك بهم.

ولا تنصب نفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة.

ولا تقولن إني مؤثر أمر فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير.

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، وفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال!

الشرح:

«أشعر قلبك الرحمة» أي اجعلها كالشعار له، وهو الثوب

الملاصق للجسد؛ قال: لأن الرعية إما أخوك في الدين، أو إنسان مثلك تقتضي رقة الجنسية وطبع البشرية الرحمة له. حتى ولو كان على غير دينك إن ائتمنتك لا تخنه.

قوله: «ويؤتى على أيديهم» مثل قولك: «ويؤخذ على أيديهم» أي يهذبون ويثقفون، يقال: خذ على يد هذا السفهيه، وقد حجر الحاكم على فلان، وأخذ على يده.

ثم قال: «فنسبتهم إليك كنسبتك إلى الله تعالى»، وكما تحب أن يصفح الله عنك ينبغي أن تصفح أنت عنهم.

قوله: «لا تنصبن نفسك لحرب الله» أي لا تبارزه بالمعاصي. فإنه لا يدي لك بنقمته؛ إذا غضب عليك.

قوله: «ولا تقولن إني مؤمر» أي لا تقل: إني أمير ووال أمر بالشيء فأطاع. وما على الناس إلا السمع والطاعة فهذا الغرور بعينه الذي يلقي بصاحبه إلى التهلكة.

ثم أمره عند حدوث الأتبهة والعظمة عنده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده، وإماتته وإحيائه. فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه، أي يغض من تعظمه وتكبره، ويطأطي منه.

والغرب: حدّ السيف، ويستعار للسطوة والسرعة في البطش والفتك.

قوله : «ويفيء» أي يرجع إليك بما بعد عنك من عقلك ،
وحرف المضارعة مضموم لأنه من «أفاء» .

ومساماة الله تعالى : مباراته في السمو وهو العلو . إياك والكبرياء
والعظمة فهذه الصفات لله سبحانه الواحد القهار .

رضا الرعية بالديمقراطية

«أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ،
ومن لك هوى فيه من رعيّتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد
الله خصمه دون عبادته ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان لله
حرباً حتى يتزع أو يتوب .

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة
على ظلم ، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين
بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في
العدل ، وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا
الخاصة ، وإن سخط الخاصة يفتقر مع رضا العامة .

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرّخاء ، وأقلّ
معونة له في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقلّ شكراً
عند الإعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملهمات
الذّهر ، من أهل الخاصة . وإنما عمود الدين ، وجماع المسلمين ،

والعدة للأعداء، والعامّة من الأمة، فليكن صفوك لهم، وميلك معهم".

الشرح:

قال له: أنصف الله أي قم له بما فرض عليك من العبادة والواجبات العقلية والسمعية.

ثم قال: وأنصف الناس من نفسك ومن ولدك وخاصة أهلك ومن تحبه وتميل إليه من رعيّتك، فمتى لم تفعل ذلك كنت ظالماً. ثم نهاه عن الظلم، وأكد الوصاية عليه في ذلك.

ثم عرفه أن قانون الإمارة الاجتهاد في رضا العامة، فإنه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة، فأما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة، وذلك مثل أن يكون في البلد عشرة أو عشرون من أغنيائه، وذوي الثروة من أهله، يلزمون الوالي ويخدمونه ويسامرونه، وقد صار كالصديق لهم، فإن هؤلاء ومن ضارهم من حواشي الوالي وأرباب الشفاعات والقربات عنده لا يغنون عنه شيئاً عند تنكر العامة له، وكذلك لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامة، وذلك لأن هؤلاء عنهم غنى، ولهم بدل، والعامة لا غنى عنهم ولا بدل منهم، ولأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب، فلا يقاومه أحد، وليس الخاصة كذلك.

ثم قال ﷺ - ونعم ما قال: ليس شيء أقل نفعاً، ولا أكثر ضرراً على الوالي من خواصه أيام الولاية، لأنهم يثقلون عليه

بالحاجات، والمسائل والشفاعات، فإذا عزل هجره ورفضوه حتى لو لقوه في الطريق لم يسلموا عليه.

احذر النقام والكذاب والحاقد والبخيل

«وليكن أبعد رعيّتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيّتك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين.

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».

الشرح:

أشنأهم عندك: أبغضهم إليك.

وتغاب: تغافل، يقال: تغابي فلاناً عن كذا.

ويضح: يظهر، والماضي وضح.

وما ورد في ذلك من الآثار عاب رجل رجلاً عند بعض
الأشراف فقال له : لقد استدلت على كثرة عيوبك بما تكثر فيه من
عيوب الناس ، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها .
وقال الشاعر :

وأجراً من رأيت بظهر غيب
على عيب الرجال أولوا العيوب
وقال آخر :

يا من يعيب وعيبه متشعب
كم فيك من عيب وأنت تعيب !
وفي الخبر المرفوع : «دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع
بعض» .

وقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أساير أبي ورجل
معنا يقع في رجل ، فالتفت أبي إليّ ، فقال : يا بني ، نزه سمعك عن
استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فإن المستمع شريك
القائل ، إنما نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك ، ولو
ردت كلمة جاهل في فيه لسعد رآها كما سقي قائلها .
وقال ابن عباس : الحدث حدثان : حدث من فيك ، وحدث من
فرجك .

وعاب رجل رجلاً عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة : أمسك
ويحك ! فقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام .

ومرّ رجل بجارين له ومعه ربيبة، فقال أحدهما لصاحبه: أفهمت ما معه من الربيبة؟ قال: وما معه؟ قال: كذا، قال: عبدي حرّ لوجه الله شكراً له تعالى إذ لم يعرّفني من الشرّ ما عرّفك.

وقال الفضيل بن عياض: إن الفاحشة لتشيع في كثير من المسلمين حتى إذا صارت إلى الصالحين كانوا لها خزاناً.

وقيل لبزرجمهر: هل من أحد لا عيب فيه؟ فقال: الذي لا عيب فيه لا يموت.

فأما قوله عليه السلام: «أطلق عن الناس عقدة كل حقد» فقد استوفى هذا المعنى زياداً في خطبته البتراء فقال: وقد كانت بيني وبين أقوام إحن، وقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً، ومن كان منكم مسيئاً فلينزعه عن إساءته، إني لو علمت أن أحداً قد قتله السلال من بغضي لم أكشف عنه قناعاً ولم أهتك له سترأ، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أناظره، ألا فليشتمل كل امرئ منكم على ما في صدره، ولا يكونن لسانه شفرة تجري على ودجه.

فصل في النهي عن سماع السعاية وما ورد في ذلك من الآثار

فأما قوله عليه السلام: «ولا تعجلن إلى تصديق ساع»، فقد ورد في هذا المعنى كلام حسن، قال ذو الرئاستين: قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دلّ على شيء كمن قبله وأجازه، فامقت الساعي على سعائته، فإنه لو كان صادقاً كان لثيماً إذ هتك العورة، وأضاع الحرمه.

وعاتب مصعب بن الزبير الأحنف على أمر بلغه عنه فأنكره، فقال مصعب: أخبرني به الثقة، قال: كلا أيها الأمير، إن الثقة لا يبلغ.

وكان يقال: لو لم يكن من عيب الساعي إلا أنه أصدق ما يكون، أضر ما يكون على الناس، لكان كافياً.

كانت الأسرة لا تأذن لأحد أن يطبخ السكباج، وكان ذلك مما يختص به الملك، فرفع ساع إلى أنوشروان: إن فلاناً دعانا ونحن جماعة إلى طعام له وفيه سكباج، فوقع أنوشروان على رقعته: قد حمدنا نصيحتك، ودممنا صديقك على سوء اختياره للإخوان.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأشيأ بأحد الولاة فقال له عليه السلام: إن كنت صادقاً مقتناً وإن كنت كاذباً أقلناك فاختر أيهما شئت. فقال: أقلني يا أمير المؤمنين.

قوله عليه السلام: «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر»، مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ قال المفسرون: الفحشاء ههنا البخل؛ ومعنى يعدكم الفقر يخيل إليكم أنكم إن سمحتم بأموالكم افتقرتم فيخوفكم فتخافون فتبخلون.

قوله عليه السلام: «فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله»، كلام شريف عال على كلام الحكماء، يقول: إن بينها قدراً مشتركاً وإن كانت غرائز وطبائع مختلفة، وذلك القدر

المشترك هو سوء الظن بالله، لأن الجبان يقول في نفسه: إن أقدمت قتلت، والبخيل يقول: إن سمحت وأنفقت افتقرت، والحريص يقول: إن لم أجد وأجتهد وأدأب فاتني ما أروم. وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله، ولو أحسن الظن الإنسان بالله وكان يقينه صادقاً لعلم أن الأجل مقدر، وأن الرزق مقدر، وأن الغنى والفقر مقدران، وأنه لا يكون من ذلك إلا ما قضى الله تعالى كونه.

شاور الصادقين واتخذهم أصدقاء

«إن شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً، ومن شركهم في الآثام فلا يكون لك بطانة، فإنهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه. أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً.

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع».

الشرح:

نهاه ﷺ أن يتخذ بطانة قد كانوا من قبل بطانة للظلمة، وذلك لأن الظلم وتحسينه قد صار ملكة ثابتة في أنفسهم، فبعيد أن يمكنهم الخلو منها إذ قد صارت كالخلق الغريزي اللازم لتكرارها وصيرورتها

عادة، فقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم، وتحريم الاستعانة بهم، فإن من استعان بهم كان معيناً لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخِذُ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾ وقال: ﴿لَا يَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وجاء في الخبر المرفوع: «ينادي يوم القيامة: أين من برى لهم - أي الظالمين - قلماً؟» أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له: ما تقول في الحجاج؟ قال: وما عسيت أن أقول فيه، هل هو إلا خطيئة من خطاياك، وشرر من نارك؟ فلعنك الله ولعن الحجاج معك! وأقبل يشتمهما، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول في هذا؟ قال: ما أقول فيه هذا رجل يشتمكم، فإما أن تشتموه كما شتمكم، وإما أن تعفوا عنه. فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلا خارجياً. فقال عمر: وما أظنك إلا مجنوناً! وقام فخرج مغضباً، ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد، فقال له: ما دعاك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين؟ لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي انتظر متى يأمرني بضرب عنقك! قال: أو كنت فاعلاً لو أمرك؟ قال: نعم، فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلداً سيفه، فنظر إليه وقال: يا خالد، ضع سيفك، فإنك مطيعنا في كل أمر نأمرك به، وكان بين يديه كاتب كان للوليد، فقال له: ضع أنت قلمك، فإنك كنت تضر به وتنفع، اللهم إني وقد وضعتهما فلا ترفعهما، قال: فوالله ما زالا وضيعين، مهينين حتى ماتا.

وروى الغزالي في كتاب «إحياء علوم الدين» قال: لما خالط

الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك ، أصبحت شيخاً كبيراً ، وقد أثقلتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء ، فإنه تعالى قال : ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ . واعلم أن أيسر ما ارتكبت ، وأخف ما احتملت ، أنك أنست وحشة الظالم ، وسهلت سبيل الغي ، بدنوك إلى من لم يؤد حقاً ، ولم يترك باطلاً حين أدناك ، اتخذوك أبا بكر قطباً تدور عليه رحى ظلمهم ، وجسراً يعبرون عليه إلى بلاتهم ومعاصيهم ، وسلماً يصعدون فيه إلى ضلالتهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا من حالك ودينك ! وما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ . يا أبا بكر إنك تعامل من لا يجهل ، ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهتئ زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والسلام .

«والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رُضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدني من العزة .

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك

تزهيذاً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه».

الشرح:

قوله: «والصق بأهل الورع» كلمة فصيحة، يقول: اجعلهم خاصتك وخلصاءك.

قال: «ثم رضهم على ألا يطروك» أي عودهم ألا يمدحوك في وجهك. «ولا يبجحوك بباطل» لا يجعلوك ممن يبجح أي يفخر بباطل لم يفعله كما يبجح أصحاب الأمراء الأمراء بأن يقولوا لهم: ما رأينا أعدل منكم ولا أسمح، ولا حمى هذا الشجر أمير أشد بأساً منكم! ونحو ذلك، وقد جاء في الخبر: «احتوا في وجوه المداحين التراب».

وقال عبد الملك لمن قام يساره: ما تريد؟ أتريد أن تمدحني وتصفني؟ أنا أعلم بنفسي منك. وقام خالد بن عبد الله القسري إلى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته فقال: يا أمير المؤمنين، من كانت الخلافة زائنته فقد زينتها، ومن كانت شرفته فقد شرفتها.

فقال عمر بن عبد العزيز: لقد أعطي صاحبكم هذا مقولاً، وحرّم معقولاً. وأمره أن يجلس.

ولما عقد معاوية البيعة لابنه يزيد قام الناس يخطبون، فقال معاوية لعمر بن سعيد الأشدق: قم فاخطب يا أبا أمية، فقام فقال: أما بعد، فإن يزيد ابن أمير المؤمنين أمل تأملونه، وأجل تأمنونه، وإن افتقرتم إلى حلمه وسعكم، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإن

اجتديتم ذات يده أغناكم وشملكم . جذع قارح ، سوبق فسبق ، وموجد فمجد ، وقورع فقرع ، وهو خلف أمير المؤمنين ، ولا خلف منه . فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس ، فإنما أردنا بعض هذا .

وأثنى رجل على علي عليه السلام في وجهه ثناء أوسع فيه - وكان عنده متهماً - فقال له : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك .

وقال ابن عباس لعتبة بن أبي سفيان وقد أثنى عليه فأكثر : رويداً فقد أمهيت يا أبا الوليد ، يعني بالغت ، يقال أمهى حافر البئر ، إذا استقصى حفرها .

فأما قوله عليه السلام : «ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء» فقد أخذه الصابي فقال : «وإذا لم يكن للمحسن ما يرفعه ، وللمسيء ما يضعه ، زهد المحسن في الإحسان ، واستمر المسيء على الطغيان» .

وكان يقال : قضاء حق المحسن أدبٌ للمسيء ، وعقوبة المسيء جزاءٌ للمحسن .

أكثر من مجالسة العلماء والحكماء

«واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن والبرعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم ، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها في صدور هذه الأمة،
 واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية .

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون
الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارس العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح
عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

الشرح

خلاصة صدر هذا الفصل، أن من أحسن إليك حسن ظنه
فيك، ومن أساء إليك استوحش منك، وذلك لأنك إذا أحسنت إلى
إنسان وتكرر منك ذلك الإحسان تبع ذلك اعتقاده أنه قد أحبك، ثم
يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر، وهو أنك تحبه، لأن الإنسان مجبور على
أن يحب من يحبه، وإذا أحببته سكنت إليه وحسن ظنك فيه،
وبالعكس من ذلك إذا أسأت إلى زيد، لأنك إذا أسأت إليه وتكررت
الإساءة تبع ذلك اعتقاده أنه قد أبغضك، ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر
آخر، وهو أن تبغضه أنت، وإذا أبغضته انقبضت منه واستوحشت،
وساء ظنك به .

قال المنصور للربيع: سلني لنفسك . قال: يا أمير المؤمنين،
ملأت يدي فلم يبق عندي موضع للمسألة . قال: فسلني لولدك،
قال: أسألك أن تحبه . فقال المنصور: يا ربيع إن الحب لا يسأل،
وإنما هو أمر تقتضيه الأسباب . قال: يا أمير المؤمنين، إنما أسألك أن

تزيد من إحسانك، فإذا تكرر أحبك، فإذا أحبك أحبته. فاستحسن المنصور ذلك، ثم نهاء عن نقض السنن الصالحة التي قد عمل بها من قبله من صالحي الأمة، فيكون الوزر عليه بما نقض، والأجر لأولئك بما أسسوا، ثم أمره بمطارحة العلماء والحكماء في مصالح عمله، فإن المشورة بركة، ومن استشار فقد أضاف عقلاً إلى عقله. ومما جاء في معنى الأول.

تصنيف المجتمع

«واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاهد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من

خواص الأمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، وقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ، مما لا يبلغه رفق غيرهم .

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة ، الذين يحق رفدهم ومعونتهم .

وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه .

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك ، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل .

الشرح :

قالت الحكماء : الإنسان مدني بالطبع . ومعناه أنه خلق خليفة لا بد منها من أن يكون منضماً إلى أشخاص من بني جنسه ، وامتدناً في مكان بعينه ، وليس المراد بالتمدن ساكن المدينة ذات السور والسوق ، بل لا بد أن يقيم في موضع ما مع قوم من البشر . وذلك لأن الإنسان مضطر إلى ما يأكله ويشربه ليقيم صورته ، ومضطر إلى ما يلبسه ، ليدفع عنه أذى الحر والبرد ، وإلى مسكن يسكنه ليرد عنه عادية غيره من الحيوانات ، وليكون منزلاً له ليتمكن من التصرف والحركة عليه ، ومعلوم أن الإنسان وحده لا يستقل بالأمور التي عددناها ، بل لا بد من جماعة يحرق بعضهم لغيره الحرق ، وذلك الغير يحرق للحراث الثوب ، وذلك الحائك يبنّي له غيره المسكن ، وذلك البناء يحمل له

غيره الماء، وذلك السقاء يكفيه غيره أمر تحصيل الآلة التي يطحن بها الحب ويعجن بها الدقيق ويخبز بها العجين، وذلك المحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجة التي تدعو إليها داعية الشبق، فيحصل مساعدة بعض الناس لبعض، لولا ذلك ما قامت الدنيا، هذا المعنى قوله ﷺ: «إنهم طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غناء ببعضها عن بعض».

ثم فصلهم وقسمهم فقال: منهم الجند، ومنهم الكتاب، ومنهم القضاة، ومنهم العمال، ومنهم أرباب الجزية من أهل الذمة، ومنهم أرباب الخراج من المسلمين، ومنهم التجار، ومنهم أرباب الصناعات. ومنهم ذوو الحاجات والمسكنة، وهم أدون الطبقات.

ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال: الجند للحماية، والخراج يصرف إلى الجند والقضاة والعمال والكتاب لما يحكمونه من المعاهد، ويجمعونه من المنافع، ولا بد لهؤلاء جميعاً من التجار لأجل البيع والشراء الذي لا غناء عنه، ولا بد لكل من أرباب الصناعات كالحداد والنجار والبناء وأمثالهم. ثم تلي هؤلاء الطبقة السفلى، وهم أهل الفقر والحاجة الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم.

وإنما قسمهم في هذا الفصل هذا التقسيم تمهيداً لما يذكره فيما بعد، فإنه قد شرع بعد هذا الفصل فذكر طبقة طبقة وصنفاً صنفاً، وأوصاه في كل طبقة وفي كل صنف منهم بما يليق بحاله، وكأنه مهد هذا التمهيد، كالفهرست لما يأتي بعده التفصيل.

«قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرهم جيئاً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف.

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به. ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك.

ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه. وليكن أثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم همأً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك. ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلة استئقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم.

فافسح في آمالهم، وواصل من حسن الثناء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل، إن شاء الله.

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه.

ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً، واردد إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب، ويشته عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه بقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة.

الشرح:

هذا الفصل مختص بالوصاية فيما يتعلق بأمراء الجيش، أمره أن يولي أمر الجيش من جنوده من كان أنصحهم لله في ظنه، وأطهرهم جيباً، أي عفيفاً أميناً. ويكنى عن العفة والأمانة بطهارة الجيب، لأن الذي يسرق يجعل المسروق في جيبه.

فإن قلت: وأي تعلق لهذا بولاة الجيش؟ إنما ينبغي أن تكون هذه الوصاية في ولادة الخراج!

قلت: لا بد منها في أمراء الجيش لأجل الغنائم.

ثم وصف ذلك الأمير فقال: «ممن يبطن عن الغضب، ويستريح إلى العذر» أي يقبل أدنى عذر، ويستريح إليه، ويسكن عنده، ويرؤف على الضعفاء، يرفق بهم ويرحمهم. والرأفة:

الرحمة. «وينبو عن الأقوياء»: يتجافى عنهم ويبعد، أي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء. «ولا يثيره العنف»: لا يهيج غضبه عنف وقسوة. «ولا يقعد به الضعف»: أي ليس عاجزاً.

ثم أمره أن يلصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات، أي يكرمهم ويجعل معولة في ذلك عليهم ولا يتعدهم إلى غيرهم، وكان يقال: عليكم بذوي الأحساب، فإن هم لم يتكرموا استحيوا.

ثم ذكر بعدهم أهل الشجاعة والسخاء، ثم قال: «فإنها جماع من الكرم، وشعب من العرف». من ههنا زائدة، وإن كانت في الإيجاب على مذهب أبي الحسن الأخفش، أي «الخمير جماع الإثم». والعرف: المعروف. جماع الكرم، أي يجمعه كقول النبي ﷺ: وكذلك «من» في قوله: «وشعب من العرف» أي وشعب العرف، أي هي أقسامه وأجزاؤه، ويجوز أن تكون «من» على حقيقتها للتبويض، أي هذه الخلال جملة من الكرم وأقسام من المعروف. وذلك لأن غيرها أيضاً من الكرم والمعروف، نحو العدل والعفة.

قوله: «ثم تفقد من أمورهم»، الضمير ههنا يرجع إلى الأجناد لا إلى الأمراء لما سنذكره، مما يدل الكلام عليه.

فإن قلت: إنه لم يجر للأجناد ذكر فيما سبق؛ وإنما المذكور الأمراء!

قلت: كلا بل سبق ذكر الأجناد، وهو قوله: «الضعفاء الأقوياء».

وأمره ﷺ أن يتفقد من أمور الجيش ما يتفقد الوالدان من حال الولد، وأمره ألا يعظم عنده ما يقويهم به وإن عظم، وألا يستحقر شيئاً تعهدهم به وإن قل، وألا يمنعه تفقد جسيم أمورهم عن تفقد صغيرها. وأمره أن يكون أثر رؤوس جنوده عنده وأخطاهم عنده وأقربهم إليه من واساهم في معونته. هذا هو الضمير الدال على أن الضمير المذكور أولاً للجند لا لأمراء الجند، لولا ذلك لما انتظم.

قوله: «من خلوف أهليهم» أي ممن يخلفونه من أولادهم وأهليهم.

ثم قال: «ولا تصح نصيحة الجند لك إلا بحيطتهم على ولاتهم» أي بتعطفهم عليهم وتحننهم، وهي الحيطه على وزن الشيمة، مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحيطه، أي كلاه ورعاه، وأكثر الناس يروونها إلا «بحيطتهم» بتشديد الياء وكسرها، والصحيح ما ذكرناه.

قوله: «وقلة استئقال دولهم» أي لا تصح نصيحة الجند لك إلا إذا أحبوا أمراءهم ثم الشجاع ويحرك الجبان.

قوله: «ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره» أي اذكر كل من أبلى منهم مفرداً غير مضموم ذكر بلائه إلى غيره، كي لا يكون مغموراً في جنب ذكره غيره.

ثم قال له: لا تعظم بلاء ذوي الشرف لأجل شرفهم، ولا تحقر بلاء ذوي الضعة لضعة أنسابهم، بل اذكر الأمور على حقائقها.

ثم أمره أن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب، أي ما يؤوده ويميله لثقله، وهذه الرواية أصح من رواية من رواها بالطاء، وإن كان لتلك وجه.

رسالة الاسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه

وينبغي أن نذكر في هذا الموضع رسالة أرسطو إلى الاسكندر في معنى المحافظة على أهل البيوتات وذوي الأحساب، وأن يخصهم بالرياسة والإمرة، ولا يعدل عنهم إلى العامة والسفلة، فإن في ذلك تشييداً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام ووصيته.

لما ملك الاسكندر إيران شهر - وهو العراق مملكة الأكاسرة - وقتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو وهو ببلاد اليونان:

عليك أيها الحكيم منا السلام. أما بعد، فإن الأفلاك الدائرة، والعلل السماوية، وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح الناس لنا بها دائبين، فإننا جد واجدين لمس الأضرار إلى حكمتك، غير جاحدين لفضلك والإقرار بمنزلتك، والاستئانة إلى مشورتك والافتداء برأيك، والاعتماد لأمرك ونهيك، لما بلونا من جدا ذلك علينا، وذقنا من جنى منفعتك، حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه في أذهاننا وعقولنا كالغذاء لنا، فما ننفك نعول عليه، ونستمد منه استمداد الجداول من البحور، وتعويل الفروع على الأصول، وقوة الأشكال بالأشكال. وقد كان مما سيق إلينا من النصر والفلج، وأتيح لنا من الظفر، وبلغنا في العدو من النكاية والبطش ما يعجز القول عن وصفه، ويقصر شكر

المنعم عن موقع الإنعام به، وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض سورية والجزيرة إلى بابل وأرض فارس، فلما حللنا بعقوة أهلها وساحة بلادهم، لم يكن إلا ريثما تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا، وطلباً للحظوة عندنا، فأمرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء بلائه، وقلة ارعوائه ووفائه. ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوي الشرف منهم، فرأينا رجالاً عظيمة أجسامهم وأحلامهم، حاضرة ألبابهم وأذهانهم، رائعة مناظرهم ومناطقهم، دليلاً على أن ما يظهر من روائهم ومنطقهم أن وراءه من قوة أيديهم، وشدة نجدتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم، لولا أن القضاء أدالنا منهم، وأظفرنا بهم، وأظهرنا عليهم، ولم نر بعيداً من الرأي في أمرهم أن نستأصل شأقتهم، ونجث أصلهم، ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم، لتسكن القلوب بذلك إلى الأمن من جرائرهم وبوائقهم. فرأينا ألا نعجل بإسعاف بادئ الرأي في قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشاورتك فيهم. فارفع إلينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته عندك، وتقليك إياه بجلي نظرك، وسلام أهل السلام، فليكن علينا وعليك.

فكتب إليه أرسطو:

لملك الملوك، وعظيم العظماء، الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء، المهدي له الظفر بالملوك، من أصغر عبيده وأقل خوله، أرسطوطاليس البخوع بالسجود، والتذلل في السلام، والإذعان في الطاعة.

أما بعد، فإنه لا قوة بالمنطق وإن احتشد الناطق فيه، واجتهد في تثقيف معانيه، وتأليف حروفه ومبانيه على الإحاطة بأقل ما تناله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول، وإبرازه على كل وصف، واغترافه بكل إطناب. وقد كان تقرر عندي من مقدمات إعلام فضل الملك في سهولة سبقه، وبرز شأوه، ويمن نقيته، مذ أدت إلي حاسة بصري صورة شخصه. واضطرب في حس سمعي صوت لفظه، ووقع وهمي على تعقب نجاح رأيه، أيام كنت أؤدي إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصبحت قاضياً على نفسي بالحاجة إلى تعلمه منه. ومهما يكن مني إليه في ذلك، فإنما هو عقل مردود إلى عقله، مستنبطة أواليه وتواليه من علمه وحكمته. وقد جلا إلي كتاب الملك ومخاطبته إياي ومسألته لي عما لا يتخالجني الشك في لقاح ذلك وإنتاجه من عنده، فعنه صدر وعليه ورد. وأنا فيما أسير به على الملك - وإن اجتهدت فيه واحتشدت له، وتجاوزت حد الوسع والطاقة مني في استنطاقه واستقصائه - كالعدم مع الوجود، بل كما لا يتجزأ في جنب معظم الأشياء، ولكنني غير ممتنع من إجابة الملك إلى ما سأل، مع علمي و يقيني بعظيم غناه عني، وشدة فاقتي إليه، وأنا راد إلى الملك ما اكتسبته منه، ومشير عليه بما أخذته منه، فقائل له :

إن لكل تربة لا محالة قسماً من الفضائل، وإن لفارس قسمها من النجدة والقوة، وإنك إن تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم، وتورث سفلتهم على منازل عليتهم، وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوي أخطارهم. ولم يبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم

وأشد توهيناً لسلطانهم من غلبة السفلة، وذل الوجوه، فاحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة، فإنه إن نجم منهم بعد اليوم على جندك وأهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لا روية فيه، ولا بقية معه؛ فانصرف عن هذا الرأي إلى غيره، واعمد إلى من قبلك من أولئك العظماء والأحرار، فوزع بينهم مملكتهم، وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحيته، واعقد التاج على رأسه وإن صغر ملكه، فإن المتسمي بالملك لازم لاسمه، والمعقود التاج على رأسه لا يخضع لغيره، فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابراً وتقاطعاً وتغالياً على الملك، وتفاخراً بالمال والجند، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك، ويعود حربهم لك حرباً بينهم، وحنقهم عليك حنقاً منهم على أنفسهم ثم لا يزدادون في ذلك بصيرة إلا أحدثوا لك بها استقامة، إن دنوت منهم دانوا لك، وإن نأيت عنهم تعززوا بك، حتى يشب من ملك منهم على جاره باسمك، ويستتره به بجندك، وفي ذلك شاغل لهم عنك، وأمان لإحداثهم بعدك، وإن كان لا أمان للدهر، ولا ثقة بالأيام.

قد أدبت إلى الملك ما رأيته لي حظاً وعلي حقاً، من إجابتي إياه إلى ما سألني عنه، ومحضة النصيحة فيه، والملك أعلى عيناً، وأنفذ روية، وأفضل رأياً، وأبعد همة فيما استعان بي عليه، وكلفني بتبيينه والمشورة عليه فيه. لا زال الملك متعرفاً من عوائد النعم وعواقب الصنع، وتوطيد الملك، وتنفيس الأجل، ودرك الأمل ما تأتي فيه قدرته على غاية قصوى ما تناله قدرة البشر!

والسلام الذي لا انقضاء له، ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء،
فليكن على الملك .

قالوا: فعمل الملك برأيه، واستخلف على إيران شهر أبناء
الملوك والعظماء من أهل فارس، فهم ملوك الطوائف الذين بقوا
بعده، والمملكة موزعة بينهم إلى أن جاء أردشير بن بابك فانتزع
الملك منهم .

تعيين القضاة

«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا
تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا
يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع،
ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه. وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم
بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف
الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا
يستمليه إغراء، وأولئك قليل .

ثم أكثر تعاهد قضاائه، وأفسح له في البذل ما يزيح عنه، وتقل
معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره
من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك . فانظر في ذلك
نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه
بالبهوى، وتطلب به الدنيا» .

الشرح:

«تمحكه الخصوم»: تجعله ماحكاً، أي لجوجاً. محك الرجل أي ليج، وماحك زيد عمرأ، أي لاجه.

قوله: «ولا يتمادى في الزلة»: أي إن زل رجع وأتاب، والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل.

قوله: «ولا يحصر من الفيء»: هو المعنى الأول بعينه، والفيء: الرجوع، إلا أن ههنا زيادة، وهو أنه لا يحصر، أي لا يعيا في المنطق، لأن من الناس من إذا زل حصر عن أن يرجع وأصابه كالفهامة والعي خجلاً.

قوله: «ولا تشرف نفسه» أي لا تشفق. والإشراف: الإشفاق والخوف.

والمعنى: ولا تشفق نفسه، وتخاف من فوت المنافع والمرافق.

ثم قال: «ولا يكتفي بأدنى فهم» أي لا يكون قانعاً بما يخطر له بادئ الرأي من أمر الخصوم، بل يستقصي ويبحث أشد البحث.

قوله: «وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم» أي تضجراً. وهذه الخصلة من محاسن ما شرطه عليه السلام، فإن القلق والضجر والتبرم قبيح، وأقبح ما يكون من القاضي.

قوله: «وأصرمهم» أي أقطعهم وأمضاهم. وازدهاه كذا، أي استخفه. والإطراء: المدح. والإغراء: التحريض.

ثم أمره أن يطلع على أحكامه وأقضيته، وأن يفرض له عطاء واسعاً يملأ عينه، ويتعفف به عن المرافق والرشوات، وأن يكون قريب المكان منه، كثير الاختصاص به ليمنع قربه من سعاية الرجال به وتقييحهم ذكره عنده.

ثم قال: إن هذا الدين قد كان أسيراً، هذه إشارة إلى قضية عثمان وحكامه، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل الهوى لطلب الدنيا.

وأما أصحابنا فيقولون: رحم الله عثمان! فإنه كان ضعيفاً، واستولى عليه أهله، قطعوا الأمور دونه، فإثمهم عليهم وعثمان بريء منهم.

اختر عمالك لجدارتهم

«ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً، ولا تولهم محابة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة. وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك. ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموالهم حدوداً لهم

على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة».

الشرح:

لما فرغ عليه السلام من أمر القضاء، شرع في أمر العمال، وهم عمال السواد والصدقات والوقوف والمصالح وغيرها، فأمره أن يستعملهم بعد اختبارهم وتجربتهم، وألا يوليهم محابة لهم، ولمن يشفع فيهم، ولا أثرة ولا إنعاماً عليهم.

كان أبو الحسن بن الفرات يقول: الأعمال للكفاة من أصحابنا، وقضاء الحقوق على خواص أموالنا.

وكان يجيء ابن خالد يقول: من تسبب إلينا بشفاعاة في عمل فقد حل عندنا محل من ينهض بغيره، ومن لم ينهض بنفسه لم يكن للعمل أهلاً.

ووقع جعفر بن يحيى في رقعة متحرم به: هذا فتى له حرمة الأمل، فامتنحه بالعمل، فإن كان كافياً فالسلطان له دوننا، وإن لم يكن كافياً فنحن له دون السلطان.

ثم قال عليه السلام: «فإنهما - يعني استعمالهم للمحابة والأثرة - جماع من شعب الجور والخيانة»، وقد تقدم شرح مثل هذه اللفظة،

والمعنى أن ذلك يجمع ضرورياً من الجور والخيانة. أما الجور فإنه يكون قد عدل عن المستحق إلى غير المستحق ففي ذلك جور على المستحق، وأما الخيانة فلأن الأمانة تقتضي تقليد الأعمال الأكفاء، فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولاه.

ثم أمره بتخيير من قد جرّب، ومن هو من أهل البيوتات والأشراف لشدة الحرص على الشيء والخوف من فواته.

ثم أمره بإسباغ الأرزاق عليهم، فإن الجائع لا أمانة له، ولأن الحجة تكون لازمة لهم إن خانوا، لأنهم قد كفوا مؤونة أنفسهم وأهليهم بما فرض لهم من الأرزاق.

ثم أمره بالتطلع عليهم وإذكاء العيون والأرصاء على حركاتهم.

وحدوة باعث، يقال: حداني هذا الأمر حدوة على كذا، وأصله سوق الابل، ويقال للشمال حدواء، لأنها تسوق السحاب.

ثم أمره بمؤاخذه من ثبتت خيانتة واستعادة المال منه، وقد صنع عمر كثيراً من ذلك، وذكرناه فيما تقدم.

قال بعض الأكاسرة لعامل من عماله: كيف نومك بالليل؟ قال:

أنامه كله، قال: أحسنت! لو سرقت ما نمت هذا النوم!

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

إعمار البلاد خيرٌ من الضرائب

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة أضر البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً؛ فإن شكوا ثقلًا أو علة، أو انقطاع شرب، أو بالة، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخّر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من إجماعك لهم، والثقة منهم بما دعوتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم. فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه، طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته. وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر».

الشرح :

انتقل عليه السلام من ذكر العمال إلى ذكر أبواب الخراج ودهاقين السواد، فقال: تفقد أمرهم، فإن الناس عيال عليهم. وكان يقال: استوصوا بأهل الخراج، فإنكم لا تزالون سمناً ما سمنوا.

ورفع إلى أنوشروان أن عامل الأهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العادة، وربما يكون ذلك قد أجحف بالرعية، فوقع: يرد هذا المال على من قد استوفي منه، فإن تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتله من قواعد بنيانه.

وكان على خاتم أنوشروان: لا يكون عمران، حيث يجور السلطان.

وروي: «استحلاب الخراج» بالحاء.

ثم قال: «فإن شكوا ثقلًا»، أي ثقل طسق الخراج المضروب عليهم، أو ثقل وطأة العامل.

قال: «أو علة» نحو أن يصيب الغلة آفة كالجراد والبرق أو البرد.

قال: «أو انقطاع شرب» بأن ينقص الماء في النهر، أو تتعلق أرض الشرب عنه لفقد الحفر.

قال: «أو بالة» يعني المطر.

قال: «أو إحالة أرض اغتمرها غرق» يعني أو كون الأرض قد حالت، ولم يحصل منها ارتفاع، لأن الغرق غمرها وأفسد زرعها.

قال: «أو أجحف بها عطش» أي أتلها.

فإن قلت: فهذا هو انقطاع الشرب؟

قلت: لا، قد يكون الشرب غير منقطع، ومع ذلك يجحف بها العطش، بأن لا يكفيها الماء الموجود في الشرب.

ثم أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شيء من ذلك، فإن التخفيف يصلح أمورهم، وهو وإن كان يدخل على المال نقصاً في العاجل إلا أنه يقتضي توفير زيادة في الآجل، فهو بمنزلة التجارة التي لا بد فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه.

قال: «ومع ذلك فإنه يفضي إلى تزيين بلادك بعمارتها وإلى أنك تبجح بين الولاة بإضافة العدل في رعبتك معتمداً فضل قوتهم؛ و«معتمداً» منصوب على الحال من الضمير في «خففت» الأولى، أي خففت عنهم معتمداً بالتخفيف فضل قوتهم.

والإجماع: الترفيه.

ثم قال له: وربما احتجت فيما بعد إلى تكليفهم بحادث يحدث عندك المساعدة بمال يقسطونه عليهم قرضاً لك أو معونة محضة، فإذا كانت لهم ثروة نهضوا بمثل ذلك، طيبة قلوبهم به.

ثم قال عليه السلام: فإن العمران محتمل ما حملته.

سمعت أبا محمد بن خلود - وكان صاحب ديوان الخراج في أيام الناصر لدين الله - يقول لمن قال له: قد قيل عنك: إن واسط والبصرة قد خرجت لشدة العنف بأهلها في تحصيل الأموال!

فقال أبو محمد: ما دام هذا الشط بحاله، والنخل نابتاً في منابته بحاله، ما تخرب واسط والبصرة أبداً.

ثم قال عليه السلام: «إنما تؤتى الأرض»، أي إنما تدهى من إعواز أهلها، أي من فقرهم.

قال: والموجب لإعوازهم طمع ولاتهم في الجباية وجمع الأموال لأنفسهم ولسلطانهم وسوء ظنهم بالبقاء، يحتمل أن يريد به أنهم يظنون طول البقاء وينسون الموت والزوال. ويحتمل أن يريد به أنهم يتخيلون العزل والصرف، فينتهزون الفرص، ويقتطعون الأموال، ولا ينظرون في عمارة البلاد.

توزيع الأعمال على أهل الكفاءة

«ثم انظر في حال كتابك، فولّ على أمورك خيرهم، واخصص رسالتك التي تدخل فيها مكايذك وأسراك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة، فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملا».

ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك، وفيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن حديثهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء.

ولكن اخترهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك

لله، ولمن وليت أمره. واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها. ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه وألزمته».

اهتمام الوالي بأصحاب التجارة والصناعة

«ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببذنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته.

وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك. واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقبه من غير إسراف».

الشرح:

خرج ﷺ الآن إلى ذكر التجار وذوي الصناعات، وأمره بأن يعمل معهم الخير، وأن يوصي غيره من أمرائه وعماله أن يعملوا

معهم الخير . واستوصى: بمعنى «أوصى» نحو قر في المكان واستقر، وعلا قرنه واستعلاه .

وقوله: «استوص بالتجار خيراً» أي أوص نفسك بذلك . ومنه قول النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» . ومفعولاً «استوص وأوص» ههنا محذوفان للعلم بهما، ويجوز أن يكون «استوص» أي اقبل الوصية مني بهم، وأوص بهم أنت غيرك . ثم قسم ﷺ الموصى بهم ثلاثة أقسام: اثنان منها للتجار، وهما المقيم، والمضطرب، يعني المسافر .

والضرب: السير في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، وواحد لأرباب الصناعات، وهو قوله: «المترفق ببذنه» وروي «بيديه» تشية يد .

والمطارح: الأماكن البعيدة .

وحيث لا يلتئم الناس: لا يجتمعون، وروي «حيث لا يلتئم» بحذف الواو .

ثم قال: «فإنهم أولوا سلم»؛ يعني التجار والصناع، استعطفه عليهم، واستماله إليهم .

وقال: ليسوا كعمال الخراج وأمراء الأجناد، فجانبهم ينبغي أن يراعى، وحالهم يجب أن يحاط ويحمى، إذ لا يتخوف منهم بائقة لا في مال يخونون فيه، ولا في دولة يفسدونها .

وحواشي البلاد: أطرافها .

ثم قال له : قد يكون في كثير منهم نوع من الشح والبخل فيدعوهم ذلك إلى الاحتكار في الأقوات ، والحيف في البياعات . والاحتكار : ابتياع الغلات في أيام رخصها ، وادخارها في المخازن إلى أيام الغلاء والقحط . والحيف : تطفيف في الوزن والكيل ، وزيادة في السعر ، وهو الذي عبر عنه بالتحكم ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الاحتكار . وأما التطفيف وزيادة التسعير فممنهي عنهما في نص الكتاب .

وقارف حكرة : واقعها ، والحاء مضمومة ، وأمره أن يؤدب فاعل ذلك من غير إسراف ، وذلك أنه دون المعاصي التي توجب الحدود ، فغاية أمره من التعزير الإهانة والمنع .

الاهتمام بالمساكين

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى ، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا .

واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن لأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه .

ولا يشغبك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم . وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ، ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ،

ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم.
ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه، فإن هؤلاء
من بين الرعية أحوج إلى الانصراف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله
في تأدية حقه إليه.

وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السنن ممن لا حيلة له، ولا
ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد
يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق
موعود الله لهم.

الشرح:

انتقل من التجار وأرباب الصناعات إلى ذكر فقراء الرعية
ومغموريها، فقال: وأهل البؤس: وهي البؤس كالنعى للنعيم.
والزمنى: أولو الزمانة.

والقانع: السائل. والمعتز: الذي يعرض لك ولا يسألك،
وهما من ألفاظ الكتاب العزيز وأمره أن يعطيهم من بيت مال
المسلمين لأنهم من الأصناف المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا
غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُمُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ﴾، وأن يعطيهم من غلات صوافي الإسلام - وهي الأرضون
التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب - وكانت صافية
لرسول الله ﷺ، فلما قبض صارت لفقراء المسلمين، ولما يراه
الإمام من مصالح الإسلام.

ثم قال له: «فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى» أي كل فقراء المسلمين سواء في سهامهم، ليس فيها أقصى وأدنى، أي لا تؤثر من هو قريب إليك أو إلى أحد من خاصتك على من هو بعيد ليس له سبب إليك، ولا علاقة بينه وبينك. ويمكن أن يريد به: لا تصرف غلات ما كان من الصوافي في بعض البلاد إلى مساكين ذلك البلد خاصة، فإن حق البعيد عن ذلك البلد فيها كمثل حق المقيم في ذلك البلد.

والتافه: الحقير. وأشخصت زيداً من موضع كذا. أخرجته عنه. وفلان يصعر خده للناس: أي يتكبر عليهم.

وتقنحه العيون: تزدريه وتحقره. والإعذار إلى الله: الاجتهاد والمبالغة في تأدية حقه، والقيام بفرائضه.

علاقتك المباشرة بذوي الحاجات

«واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متنتع. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي، غير متنتع» ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونح عنهم الضيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته. واعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار. ثم أمور من أمورك لا بد لك

من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك. وامنض لكل يوم عمله، فإن لك يوم ما فيه.

الشرح:

هذا الفصل من تتمة ما قبله، وقد روي: «حتى يكلمك مكلمهم» فاعل من «كلم»، والرواية الأولى أحسن.

وغير متمتع: غير مزعج ولا مقلق.

والمتمتع في الخبر النبوي المتردد المضطرب في كلامه عياً من خوف لحقه، وهو راجع إلى المعنى الأول.

والخرق: الجهل. وروي: «ثم احتمل الخرق منهم والغني، وهو الجهل أيضاً، والرواية الأولى أحسن.

ثم بين له ﷺ أنه لا بد له من هذا المجلس لأمر آخر غير ما قدمه ﷺ، وذلك لأنه لا بد من أن يكون في حاجات الناس ما يضيق به صدور أعوانه، والنواب عنه، فيتعين عليه أن يباشرها بنفسه، ولا بد من أن يكون في كتب عماله الواردة عليه ما يعيا كتابه عن جوابه، فيجيب عنه بعلمه. ويدخل في ذلك أن يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة ومصلحة الولاية أن يطلع الكتاب عليه، فيجيب أيضاً عن ذلك بعلمه.

ثم قال له: لا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فيتعبك ويكدرك، فإن لكل يوم ما فيه من العمل.

الاهتمام بفرائض الله

«واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت، واجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ.

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة، وله الحاجة. وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

الشرح:

لما فرغ ﷺ من وصيته بأمور رعيته، شرع في وصيته بأداء الفرائض التي افترضها الله عليه من عباداته، ولقد أحسن ﷺ في قوله: «وإن كانت كلها لله»، أي أن النظر في أمور الرعية مع صحة النية وسلامة الناس من الظلم من جملة العبادات والفرائض أيضاً.

ثم قال له: «كاملاً غير مثلوم» أي لا يحملنك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصاراً، بل صلها بفرائضها وسننها وشعائرها في نهارك وليلك، وإن أتعبك ذلك ونال من بدنك وقوتك.

ثم أمره إذا صلى بالناس جماعة ألا يطيل فينفرهم عنها، وألا يخدج الصلاة وينقصها فيضيعها.

ثم روى خبراً عن النبي ﷺ، وهو قوله ﷺ له: «صل بهم كصلاة أضعفهم» وقوله «وكن بالمؤمنين رحيماً» يحتمل أن يكون من تمة الخبر النبوي، ويحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين ﷺ، والظاهر أنه من كلام أمير المؤمنين من الوصية للأشتر، لأن اللفظة الأولى عند أرباب الحديث هي المشهور في الخبر.

الاتصال بالرعية بأمر الوالي

«وأما بعد هذا، فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور. والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجاجوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات لا تعرف بها ضروب الصدق من الكذب. وإنما أنت أحد رجلين: أما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه! أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك، إذا أيسوا من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة».

الشرح:

نهاه عن الاحتجاج فإنه مظنة انطواء الأمور عنه، وإذا رفع

الحجاب دخل عليه كل أحد فعرف الأخبار، ولم يخف عنه شيء من أحوال عمله.

ثم قال له: لم تحتجب، فإن أكثر الناس يحتجبون كيلا يطلب منهم الرد، وأنت فإن كنت جواداً سمحاً لم يكن لك إلى الحجاب داع، ولإن كنت ممسكاً فسيعلم الناس ذلك منك، فلا يسألك أحد شيئاً.

ثم قال: على أن أكثر ما يسأل منك لا مؤونة عليك في مالك، كرد ظلامة أو إنصاف من خصم.

اختر بطانتك والزمها الحق

«ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استنثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مؤونة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة، وإن ظننت الرعية بك حيفاً، فاصحر لهم بعذرک، واعدل عنک ظنونهم بإصهارک، فإن في ذلك

رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق".

الشرح:

نهاه عليه السلام عن أن يحمل أقاربه وحاشيته وخواصه على رقاب الناس، وأن يمكنهم من الاستئثار عليهم والتطاول والإذلال، ونهاه عن أن يقطع أحداً منهم قطعة، أو يملكه ضيعة تضر بمن جاورها من السادة والدهاقين في شرب يتغلبون على الماء منه، أو ضياع يضيقونها إلى ما ملكهم إياه، وإعفاء لهم من مؤونة أو حفر وغيره، فيعفيهم الولاة منه مراقبة لهم، فتكن مؤونة ذلك واجب عليهم قد أسقطت عنهم، وحمل ثقلها على غيرهم.

ثم قال عليه السلام: لأن منفعة ذلك في الدنيا تكون لهم دونك والوزر في الآخرة عليك، والعيب والذم في الدنيا أيضاً لاحقان بك.

ثم قال له: إن اتهمتكَ الرعية بحيف عليهم، أو ظنت بك جوراً، فاذكر لهم عذرك في ذلك، وما عندك ظاهراً غير مستور، فإنه الأولى، والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق.

وأصحرت بكذا: أي كشفته، مأخوذ من الإصحار، وهو الخروج إلى الصحراء.

وحامة الرجل: أقاربه وبطانته. واعتقدت عقدة: أي ادخرت ذخيرة. والمهناً: مصدر هنأه كذا. ومغبة الشيء: عاقبته. واعدل عنك ظنونهم: نحها. والإعذار: إقامة العذر.

اعتمد على الصلح والإصلاح

«ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك لله فيه رضاً، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه. فإن العدو ربما قارب ليتغفل. فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن.

وإن عقدت بينك وبين عدوّ عقدة، أو البسته منك ذمّة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة.

واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفريق أهوائهم، وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون في ما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر. فلا تغدروا بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه.

ولا تعقده عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجة وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله طلبه لا تستقل فيها دنياك ولا آخرتك».

الشرح :

أمره أن يقبل السلم والصلح إذا دعي إليه، لما فيه من دعة الجنود، والراحة من الهم، والأمن للبلاد، ولكن ينبغي أن يحذر بعد الصلح من غائلة العدو وكيده، فإنه ربما قارب بالصلح ليتغفل، أي يطلب غفلتك، فخذ بالحزم، واتهم حسن ظنك، لا تثق ولا تسكن إلى حسن ظنك بالعدو، وكن كالطائر الحذر.

ثم أمره بالوفاء بالعهود قال: واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، أي ولو ذهبت نفسك فلا تغدر.

واستويلوا: وجدوه وبيلاً، أي ثقيلاً. استوبلت البلد أي استوحمته واستثقلته، ولم يرافق مزاجك.

ولا تخيسن بعهدك: أي لا تغدرن. خاس فلان بذمته أي غدر ونكت.

قوله: «ولا تختلن عدوك» أي لا تمكرن به. ختلته أي خدعته.

وقوله: «أفضاء بين عباده»، جعله مشتركاً بينهم، لا يختص به فريق دون فريق.

قال: «ويستفيضون إلى جواره» أي يتشرون في طلب حاجاتهم ومآربهم، ساكنين إلى جواره، فالى ههنا متعلقة بمحذوف مقدر، كقوله تعالى: ﴿فِي شَجَائِنَ إِلَىٰ رِعُونَ﴾ أي مرسلأ. قال «فلا ادغال» أي لا إفساد، والدغل: الفساد. ولا مدالسة، أي لا خديعة، يقال: فلان

لا يوالس ولا يدالس، أي لا يخادع ولا يخون، وأصل الدلس الظلمة، والتدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري.

هم نهاء عن أن يعقد عقداً يمكن فيه التأويلات والعلل وطلب المخارج. ونهاه إذا عقد العقد بينه وبين العدو أن ينفضه معولاً على تأويل خفي أو فحوى قول، أو يقول: إنما عنيت كذا، ولم أعن ظاهر اللفظة، فإن العقود إنما تعقد على ما هو ظاهر في الاستعمال متداول في الاصطلاح والعرف لا على ما في الباطن.

وروي «انفساحه» بالحاء المهملة، أي سخته.

إحذر سفك الدماء وغضب الرب

«إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء ادعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أخرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله.

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطأ، وافرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم».

الشرح:

وصية أمير المؤمنين عليه السلام مبنية على الشريعة الإسلامية،

والنهي عن القتل والعدوان الذي لا يسيغه الدين، وقد ورد في الخبر المرفوع: «إن أول ما يقضي الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء». قال: إنه ليس شيء ادعى إلى حلول النقم، وزوال النعم، وانتقال الدول، من سفك الدم الحرام، وإنك إن ظننت أنك تقوي سلطانك بذلك، فليس الأمر كما ظننت، بل تضعفه، بل تعدمه بالكلية.

ثم عرفه أن قتل العمد يوجب القود، وقال له: «قود البدن» أي يجب عليك هدم صورتك كما هدمت صورة المقتول، والمراد إرهابه بهذه اللفظة فإنها أبلغ من أن يقول له: «فإن فيه القود».

ثم قال له: إن قتلت خطأ أو شبه عمد كالضرب بالسوط فعليك الدية.

كن القدوة الصالحة

«وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإياك والمن على رعبتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تدعهم فتتبع موعذك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها، أو التساقط فيها عند

إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر، وأوقع كل عمل موقعه. وإياك الاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعني به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم.

إملك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك، فتملك الاختيار.

ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر الميعاد إلى ربك. والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك، من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا ﷺ أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك، لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

الشرح:

قد اشتمل هذا الفصل على وصايا نحن شارحوها، منها قوله ﷺ: «إياك وما يعجبك من نفسك، والثقة بما يعجبك منها»، قد ورد في الخبر: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»، وفي الخبر أيضاً: «لا وحشة أشد من العجب»، وفي الخبر: «الناس لآدم، وآدم من تراب، فما لابن آدم

والفخر والعجب!» وفي الخبر: «الجار ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة»، وفي الخبر - وقد رأى أبا دجانة يتبختر: «إنها لمشية يبغضها الله إلا بين الصفين».

ومنها قوله: «وحب الإطراء». ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم، فجعل يصدقه ويطريه ويستحسن قوله، وقال المأمون: يا محمد، أراك تنقاد إلى ما تظن أنه يسرني قبل وجود الحجة لي عليك، وتطريني بما لست أحب أن أطرى به، وتستخذي لي في المقام الذي ينبغي أن تكون فيه مقاوماً لي، ومحتجاً علي، ولو شئت أن أقسر الأمور بفضل بيان، وطول لسان، واغتصب الحجة بقوة الخلافة، وأبهة الرئاسة لصدقت وإن كنت كاذباً، وعدلت وإن كنت جائراً، وصوبت إن كنت مخطئاً، لكنني لا أرضى إلا بغلبة الحجة، ودفع الشبهة، وأن أنقص الملوك عقلاً وأسخفهم رأياً من رضي بقولهم: صدق الأمير.

وأثنى رجل على رجل فقال: الحمد لله الذي سترني عنك، وكان بعض الصالحين يقول إذا أطراه إنسان: ليسألك الله عن حسن ظنك.

ومنها قوله: «وإياك والمن»، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾. وكان يقال: المن محبة للنفس، مفسدة للصنع.

ومنها نهيه إياه عن التزيد في فعله، قال عليه السلام: إنه يذهب بنور

الحق، وذلك لأنه محض الكذب، مثل أن يسدي ثلاثة أجزاء من الجميل، فيدعي في المجالس والمحافل أنه أسدى عشرة، وإذا خالط الحق الكذب أذهب نوره.

ومنها نهيه إياه عن خلف الوعد، قد مدح الله نبياً من الأنبياء وهو اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بصدق الوعد، وكان يقال: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعطيل.

وكتب بعض الكتاب: وحق لمن أزهق بقول، أن يثمر بفعل. وقال أبو مقاتل الضرير: قلت لأعرابي: قد أكثر الناس في المواعيد، فما قولك فيها؟ فقال: بشس الشيء! الوعد مشغلة للقلب الفارغ، متعبة للبدن الخافض، خيره غائب، وشره حاضر.

وفي الحديث المرفوع: «عدة المؤمن كأخذ باليد»، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إنه يوجب المقت»، واستشهد عليه بالآية. والمقت: البغض.

ومنها نهيه عن العجلة، وكان يقال أصاب متثبت أو كاد، وأخطأ عجل أو كاد. وفي المثل: رب عجلة تهب ريثاً، وذمها الله تعالى فقال: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

ومنها نهيه عن التساقط في الشيء الممكن عند حضوره، وهذا عبارة عن النهي عن الحرص والجشع.

ومنها نهيه عن اللجاجة في الحاجة إذا عذرت. كان يقال: من لاج الله فقد جعله خصماً، ومن كان الله خصمه فهو مخصوم.

ومنها نهيه عن الوهن فيها إذا استوضحت أي وضحت وانكشفت، ويروى: «واستوضحت» فعل ما لم يسم فاعله، والوهن فيها إهمالها وترك انتهاز الفرصة فيها.

ومنها نهيه عن الاستنثار، وهذا هو الخلق النبوي، غنم رسول الله ﷺ غنائم خيبر، وكانت ملء الأرض نعماً، فلما ركب راحلته وسار تبعه الناس يطلبون الغنائم وقسمها، وهو ساكت لا يكلمهم، وقد أكثروا عليه إلحاحاً وسؤالاً، فمرّ بشجرة فخطفت رداً، فالتفت فقال: ردّوا عليّ رداي، فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنماً لقسمته بينكم عن آخره ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً، ونزل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله، لم يأخذ لنفسه منه وبرة.

ومنها نهيه عن التغابي، وصورة ذلك أن الأمير يوصي إليه أن فلاناً من خاصته يفعل كذا ويفعل كذا من الأمور المنكرة ويرتكبها سرّاً، فيتغابي عنه ويتغافل، نهاه ﷺ عن ذلك وقال: إنك مأخوذ منك لغيرك، أي معاقب، تقول: اللهم خذ لي من فلان بحقي، أي اللهم انتقم لي منه.

ومنها نهيه عن الغضب، وعن الحكم بما تقتضيه قوته الغضبية حتى يسكن غضبه، قد جاء في الخبر المرفوع: «لا يقضي القاضي وهو غضبان» فإذا كان قد نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان على غير صاحب الخصومة، فبالأولى أن ينهى الأمير عن أن يسطو على إنسان وهو غضبان عليه.

وكان لكسرى أنوشروان صاحب قد رتبه ونصبه لهذا المعنى
يقف على رأس الملك يوم جلوسه، فإذا غضب على إنسان وأمر به
قرع سلسلة تاجه بقضيب في يده وقال له: إنما أنت بشر، فارحم من
في الأرض يرحمك من في السماء.

وأنا أسأل الله سعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة،
أن يوقفني وإياك لما فيه رضاه، من الإقامة على العذر الواضح إليه
وإلى خلقه، من حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد،
وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة
والشهادة، إنا إلى الله راغبون، والسلام على رسول الله ﷺ وعلى
آله الطيبين الطاهرين.

الإمام علي عليه السلام ينعى نفسه والحسين عليه السلام

علي عليه السلام يخبر عن قتل الحسين عليه السلام

روي عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام قال مر علي عليه السلام بكربلاء فقال لما مر به أصحابه وقد اغرورقت عيناه يبكي ويقول هذا مناخ ركابهم، وهذ ملقى رحالهم، ههنا مراق دمائهم، طوبى لك من تربة عليها تراق دماء الأحبة. كأني بالقصور قد شيدت حول قبر الحسين، وكأني بالمحامل تخرج من الكوفة إلى قبر الحسين، ولا تذهب الليالي والأيام حتى يسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان.

علي عليه السلام يخبر عن قتله

من معجزاته صلوات الله عليه ما توترت به الروايات من نعيه نفسه قبل موته. وإنه يخرج من الدنيا شهيداً من قوله: والله ليخضبنها من فوقها - فأوماً إلى شيبته - ما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم.

وقوله عليه السلام أتاكم شهر رمضان وفيه تدور رحى السلطان ألا وإنكم حاجوا العام صفأ واحداً، وآية ذلك أني لست فيكم. وكان

يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله زوج زينب ابنته لأجلها لا يزيد على ثلاثة لقم، فقبل له في ذلك، فقال يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب من الليل. وقد توجه إلى المسجد في الليلة التي ضربه الشقي في آخرها فصاح الأوز في وجهه وطردهن الناس فقال دعوهن فإنهن نوائح.

كيف عرف قبره بعد مائة وثلاثين سنة (١٣٠)

عن عبد الله بن حازم قال: خرجنا مع هارون الرشيد نتصيد في ناحية الغريين والثوية فرأينا طباء فأرسلنا الكلاب والصقور فلجأت الطباء إلى أكمة ورجعت الكلاب ثم إن الطباء والصقور هبطت منها وصنعت الكلاب مثل الأول فسأل شيخاً من بني أسد فقال: إن فيها قبر علي بن أبي طالب جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلا أمن. فنزل هارون الرشيد ودعا بماء وتوضأ وصلى عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا إلى الكوفة.

نقل الجماعة فضائله ومناقبه

ومن ذلك تسخير الجماعة اضطراراً لنقل فضائله مع ما فيها من الحجة عليهم حتى إن أنكره واحد رد عليه صاحبه وقال: هذا في التواريخ والصحاح والسنن والجوامع والسير والتفاسير مما أجمعوا على صحته، فإن لم يكن في أحد يكن في آخر. ومن جملة ذلك ما أجمعوا عليه أو روى مناقبه خلق كثير منهم حتى صار علماً ضرورياً،

كما صنف ابن جرير الطبري كتاب الغدير، وابن شاهين كتاب المناقب وكتاب فضائل فاطمة عليها السلام، والجاحظ كتاب العلوي وكتاب فضل بني هاشم على بني أمية، وأبو نعيم الأصفهاني منقبة المطهرين في فضائل أمير المؤمنين، وما نزل في القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام، وأبو المحاسن الرؤياني الجعفریات، والموفق المكي كتاب قضايا أمير المؤمنين وكتاب رد الشمس لأمر المؤمنين، وأبو بكر محمد بن مؤمن الشيرازي كتاب نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين، وأبو صالح عبد الملك المؤذن كتاب الأربعين في فضائل الزهراء عليها السلام، وأحمد بن حنبل مسند أهل البيت، وفضائل الصحابة وأبو عبد الله محمد بن أحمد النطنزي الخصائص العلوية على سائر البرية، وابن المغازلي كتاب المناقب، وأبو القاسم البستي كتاب المراتب، وأبو عبد الله البصري كتاب الدرجات، والخطيب أبو تراب كتاب الحقائق، مع الكتمان والميل. وذلك خرق العادة شهد بفضائله معادوه وأقر بمناقبه جاحدوه.

شاعر

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

آخر

يروى مناقبهم لنا أعداؤهم لا فضل إلا ما رواه حسود
ومن جملة ذلك كثرة مناقبه مع ما كانوا يدفنونها ويتوعدون
على روايتها. روى مسلم البخاري وابن بطة والنطنزي عن عائشة في

حديثها بمرض النبي ﷺ فقالت في جملة ذلك فخرج النبي بين رجلين من أهل بيته، أحدهما الفضل ورجل آخر يخط قدماء عاصباً رأسه - تعني علياً عليه السلام .

وقال معاوية لابن عباس إنا كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي فكف لسانك، قال: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم، قال: أفنقرأه ولا نسأل! قال: سل عن غير أهل بيتك، قال: إنه منزل علينا أفنسأل غيرنا أفتنهانا أن نعبد الله فإذا تهلك الأمة، قال: اقرأوا ولا ترووا ما أنزل فيكم ﴿يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] ثم نادى معاوية: إن برئت الذمة ممن روى حديثاً من مناقب علي. حتى قال: قال عبد الله بن شداد الليثي: وددت أني أترك أن أحدث بفضائل علي بن أبي طالب يوماً إلى الليل وأن عنقي ضربت. فكان المحدث يحدث بحديث في الفقه أو يأتي بحديث المبارزة فيقول: قال رجل من قريش، وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ. وكان الحسن البصري يقول: قال أبو زينب وسئل ابن جبير عن حامل اللواء فقال كأنك رخي البال، وقال الشعبي: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبون علياً على منابرهم فكأنما يشال بضبعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم يكشفون عن جيفه، ورأى أعرابية في مسجد الكوفة تقول: يا مشهوراً في الآخرة جهدت الجابرة والملوك على إطفاء نورك وإخماد ذكرك، فأبى الله لذكرك إلا علواً، ولنورك إلا ضياءً ونماء ولو كره المشركون. قيل: لمن تصفين؟ قالت: ذاك أمير المؤمنين، فالتفت فلم ير أحداً.

سهرة مع علي عليه السلام

عزيزي القاريء: أحببت أن أنقل إليك قضاء ليلة مع بعض الإخوان فيهم المسلم، والمؤمن، والضال، وكل محب لعلي عليه السلام ولكن بنسب متفاوتة سأختصر المفيد منه:

طلب أحدهم مني أن لا أفتح كتاب - نهج البلاغة - ولا أتكلم بما أحفظه من كلام علي عليه السلام قائلاً: يا حاج محمد أنا معك فكلام علي عليه السلام فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق لذلك نرجو أن يكون النقاش على قدر عقولنا وبلغة سهل علينا فهمها بادرني بالسؤال التالي: لماذا تفضل عليا على الأنبياء ما عدا محمد ﷺ.

جواب: أنت تقر بأفضلية محمد ﷺ على الرسل أجاب: نعم؛ فقلت: علي نفس محمد بالقرآن وذلك في آية المباهلة في سورة آل عمران - ٦١ - قال - سبحانه وتعالى - ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِي يَوْمٍ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْمَوْلَى فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فكان علي عليه السلام نفس محمد ﷺ باعتراف كل المذاهب ثانياً: يوم المؤاخاة بين المهاجرين كان علي أخا محمد ﷺ ثم بين المهاجرين والأنصار جعل رسول الله ﷺ كل مهاجر يتأخى مع أنصاري وترك علي لنفسه ليتأخى معه باعتراف كل مسلم ثم هناك خصوصية لعلي ليست لأحد من كل البشر وهي ولادته في الكعبة المشرفة وبمعجزة! انشق الحائط ودخلت فاطمة بنت أسد لتولده في بيت الله الحرام أي في الكعبة المشرفة فلو قارنا ولادة عيسى عليه السلام بولادة علي لرجحت ولادة علي

تشریفاً وتعظيماً لأن مريم ؑ عندما جاءها المخاض خرجت من بيت الله لتولده أما تحت نخلة حسب القرآن الكريم أو في المغارة حسب قول النصارى .

سؤال من آخر: إن الله سخر لسليمان عالم الإنس والجن والطير وكل المخلوقات كما أنزل على عيسى مائدة من السماء وأحيا على يديه الميت، وشفى الأبرص، والأكمه وغيرها كثير عدا عن فلق البحر لموسى ؑ ونار إبراهيم ؑ التي صارت برداً وسلاماً وما قرأنا أن حصل هذا مع محمد ﷺ ولا مع علي ؑ؟

جواب: حتى لا نضيع ونبعد عن الموضوع موافق معي أن علياً نفس محمد؟

أجاب: حسب قولك في الآية التي ذكرت وبالمؤاخاة موافق محمد ﷺ صاحب الرسالة التي هي القرآن الكريم فقلت: علي أيضاً يعلم القرآن الكريم وذلك بقوله - سبحانه وتعالى - في سورة الرحمن ﴿الرَّحْمَنُ ۝۱ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝۲ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝۳ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝۴﴾ وفي الآية - ٤٣ - من سورة الرعد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فعلم القرآن في الآية الثانية من سورة الرحمن كانت لمحمد ﷺ ولعلي ؑ وذلك قبل خلق الإنسان وفي عالم الذر وذلك بقول علي ؑ وأنا من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء كنا أشباحاً عالية لا أجساماً متنامية ندور حول العرش قبل خلق آدم وقبل خلق الطينة التي خلق منها آدم ثم في الآية الثانية ليؤكد سبحانه وتعالى على أن علياً عنده علم الكتاب

والمقصود بالكتاب القرآن الكريم لأنه رسالة محمد ﷺ فالشهداء على أن محمد ﷺ مرسل من الله، هم الله سبحانه وتعالى وعلي عليه السلام لأنه كان معه يوم قالت قريش لمحمد ﷺ لست مرسلًا ولكنك ساحر وشاعر وكذاب إلخ

وهذه الصفات القريشية اللئيمة ظلت تقولها قريش حتى يومنا هذا بحق علي عليه السلام ويحضرني قول علي عليه السلام : لو أخذت منكم مائة رجل عقولهم كالعسل المصفى وأخذت العشرة الأوائل ومن العشرة الأول وأخبرته وأريته من ما في صدري من علم لقال علي أكذب البشر ومن أجل ذلك قال له رسول الله ﷺ يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وأنا لو قلت فيك ما أعرفه عنك لأخذت الناس التراب من تحت قدميك للبركة .

فيا عزيزي: من غير العدل واستغفر الله أن يفضل محمداً ﷺ على باقي الأنبياء ولا يكون محمد ﷺ قادراً على كل المعجزات التي جاءت بها الأنبياء وقد فعلها كلها وحتى علي عليه السلام فعل مثلها ولكنك لا تقرأ الكتب التي هي موجودة والشهود عليها أنصحك بقراءة - بحار الأنوار - للسيد المجلسي حتى تعزز معلوماتك وغداً سأخفف عليك إن شاء الله مراجعة الكثير من الكتب لأنني سأضعها في كتاب اسمه علي وضيوف السماوات والأرض .

سؤال: إذا كان علي عليه السلام يملك كل هذه القدرات لماذا سكت

عن خصومه فإذا قلت من أجل الإسلام هذا في أيام أبي بكر وعمر
وعثمان، أما في أيام خلافته لماذا سكت عن معاوية وبني أمية؟

جواب: أولاً لإثبات الحجة عليهم وتأكيدها لقوله سبحانه
وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
ولو أراد سبحانه وتعالى (أن يعمل بما يعلم لما بعث الأنبياء والرسل
والأئمة).

وحسبي الله ورسوله وأوليائه ﷺ وآخر دعوانا الحمد لله رب
العالمين .

أخبار حاضرنا الذي نعيشه

روى الصحابة والتابعون على اختلاف مذاهبهم أحاديث عديدة حذر فيها النبي ﷺ من الفتن من بعده، وكان حذيفة بن اليمان ؓ معروفاً بين الصحابة بأنه خيرٌ بأحاديث الفتن، لأنه كان يهتم بسؤال النبي ﷺ عنها ويحفظ ما يقوله. ولذا نجد كثيراً من أحاديث الفتن في المصادر مسنداً إلى حذيفة عن النبي ﷺ أو عن أمير المؤمنين ؓ حيث كان حذيفة من خاصة أصحابه أيضاً. وكان يقول رحمه الله كما روي عنه «ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسانٍ إلا لو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة. كل ذلك مما علمنيه رسول الله ﷺ».

ويقول «لو حدثتكم بكل ما أعلم ما رقبتم بي الليل»، أي لقتلتموني فوراً وما انتظرتُم بي إلى الليل.

وقد بلغ من اهتمام المسلمين بأخبار الفتن أنها غلبت عند بعضهم أحياناً على أخبار المهدي ؑ وظهوره، فعقد لها أصحاب الموسوعات الحديثة أبواباً وفصولاً بعنوان «الفتن» أو «الملاحم والفتن» ومعنى الملاحم المعارك أو الأحداث المهمة التي أخبر

النبي ﷺ بوقوعها كما أُلْفَ عدد من الرواة والعلماء مؤلفات خاصة باسم الفتن، والملاحم، وما شابه، جمعوا فيها الأحاديث الواردة فيها.

وتتفاوت الأحاديث الشريفة في تعداد الفتن التي ذكرها النبي ﷺ وحذر الأمة منها، فيذكر عدد منها أنها خمس فتن، ويذكر بعضها أنها أربع أو ست أو سبع وأكثر ولعل السبب في اختلاف الرواة أو الروايات في عددها أن النبي ﷺ كان في بعض المقامات يعدد الفتن الداخلية ويصفها، وفي بعضها يعدد الفتن الخارجية ويصفها . . . أو كان يذكر الفتن بحسب أنواعها وتأثيرها على المسلمين.

والذي يهمنا هنا ليس البحث في تعدادها وبدايتها وتطبيقها على تاريخ المسلمين، بل معرفة الفتنة الأخيرة منها، التي يتفق الجميع على أنها تنجلي بظهور المهدي ﷺ .

وفي رواية «إذا ثارت فتنة فلسطين تردد في الشام تردد الماء في القرية، ثم تنجلي حين تنجلي وأنتم قليل نادمون». وفي رواية «تُطيف بالشام، وتغشى العراق، وتمرك الجزيرة»، وفي رواية أخرى «ثم تكون فتنة كلما قبل انقطعت تمادت، حتى لا يبقى بيت إلا دخلته، ولا مسلم إلا صكته، حتى يخرج رجل من أهل بيتي».

نلاحظ في هذا الحديث الشريف والأحاديث الكثيرة المشابهة له عدة صفات لهذه الفتنة، التي هي الرابعة بحسب هذه الرواية والأخيرة بحسب كل الروايات:

أولاً: إن أخبارها بلغت حد التواتر الإجمالي في مصادر الشيعة أو السنة، بمعنى أنه قد رواها رواة عديدون بالمعنى وإن اختلفت ألفاظ رواياتهم، بحيث يحصل العلم للمتأمل أن مضمون هذه الأخبار قد صدر عن النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام.

ثانياً: إنها فتنة عامة شاملة لكل أوضاع المسلمين الأمنية والثقافية والاقتصادية، حيث تستحل فيها المحارم كلها كما في حديث آخر أيضاً، وحيث إنها «صماء عمياء» أي لا تسمع حتى تندفع بالكلام، ولا ترى فتميز بين أحد وآخر، بل تشمل الجميع وتطبق عليه، وتدخل كل بيت وتصك بضربتها شخصية كل مسلم، وتموج بمجتمع المسلمين موجاً شديداً كمور السفينة في البحر المضطرب، ولا يجد أحد ملجأ من خطرها على دينه ودين أسرته، ولا ملجأ من ظلم حكام الجور ومن معهم من الغربيين والشرقيين الذين يأتون ويتولون أمور الأمة كما ورد في حديث سيأتي ذكره «عندها يجيء قوم من الشرق وقوم من الغرب يلون أمتي».

ثالثاً: إن شرها وبداية موجها يرتكز على بلاد الشام «تطير بالشام» أي تبدأ من بلاد الشام ولذا سماها أعداؤنا منطقة (الإشعاع الحضاري) فكيف إذا أضفنا إلى ذلك زرع إسرائيل في بلاد الشام، وفي رواية «تطير بالشام» أي تحيط ببلاد الشام، ثم تمتد إلى بقية بلاد العرب والمسلمين... بل أطلقت إحدى الروايات الشريفة عليها اسم «فتنة فلسطين» وأن موجها يتركز على أهل بلاد الشام أكثر من غيرهم.

رابعاً: إن هذه الفتنة تتماهى زمنياً طويلاً ولا ينفع معها أنصاف الحلول، لأنها فتنة حضارية أعمق من حلول الترقيع والصلح، ولأن موج المقاومة في الأمة وموج عداوة العدو يفتق الحلول من ناحية أخرى «لا ترفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى» وفي رواية «لا ترتقونها من جانب إلا انفتقت أو جاشت من جانب آخر» والمعنى واحد، لأن حلها يكون فقط بحركة التمهيد للمهدي في الأمة، ثم بظهوره المبارك أرواحنا فداء.. وقد صرّحت العديد من رواياتها بأنها متصلة بظهور المهدي عليه السلام وأنها آخر الفتن، وبعض رواياتها وإن وردت مطلقة لم يصرح فيها بأنها الفتنة التي قبل ظهور المهدي، ولكنها ذكرت أنها الفتنة الأخيرة، ووصفتها بنفس الصفات فتكون هي المقصودة لا محالة حملاً للمطلق على المقيد.

إن هذه الصفات الأساسية في هذه الفتنة، وصفات أخرى وردت في أحاديث أخرى سنذكر بعضها، لا يمكن تطبيقها على أي فتنة داخلية أو خارجية تعرضت لها الأمة الإسلامية من صدر الإسلام إلى عصرنا هذا، سوى الفتنة الغربية... فهي لا تنطبق على الفتن الداخلية في صدر الإسلام وبعده، ولا على فتنة الغزو المغولي، ولا على فتنة الغزو الصليبي في مراحل حملاته التاريخية التي بدأت قبل نحو تسعمائة سنة، وكانت في مد وجزر متباعين... وإنما تنطبق فقط على مرحلته الأخيرة حيث تمكن الغربيون من غزو الأمة غزواً كاملاً، ودخلت جيوشهم كل بلادها وأسقطوا صريعة في فنتتهم، وزرعوا في قلبها قاعدة حلفائهم اليهود.

وعن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده ليلتين أمتي قوم، إذا تكلموا قتلوه وإن سكتوا استباحوهم. ليستأثرن بفيثهم، وليطأن حرماهم، وليسفكن دماءهم، وليملأن قلوبهم دغلاً ورعباً، فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين. . . عندها يجيء قوم من المشرق وقوم من المغرب يلون أمتي، فالويل لضعفاء أمتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، ولا يتجافون من شيء. . . جثثهم جثث الأدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين».

وهذا الحديث الشريف يكشف عن الترابط بين الظلم الداخلي والاستعمار الخارجي، ويجعل السبب في سيطرة الكفار الشرقيين والغربيين على الأمة جور حكامها وظلمهم لشعوبهم المسلمة، وإرهابهم وخنقهم لحرياتهم. . . لأن ذلك يجعل الناس ناقلين على حكامهم مشغولين بمصيبتهم بهم عن دفع العدو الخارجي، فيستغل العدو ذلك ويغزو بلادهم بحجة إنقاذهم من ظلم الحكام، كما فعل نابليون في غزوه لمصر، فقد وجه رسالة إلى المصريين عندما اقتربت سفنه من الساحل المصري، يمدح فيها الإسلام ويظهر حبه له وأنه إنما جاء لينقذ المصريين من ظلم المماليك! ثم واصل هذه السياسة الماكرة بعد احتلاله مصر، حتى أنه لبس الزي المصري وأعلن إسلامه، واحتفل بعيد المولد النبوي!

ثم استعملت بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا أساليب مشابهة، مدعية أنها جاءت لتحرير شعوب المسلمين، وما زالت تستعملها، من أجل استمرار سيطرتها على بلاد المسلمين وتدخلها في شؤونهم.

ومن الملاحظ أن هذه الصفات الست التي ذكرها الحديث الشريف تنطبق بدقة على جيل الحكام الذين مهدوا لسيطرة الغربيين والشرقيين، كما تنطبق على حكام اليوم الذين يمهدون لاستمرار هذه السيطرة.

والصفات هي:

١ - خنق حرية التعبير عن الرأي والقتل على الكلمة «إذا تكلموا قتلوهم».

٢ - «وإن سكنوا استباحوهم» لأن سياستهم قائمة على استباحة المسلمين حتى لو سكتوا عنهم.

٣ - «ليستأثرون بفينهم» والاستئثار بثروات البلاد من أصول سياسة حكامنا، حتى كأنها ملك موروث لهم ولأسرهم، وللمنافقين المقربين منهم.

٤ - «وليطأن حرمتهم» وهو يشمل اعتداءهم على حرمة الدماء والكرامات والحريات وحرمة الأموال والأعراض.

٥ - «وليسفكن دماءهم» ويشمل ذلك دماء الذين يتكلمون ضدهم ويقولون ربنا الله، وغيرهم.

٦ - «ويملأن قلوبهم دغلاً ورعباً» لعل معنى الدغل هنا الحقد على الحاكم الجائر، أو أن الظلم والجور يربّي المسلمين على دغل نفوسهم على بعضهم.

أما هؤلاء الشرقيون والغربيون الذين قال عنهم ﷺ «عندما

يجيء قوم من المشرق وقوم من المغرب يلون أمتي» فلا ينطبق أمرهم إلا على الروس والغربيين الذين استغلوا ظلم الحكام وغزوا بلاد المسلمين وتولوا أمورهم، وما زالوا.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان، ولها إمارات... فإذا استشارت عليكم الروم والترك، وجهزت الجيوش..... ويتحالف الترك والروم، وتكثر الحروب في الأرض».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف غيرها، حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد يقول: الله، ثم يبعث الله عز وجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً».

وهذا الحديث الشريف يدل على أن الفتنة الأخيرة تستمر أجيالاً حتى يولد فيها الجيل من أبناء المسلمين لا يعرف فكراً غير فكر الانحراف عن الدين، ولا سياسة غير سياسة الظلم والجور..... وهو تعبير دقيق عن أجواء الثقافة الغربية وسياسة حكومتها المسيطرة على بلادنا، التي ينشأ الطفل المسلم في ظلها وهو لا يعرف شيئاً عن أجواء الإسلام وثقافته وعدله، إلا من هياً الله تعالى له أسباب الهداية والعصمة. ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد يقول، الله» أن قوانين الظلم والجور وسياسات الظالمين الجائرين تشمل كل مرافق الحياة ومناطقها. وهذا ما حدث بعد غزو الغربيين.... فقبل سيطرتهم كانت توجد بعض المناطق والمجالات

في حياة المسلمين لا يشملها الظلم والجور، أما بعد غزوهم وسيطرة فتنتهم وحكام الجور الجدد من قبلهم، فقد عمّت سياسات ظلمهم جميع البلاد والمرافق، وخنفوا أصوات المسلمين حتى لا يقدر أحد يقول: نحن مسلمون ربنا الله تعالى، ونريد تطبيق أحكام الإسلام. أو يقول: إن الله تعالى يأمرنا برفض الظلم والجور والثورة عليه. أو يقول: إن حكم الله تعالى في شأن هذا الحاكم أنه يجب قتله أو عزله، وفي هذا القانون أنه يجب مقاومته وتغييره. وليس معناه كما يتصور بعضهم أنه لا يقدر أحد أن يذكر اسم الله تعالى مطلقاً، فإن الذي يثير الكفار والجبابرة والظالمين وحتى الملحدين، إنما هو ذكر اسمه تعالى عندما يمس بكفرهم وظلمهم وتسلطهم.

وفي رواية «حتى لا يقدر أحد أن يقول لا إله إلا الله» وهي أوضح في أن المقصود أنه لا يقدر أحد أن يعلن توحيد الله تعالى بالحاكمية، ورفض حاكمية الكفار والظالمين الذين لا يحكمون بشريعته عز وجل.

والخليج وكل بلد إسلامي أرادت أميركا بوش فرض برامج تعليمها على السعودية وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين جوانحي علماً جماً، فسلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرعية وتطأ في خطامها بعد موتها وحياتها أو تشب نارٌ بالحطب الجزل من غربي الأرض، رافعة ذيلها تدعو يا ويلها، بدحلة أو مثلها فإذا استدار الفلك، قلتُم مات أو هلك، بأي واد سلك. فيومئذ تأويل هذه الآيات ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ

بِأَمْوَالٍ وَنَيْتٍ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا».... ولذلك آيات
وعلامات.....».

وعن النبي ﷺ قال: «ينزل بأمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من
سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق بهم الأرض الرحبة،
وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً، حتى لا يجد المؤمن ملجأً يلجأ إليه
من الظلم.... حتى يبعث الله عز وجل رجلاً من عترتي يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً. يرضى عنه ساكن السماء
وساكن الأرض. لا تذخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا
السماء من قطرها إلا صبته عليهم مدراراً».

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: «ويح هذه الأمة من
ملوك جبابة كيف يقتلون ويطردون المسلمين إلا من أظهر طاعتهم.
فالمؤمن التقي يصانعه بلسانه ويفر منهم بقلبه. فإذا أراد الله تبارك
وتعالى أن يعبد الإسلام عزيزاً قصم ظهر كل جبار عنيد، وهو القادر
على ما يشاء، وأصلح الأمة بعد فسادها.... يا حذيفة لو لم يبق من
الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي
يظهر الإسلام، والله لا يخلف وعده، وهو على كل شيء قدير».

وعنه ﷺ قال: «يوشك أن تداعي عليكم الأمم، تداعي الأكلة
على قصعتها... وأنتم كثير ولكنكم غناء كغناء السيل. ولينزعن الله
من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، من
حب الدنيا وكره الموت». والملاحم والفتن ص ١٢٩ وهي أحاديث
واضحة بليغة عليها نور النبوة، تصوّر حالة الأمة مع حكامها

الجائرين، ومع عدوها المتسلط، وتبشر بالفرج بظهور المهدي عليه السلام .

وعنه عليه السلام قال: «ويلٌ للغرب من شر قد اقترب . الأجنحة وما الأجنحة، ريحٌ قفا هبوبها، وريحٌ تهيج هبوبها، وريح تراخي هبوبها . . ويلٌ لهم من قتل ذريع، وموت سريع، وجوع فظيع . يصب عليهم البلاء صبا» .

ويحتمل أن يكون المقصود بهذه الأجنحة الطائرات ومجيئها كالريح سريعة وبطيئة تزرع القتل الذريع والموت السريع، أو ريح موج قنابها القوي والضعيف .

ذكرها في معركة المهدي عليه السلام مع السفلياني، ومن معه من العرب المدافعين عن اليهود والروم في معركة فتح القدس، حيث ورد في مخطوطة ابن حماد ١٢٤ «ثم يُسلط الله على الروم ريحاً وطيراً تضرب وجوههم بأجنحتها فتفقأ أعينهم وتتصدع بهم الأرض» وقد تكون أجنحة طيور حقيقية من قبيل طير الأبايل، أو أجنحة وسائل حرب يستعملها المهدي عليه السلام من قبيل الطائرات .

وعنه عليه السلام قال: «يستخدم المشركون المسلمين ويبيعونهم في الأمصار . ولا يتحاشى لذلك بز ولا فاجر . . . ولا يزال ذلك البلاء على أهل ذلك الزمان، حتى إذا يشسوا وقنطوا وأسأوا الظن أن لا يفرج عنهم إذ بعث الله رجلاً من أطايب عترتي وأبرار ذريتي، عدلاً

مباركاً زكياً، لا يغادر مثقال ذرة، يعز الله به الدين والقرآن والإسلام وأهله، ويذل به الشرك وأهله. يكون من الله على حذر، لا يغتر بقرابة، ولا يضع حجراً على حجر، ولا يقرع أحداً في ولايته بسوط إلا في حد. يمحو الله به البدع كلها، ويميت الفتن كلها. يفتح الله به باب كل حق، ويفلق به باب كل باطل. يرد به سبي المسلمين حيث كانوا».

وهو حديث يصور حالة استضعاف المسلمين المؤلمة، وبيعهم وشراءهم وسبيهم في البلاد. وهي حالة لا تقتصر في عصرنا على المسلمين الذي يعملون عند المشركين خدماً وموظفين محتقرين، بل تشمل بيع المشركين لشعوبنا الإسلامية وشراءها وتهجيرها وسبيها.

ثم يذكر الحديث الشريف ظهور المهدي عليه السلام المنقذ أرواحنا فداه، فجأة في حالة اليأس والاستضعاف....

الفتنة العامة، وفتنة بلاد الشام

وقد سماها أمير المؤمنين عليه السلام فتنة اختلاف الأحزاب، المذكورة في القرآن، حيث سئل عن قوله تعالى ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فقال: «انتظروا الفرج من ثلاثٍ فليل يا أمير المؤمنين وما هن؟ فقال: اختلاف أهل الشام فيما بينهم. والرايات السود من خراسان. والفرقة في شهر رمضان. فليل وما الفرقة في شهر رمضان؟ فقال: أو ما سمعتم قول الله عز وجل في القرآن ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظُلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْن﴾ آية تخرج

الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان»، وقد تحققت اثنتان من علامات الفرج حيث بدأ اختلاف أهل الشام فيما بينهم، وظهرت الرايات السود من خراسان. ولكن لم يحدد أمير المؤمنين عليه السلام المدة من بداية اختلاف أهل الشام وظهور الرايات السود إلى صحيحة شهر رمضان، فقد تكون سنين طويلة. وقد ورد أن الفرزة أو الصيحة أو النداء السماوي يكون في سنة الظهور، حيث يكون الظهور بعده في شهر محرم.

وعن النبي ﷺ قال: «تكون قبل المهدي فتنة تحصر الناس حصراً، فلا تسبوا أهل الشام، بل ظلمتهم فإن الأبدال منهم. وسيرسل الله سيباً من السماء فيفرقهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم. ثم يبعث الله المهدي في اثني عشر ألفاً إن قلّوا، وخمسة عشر ألفاً إن كثروا، وعلامتهم أمت أمت، على ثلاث رايات، يقاتلهم أهل سبع رايات، ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك، ثم يظهر المهدي فيرد إلى المسلمين الفتنهم ونعمتهم».

«ألا أيها الناس سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقية تطأ في خطامها بعد موت وحياة، أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض، رافعة ذيلها تدعو يا ويلها بذحلة أو مثلها.

فإذا استدار الفلك، قلتُم مات أو هلك، بأي وادٍ سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

ولذلك آياتٌ وعلاماتٌ: أولهنَّ إحصار الكوفة بالرصد والخنديق، وتخريق الزوايا في سكك الكوفة، وتعطيل المساجد أربعين ليلة. وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبهن بالهدى، القاتل والمقتول في النار. وقتل كثير، وموت ذريع. وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين. والمذبوح بين الركن والمقام. وقتل الأسبغ المظفر صبراً في بيعة الأصنام، ومع كثير من شياطين الإنس.

وخروج السفيناني براية خضراء (حمراء) وصليب من ذهب، أميرها رجل من كلب واثني عشر ألف عنان من يحمل السفيناني متوجهاً إلى مكة والمدينة، أميرها أحد من بني أمية يقال له خزيمة، أطمس العين الشمال، على عينه طرفه، يميل بالدنيا فلا ترج له راية حتى ينزل بالمدينة، فيجمع رجالاً ونساءً من آل محمد ﷺ فيحبسهم في دار بالمدينة يقال لها دار أبي الحسن الأموي.

ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد ﷺ قد اجتمع عليه رجال من المستضعفين بمكة، أميرهم رجل من غطفان. حتى إذا توسطوا الصفائح الأبيض بالبيداء: يُخسف بهم فلا ينجو منهم أحد إلا رجل واحد يحول الله وجهه في قفاه لينذرهم وليكون آية لمن خلفه. فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

ويبعث السفيناني مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة فينزلون بالروحاء، وموضع مريم وعيسى ﷺ بالقادسية. ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى

ينزلوا الكوفة موضع قبر هود عليه السلام بالنخيلة فيجتمعوا عليه يوم زينة، وأمير الناس جبار عنيد يقال له الكاهن الساحر، فيخرج من مدينة يقال لها الزوراء في خمسة آلاف من الكهنة، ويقتل على جسرها سبعين ألفاً، حتى يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء وتنت الأجساد. ويسبي من الكوفة أبقاراً لا يكشف عنها كف ولا قناع، حتى يوضعن في المحامل يزلف بهن للثوية وهي الغريين.

ثم يخرج من الكوفة مائة ألف بين مشرك ومنافق، حتى يضربون دمشق لا يصددهم عنها صاد، وهي إرم ذات العماد.

وتقبل رايات شرقي الأرض ليست بقطن ولا كتان ولا حرير، مختمة في رؤوس القنا بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد عليه السلام يوم تطير بالمشرق يوجد ريحها بالمغرب كالمسك الأذفر، يسير الرعب أمامها شهراً.

ويخلف أبناء سعد السقاء بالكوفة طالبين بدماء آبائهم، وهوم أبناء الفسقة، حتى يهجم عليهم خيل الحسن يستبقان كأنهما فرسا رهان. شعث غبر أصحاب بواكي وقوارح، إذ يضرب أحدهم برجله باكية، يقول لا خير في مجلس بعد يومنا هذا، اللهم إنا التائبون الخاشعون الراكعون الساجدون. فهم الأبدال الذين وصفهم الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ والمطهرون نظراؤهم هم من آل محمد عليه السلام.

ويخرج رجل من أهل نجران يستجيب الإمام، فيكون أول

النصارى إجابة، ويهدم صومعته ويدق صليبها، ويخرج بالموالي وضعفاء الناس والخيّل، فيسيرون إلى النخيلة بأعلام هدى.

فيكون مجمع الناس جميعاً من الأرض كلها بالفاروق، وهي محجة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي ما بين البرس والفرات، فيقتل يومئذ ما بين المشرق والمغرب ثلاثة آلاف من اليهود والنصارى فيقتل بعضهم بعضاً. فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدًا﴾ بالسيف وتحت ظل السيف.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب وقال: «فبينما هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك، حتى ينزل دمشق. فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق، وآخر إلى المدينة، حتى ينزل بأرض بابل من المدينة الملعونة (يعني بغداد) فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها. ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدى فتلحق ذلك الجيش، فيقتلونهم ولا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم.

ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها. ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم. فيضربها برجله ضربة يخسف بهم عندها، ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «المهدي أقبل، جعد، بخده خال. يكون مبدؤه من قبل المشرق. فإذا كان ذلك خرج السفيناني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر. يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف مقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه. ويأتي المدينة بجيش جرار، حتى إذا انتهى إلى بیداء المدينة خسف الله به. وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾».

اليهود ودورهم في عصر الظهور

لو لم يكن عندنا عن دور اليهود في آخر الزمان وعصر ظهور المهدي عليه السلام إلا الآيات الشريفة في مطلع سورة الإسراء لكان فيها الكفاية، لأنها على اختصارها وحيّ إلهي بليغ، تبين خلاصة تاريخهم، وتسלט الضوء على مستقبلهم، بدقة وإعجاز على أنه يوجد بالإضافة إليها وإلى آيات القرآن الأخرى عدة أحاديث شريفة، بعضها يتعلق بتفسير الآيات، وبعضها يتعلق بوضعهم في عصر ظهور المهدي عليه السلام وحركته

الوعد الإلهي بتدمير اليهود

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿١﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ: أَيُّ حَكْمَانَا فِي الْقَضَاءِ الْمَبْرَمِ فِي التَّوْرَةِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ .

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا﴾ : إنكم سوف تنحرفون عن الصراط المستقيم ، وتفسدون في المجتمع مرتين .

كما أنكم سوف تستكبرون على الآخرين وتعلون عليهم علواً كبيراً .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ : فإذا جاء وقت عقوبتكم على إفسادكم الأول أرسلنا عليكم عباداً منسوبيين إلينا ، أصحاب بطش ومكروه يتزلونه بكم .

﴿فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ : فتجولوا خلال بيوتكم يتعقبون بقايا مقاتليكم . وكان ذلك وعداً قطعياً حاصلاً .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيكٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ : ثم أعدنا لكم الغلبة على هؤلاء الذين بعثناهم عليكم . وأعطيناكم أموالاً وأولاداً ، وجعلناكم أكثر منهم أنصاراً يستنفرون معكم ضدهم .

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ : ثم يستمر وضعكم على هذه الحال فترة من الزمن ، فإن تبتم وعملتُم خيراً بما أعطيناكم من أموال وأولاد فهو خير لأنفسكم ، وإن أسأتم وطغيتُم وعلوتُم فهو لكم أيضاً .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا فِي حُكْمِكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا النَّبِيَّ﴾ : ولكنكم سوف تسيئون ولا تحسنون فتمهلكم ، حتى إذا جاء وقت العقوبة على إفسادكم في المرة

الثانية سلطنا عليكم العباد المنسويين إلينا بأشد من المرة الأولى،
فأنزلوا بكم مكروهاً يسوء وجوهكم.....

ودخلوا المسجد الأقصى فاتحين كما دخلوه عندما جاسوا
خلال دياركم في المرة الأولى... وسحقوا علوكم وإفسادكم سحقاً.

﴿عَنْ رَبِّكَ أَنْ يَزْجِرَ﴾: لعل الله أن يرحمكم بعد هذه العقوبة
الثانية بالهداية.

﴿وَأَنْ عُدْتُمْ عِدًّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: وإن عدتم إلى إفساد
ما بعد العقوبة الثانية عدنا إلى معاقبتكم وحصرناكم عن ذلك في
الدنيا، ثم جعلنا لك جهنم حبساً وحصراً في الآخرة.

والنتيجة الأولى من الآيات الكريمة: إن تاريخ اليهود من بعد
موسى ﷺ إلى آخر حياتهم يتلخص بأنهم يفسدون في المجتمع،
حتى إذا جاء وقت عقوبتهم على ذلك بعث الله تعالى عليهم قوماً
منسويين إليه فيغلبونهم ثم يجعل الله تعالى الغلبة لليهود، على أولئك
القوم لحكم ومصالح، ويعطي اليهود أموالاً وأولاداً ويجعلهم أكثر
أنصاراً منهم في العالم.

ولكن اليهود لا يستفيدون من أموالهم وأنصارهم بل يسيئون
ويفسدون مرة ثانية، وفي هذه المرة يضيفون إلى إفسادهم العلو
فيستكبرون ويعلمون على الناس كثيراً... فإذا جاء وعد عقوبتهم على
ذلك سلط الله عليهم أولئك القوم مرة ثانية أنزلوا بهم عقاباً أشد من
العقاب الأول على ثلاث مراحل.

والنتيجة الثانية: إن القوم الذين يبعثهم الله عليهم في المرة الأولى، يغلبونهم بسهولة ﴿فَجَاسُوا خَلَلٌ الدِّيَارِ﴾، ويدخلون المسجد الأقصى وينهون قوتهم العسكرية. ثم يرسلهم الله عليهم ثانية على رغم غلبة اليهود عليهم وكثرة أنصارهم ضدهم، فينزلون بهم العقوبة على ثلاث مراحل، حيث يوجهون إليهم أولاً ضربات تسوء وجوههم، ثم يدخلون المسجد فاتحين كما دخلوه أول مرة، ثم يسحقون علوهم على الشعوب سحقاً. والسؤال الأساسي الذي طرحه المفسرون: هل أن هذين الإفسادين - اللذين يرافق أحدهم علو كبير - قد مضيا، ووقعت العقوبتان الموعودتان عليهما، أم لا؟

فقال بعضهم: إنهما مضيا، ووقعت العقوبة على الإفساد الأول على يد نبوخذ نصر، وعلى الإفساد الثاني على يد تيطس الروماني. وقال بعضهم: لم تقع العقوبتان بعد.

والرأي الصحيح: إن العقوبة الأولى على إفسادهم الأول قد وقعت في صدر الإسلام على يد المسلمين، ثم رد الله الكرة لليهود على المسلمين عندما ابتعد المسلمون عن الإسلام، وأفسد اليهود ثانية وعلوا في الأرض، وسيجيء وقت العقوبة الثانية وستكون على أيدي المسلمين أيضاً، عندما يعودون إلى إسلامهم مجدداً... وبهذا التفسير وردت الأحاديث الشريفة عن الأئمة عليهم السلام، فقد فسرت هؤلاء القوم الذين سيبعثهم الله تعالى على اليهود في المرة الثانية بأنهم المهدي عليه السلام وأصحابه، وبأنهم أهل قم، وبأنهم قوم يبعثهم الله تعالى قبل ظهور القائم عليه السلام. ففي تفسير العياشي عن الإمام

الباقر عليه السلام أنه قال بعد أن قرأ قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: هو القائم وأصحابه، أولو بأس شديد.

وفي تفسير نور الثقلين، عن روضة الكافي، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال في تفسيرها «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم، فلا يدعون وتراً لآل محمد ﷺ إلا قتلوه».

وفي بحار الأنوار عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قرأ هذه الآية، فقلنا: «جعلنا فداك من هؤلاء؟ فقال ثلاث مرات: هم والله أهل قم، هم والله أهل قم، هم والله أهل قم».

والروايات الثلاث متفقة في المقصود ولا تعارض بينها، لأن أهل قم بمعنى إيران هم أنصار المهدي الذين يبعثهم الله تعالى للتمهيد له، وفيهم العديد من أصحابه الخاصين عندما يظهر، كما دلت الأحاديث... مضافاً إلى أن مقاومة اليهود من قبل هؤلاء القوم ومن معهم من المسلمين تكون على مراحل، حتى يظهر المهدي عليه السلام، فيكون القضاء النهائي على اليهود بقيادته وعلى يده، أرواحنا فداء.

ومما يدل على أن العقوبة الثانية الموعودة لليهود ستكون على أيدي المسلمين أن القوم الذين وعد الله تعالى أن يبعثهم عليهم في المرتين أمة واحدة، وأن الصفات التي ذكرتهم وصفات حربهم لليهود لا تنطبق إلا على المسلمين... فملوك المصريين والبابليين واليونان والفرس والروم وغيرهم، ممن تسلط على اليهود لا يوصفون بأنهم «عباداً لنا» ولا حدث أن غلبهم اليهود بعد العقوبة الأولى، كما

ذكرت الآيات الشريفة . بينما غلبنا اليهود بعد عقوبتنا لهم في صدر الإسلام ، وأمدهم الله سبحانه بأموال وبنين وجعلهم أكثر منا أنصاراً في العالم ، ونفيراً علينا بمساعدة الدول الكبرى ، وها هم يفسدون في الأرض ويستعلون علينا وعلى الشعوب . وها هم مجاهدونا بدأوا يوجهون إليهم ضربات تسيء وجوههم .

ومما يدل على ذلك أيضاً أن مراجعة تاريخهم من بعد موسى ﷺ تدل على أنهم قد تحقق منهم الإفساد في تاريخهم وحاضرهم ، ولكن علوهم الموعود لم يتحقق على أي شعب إلا في عصرنا الحاضر ، فهو العلو الوحيد الموعود الذي تأتى على أثر العقوبة الثانية الموعودة بتتيرهم . . . وهو أمر واضح لكل ناظر في خلاصة تاريخهم التي سنذكرها .

الوعد الإلهي بالتسليط الدائم عليهم

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِبَعْنٍ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الضَّالِّينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

معنى هاتين الآيتين الشريفتين : أنه تعالى أعلن وقضى بانه سيسلط على اليهود من يعاقبهم ويعذبهم إلى يوم القيامة ، فهو سريع العقوبة وهو الغفور الرحيم . وأن من عقوبته تعالى لهم أن شتتهم في الأرض جماعات جماعات ، منهم الصالح ومنهم الطالح ، وامتحنهم بالخير والشر ، لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الهدى .

ونجد تنفيذ هذا الوعد الإلهي بمعاقبة اليهود في كل أدوار تاريخهم ما عدا فترات حكم الأنبياء موسى ويوشع وداود وسليمان عليهم السلام ، فقد سلط عليهم أنواعاً من الأقوام والشعوب وساموهم سوء العذاب .

قد يقال : نعم لقد تسلط على اليهود ملوك المصريين والبابليين واليونان والفرس والرومان وغيرهم فساموهم سوء العذاب ، ولكن المسلمين لم يسوموهم سوء العذاب ، بل اكتفوا بأن قضوا على قوتهم العسكرية ثم قبلوا منهم أن يعيشوا في ظل الدولة الإسلامية ، ويتمتعوا بحريتهم وحقوقهم ضمن قوانين الإسلام ويعطوا الجزية .

والجواب : إن سومهم سوء العذاب لا يعني استمرار قتلهم ونفيهم وسجنهم كما كانت تفعل بهم أكثر الدول التي تسلطت عليهم قبل الإسلام ، بل تعني إخضاعهم عسكرياً وسياسياً لسلطة من يسلطه الله عليهم . . . والمسلمون وإن كانوا أرحم من غيرهم في معاقبة اليهود وتعذيبهم ، ولكن يصدق عليهم أنهم تسلطوا على اليهود وساموهم سوء العذاب .

وقد يقال : نعم إن تاريخ اليهود يشهد بتطبيق هذا الوعد الإلهي عليهم ، ولكن قد مضى عليهم في عصرنا الحاضر قرن من الزمان أو نصف قرن على الأقل ، ولم يتسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب ، بل مضى عليهم أكثر من نصف قرن من سنة ١٩٦٣م وهم يسومون المسلمين في فلسطين وفي غيرها سوء العذاب ، فكيف نفسر ذلك ؟

والجواب: إن هذه الفترة من حياة اليهود مستثناة، وإنها فترة ردّ الكثرة، والغلو الكبير الموعود لهم بقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ فتكون خارجة تخصصاً عن عموم الوعد بالتسليط عليهم، حتى يجيء وعد العقوبة الثانية على يد المسلمين أيضاً.

وقد وردت الأحاديث الشريفة عن الأئمة عليهم السلام بأن هذا الوعد الإلهي قد انطبق أيضاً على أيدي المسلمين... فقد نقل صاحب مجمع البيان في تفسير هذه الآية إجماع المفسرين على ذلك فقال: «والمعني به أمة محمد صلى الله عليه وآله عند جميع المفسرين، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام أي الإمام الباقر. ورواه القمي في تفسيره عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً».

الوعد الإلهي بإطفاء نارهم

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَيْدًا يَتَّبِعُ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ وهو وعد إلهي بإطفاء نار الحروب التي يوقدونها، سواء أكانوا طرفاً مباشراً فيها حرّكوا لها الآخرين. وهو وعد لا استثناء فيه لأنه بلفظ «كلما أوقدوا» والتاريخ البعيد والقريب يشهد بأنهم كانوا وراء إشعال عدد كبير من الفتن والحروب، ولكن الله تعالى حقق وعده باللطف بالمسلمين

والبشرية، وأبطل كيد اليهود وأحبط خططهم وأطفأ نارهم . . . ولعل أكبر نار وفتنة أوقدوها على المسلمين والعالم نار الحرب الفعلية التي حركوا لها الغرب والشرق، وكانوا طرفاً مباشراً فيها في فلسطين، وطرفاً غير مباشر في أكثر بلاد العالم . . . ولم يبق إلا أن يتحقق الوعد الإلهي بإطفائها . . . ويفهم من الآية الشريفة أن عدوانهم وصراعاتهم الداخلية أحد أبواب اللطف الإلهي لإطفاء نارهم، بقرينة ذكر إطفاء النار في الآية بعدها وكأنه متفرع عليها ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ .

أما الأحاديث الشريفة عن دورهم في عصر الظهور، فمنها ما يتعلق بتجمعهم في فلسطين قبل المعركة القاضية عليهم تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي جئنا بكم من كل ناحية، أو جميعاً، كما في تفسير نور الثقلين . . . فمن ذلك الحديث الشريف عن مجيئهم وغزوهم لعكا، فعن النبي ﷺ قال: «هل سمعتم بمدينة جانب منها في البحر؟ قالوا: نعم. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق» .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لأبنيين بمصر منبراً، ولأنقضن دمشق حجراً حجراً، ولأخرجن اليهود من كل كور العرب، ولأسوقن العرب بعصاي هذه» فقال الراوي وهو عباية الأسدي: قلت له يا أمير

المؤمنين كأنك تخبر أنك تحيا بعد ما تموت؟ فقال: «هيهات يا عبادة ذهبت غير مذهب... يفعلُه رجل مثي» أي المهدي عليه السلام.

وهذا يدل على أن اليهود يتسلطون أو يتواجدون في كثير من بلاد العرب. وسوف نذكر معركة المهدي عليه السلام مع السفيناني ومعهم، في أحداث بلاد الشام وأحداث حركة الظهور.

ومنها حديث كشفهم للهيكل. فقد ورد في تعداد علامات الظهور عبارة «وكشفُ الهيكل» الذي يبدو أنه كشف هيكل سليمان عليه السلام.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ولذلك آيات وعلامات: أولهن إحصار الكوفة بالرصد والقذف. وتخريق الزوايا في سكك الكوفة. وتعطيل المساجد أربعين ليلة. وكشف الهيكل. وخفق رايات تهتز حول المسجد الأكبر، القاتل والمقتول في النار».

ولكن يحتمل أن يكون كشف هذا الهيكل من قبل الممهدين للمهدي عليه السلام قبيل ظهوره، لأن الحديث لا يذكر من يكشفه. كما يحتمل أن يكون الهيكل أثراً تاريخياً غير هيكل سليمان عليه السلام، أو في محل آخر غير القدس... حيث ورد ذكره بصيغة «كشف الهيكل» بنحو مطلق.

والفقرات الأولى من الرواية تتحدث عن حالة حرب في الكوفة التي قد يرد ذكرها في الروايات بمعنى العراق، ولكنها هنا بمعنى مدينة الكوفة وحصارها وقذفها واتخاذ المتاريس في زوايا شوارعها.

أما الرايات المتصارعة حول المسجد الحرام فهي تشير إلى صراع القبائل على الحكم في الحجاز قبيل ظهور المهدي عجل الله فرجه ، وقد وردت فيه أحداث كثيرة .

ومنها ، الأحاديث التي تعين القوم الذين يسلطهم الله تعالى عليهم بعد إفسادهم وعلوهم في العالم . وقد تقدم بعضها في تفسير الآيات الشريفة ، ويأتي ذكر بعضها في الحديث عن إيران وشخصياتها في عصر الظهور ، من قبيل حديث الرايات السود المتواتر إجمالاً «تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب في إلباء» وغيره .

ومنها ، أحاديث استخراج المهدي عجل الله فرجه للتوراة الأصلية من غار بأنطاكية وجبل بالشام وجبل بفلسطين وبحيرة طبرية ، ومحاجته اليهود بها . . فعن النبي ص قال : «يستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها إنطاكية» .

وعنه ص قال : «يستخرج تابوت السكينة من غار بإنطاكية ، وأسفار التوراة من جبل بالشام يحاج بها اليهود فيسلم كثير منهم» .

وعنه ص قال : «يظهر على يديه تابوت السكينة من بحيرة طبرية ، يُحمل فيوضع بين يديه بيت المقدس ، فإذا نظرت إليه اليهود أشملت إلا قليلاً منهم» وتابوت السكينة هو المذكور في قوله تعالى : «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ

مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وقد ورد أن هذا الصندوق المقدس الذي فيه مواريث الأنبياء عليهم السلام كان آية وعلامة لبني إسرائيل على أحقية من يكون عنده بالملك وأن الملائكة جاءت به تحمله بين جموع بني إسرائيل حتى وضعته أمام طالوت عليه السلام . ثم سلمه طالوت لداود، وداود لسليمان، وسليمان لوصيه آصف بن برخيا، على نبينا وآله وعليهم جميعاً السلام . ثم فقده بنو إسرائيل بعد وصي سليمان عليه السلام عندما لم يطيعوه وأطاعوا غيره .

ومعنى «يسلم كثير منهم» أو «أسلمت إلا قليلاً منهم» قد يكون من الذين يرون تابوت السكينة أو الذين يحاجهم المهدي عليه السلام بنسخ التوراة الأصلية . وفي رواية أخرى أنه يسلم له من اليهود ثلاثون ألفاً، وهو عدد قليل بالنسبة إلى مجموعهم .

ومنها، أحاديث معارك الممهدين للمهدي عليه السلام مع اليهود . كالحديث الذي تقدم عن إخراج المهدي إياهم من جزيرة العرب، ولا يكون ذلك إلا بالانتصار عليهم وطردهم من فلسطين . ومنها أحاديث معركة المهدي الكبرى التي يكون طرفها المباشر السفيناني وخلفه اليهود والروم، والتي يمتد محورها من أنطاكية إلى عكا، أي على طول الساحل السوري اللبناني والفلسطيني، ثم إلى طبرية ودمشق والقدس وتحقق فيها هزيمتهم الكبرى الموعودة، حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي فاقتله .

مصر في عصر الظهور

في رواية عباية الأسدي عن علي عليه السلام قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وهو (متكي) وأنا قائم عليه قال «لأبنيّن بمصر منبراً، ولأنقضنّ دمشق حجراً حجراً، ولأخرجنّ اليهودي والنصارى من كل كور العرب، ولأسوقنّ العرب بعصاي هذه قال، قلت: كأنك تخبر أنك تحيا بعدما تموت؟ فقال: هيهات يا عباية قد ذهبت في غير مذهب؟ يفعله رجل مني.

وعن علي عليه السلام في المهدي وأصحابه قال: «ثم يسIRON إلى مصر فيصعد منبرها، فيخطب الناس، فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطي السماء قطرها، والشجر ثمرها، والأرض نباتها، وتزِين لأهلها. وتأمين الوحوش حتى ترتعي في طرق الأرض كالأنعام. ويقذف في قلوب المؤمنين العلم، فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من العلم. فيومئذ تأويل الآية ﴿يُغْنِي اللَّهُ كُلَّ مِّن سَعَتِهِ﴾».

ويفهم من هاتين الروايتين أنه سيكون لمصر في دولة الإسلام العالمية على يد المهدي عليه السلام مركز علمي وإعلامي متميز في العالم. . خاصة بملاحظة تعبير «لأبنيّن بمصر منبراً» ثم يسIRON إلى

مصر فيصعد منبرها أي يسير المهدي وأصحابه إلى مصر، لا لكي يفتحها أو يثبت أمر حكمه لها، بل لتستقبله هو وأصحابه أرواحنا فداهم، ولكي يصعد منبره الذي يكون اتخذه فيها كما وعد جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وليوجه خطابه من هناك إلى أهل مصر والعالم.

العراق في عصر الظهور

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا؟ وشبك أصابعه أو أدخل بعضها في بعض. فقلت يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير. قال: الخير كله عند ذلك، يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله (ﷺ) فيقتلهم.. ثم يجمعهم الله على أمر واحد».

فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إذا قام القائم سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر ألف أنفس يدعون البترية، عليهم السلاح، فيقولون له.. إرجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم. ثم يدخل الكوفة فيقتل كل منافق مرتاب، ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عزّ وعلا».

فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إن رسول الله (ﷺ) سار في أمته بلين، كان يتألف الناس. والقائم يسير بالقتل. بذلك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً. ويل لمن ناوأه».

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن القائم يلقي في حربه ما لم يلقي رسول الله (ﷺ)، لأن رسول الله آتاهم وهو يعبدون الحجارة

المنقورة والخشبة المنحوتة، وإن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه».

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بينا الرجل على رأس القائم عليه السلام يأمره وينهاه، إذا قال أديروه، فيديرونه إلى قدامه، فيأمره بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه».

وبهذا العرض المجمل لمن يقتلهم المهدي عليه السلام في العراق، يظهر أنهم فئات متعددة من الشيعة والسنة، ومن المؤيدين للسفلياني والمعارضين له، من علماء السوء والمجموعات والأحزاب وعامة الناس... ومن الطبيعي أن يكون فيهم فئات عميلة للروم والترك أيضاً، أي الغربيين والروس.

ولكن بعد ذلك، يتنفس العراق الصعداء في ظل سلطة الإمام المهدي عليه السلام، ويدخل حياة جديدة في مركزه العالمي، بوصفه عاصمة الإمام المهدي ومحط أنظار المسلمين ومقصد وفودهم... وتصبح الكوفة والسهلة والحيرة والنجف وكربلاء محلات لمدينة واحدة يتردد ذكرها على ألسنة شعوب العالم وفي قلوبهم، ويقصدها القاصدون من أقاصي المعمورة ليلة الجمعة، ويبكون لأداء صلاة الجمعة خلف المهدي عليه السلام، في مسجده العالمي ذي الألف باب فلا يكاد الواحد أن يحصل على موضوع صلاة بين عشرات الملايين القاصدة... فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضوع خلواته الزكوات البيض من الغربيين... والله لا يبقى

مؤمن إلا كان بها أو حواليتها، ولتصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، ولتجاورن قصورها قصور كربلاء. وليصيرن الله كربلاء معقلاً ومقاماً تخلف إليه الملائكة والمؤمنون، وليكونن لها شأن من الشأن.

إيران في عصر الظهور

قبل الثورة الإسلامية في إيران كانت إيران تعني في أذهان الغربيين قاعدة حيوية في وسط العالم الإسلامي، وعلى حدود روسيا. وكانت تعني في أذهان المسلمين بلداً إسلامياً عريقاً يتسلط عليه «شاه» موال للغرب وإسرائيل، يسخر بلده لخدمتهم. وكانت تعني للشيعة مثلي مضافاً إلى ذلك بلداً فيه مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وحوزة قم العلمية، وتاريخها العريق في التشيع والعلماء ومؤلفاتهم. وعندما كنا نمر بالأحاديث التي تمدح الفرس وقوم سلمان أو نتذاكرها، نقول لبعضنا: إنها مثل الأحاديث التي تمدح أهل اليمن، وبني خزاعة، أو تذمهم، وإن كل الأحاديث التي تمدح أو تذم أقواماً أو بلداناً أو قبائل، فهي محل نظر. وإن صحت فهي أحاديث عن التاريخ تخص حالة هذه الشعوب في صدر الإسلام وقرونه الأولى...

كانت هذه هي النظرة السائدة بيننا، وأن الأمة اليوم كلها تعيش حالة جاهلية وتخضع لسيطرة الكفر العالمي ووكلائه، ولا أحد من شعوبها أفضل من أحد، بل قد يكون الإيرانيون أسوأ حالاً من غيرهم، لأنهم أصحاب حضارة كافرة عريقة، وأمجاد قومية يعمل

الغرب والشاه على بعثها فيهم، وتربيتهم على الاعتزاز بها والتعصب لها... حتى إذا فاجأت المسلمين في العالم أحداث الثورة الإسلامية في إيران، وحدث انتصارها، فرحت قلوبهم المهمومة فرحاً لم تعرفه منذ قرون، وضاعف منه أنه نصر غير محتسب.. وعمت أعمال التعبير عن فرحتهم كل بلادهم.. وكان منها أحاديث الناس عن فضل العجم والفرس وقوم سلمان، وكان عنوان مجلة المعرفة التونسية «الرسول يختار الفرس لقيادة الأمة الإسلامية» واحداً من مئات العناوين في منشورات مغرب العالم الإسلامية ومشرقه، التي تعني أننا استعدنا ذاكرتنا عن الإيرانيين واكتشفنا أن أحاديث النبي ﷺ عنهم لم تكن تاريخاً فقط، بل مستقبلاً أيضاً..

ورجعنا إلى مصادر الحديث والتفسير نتتبع أخبار الإيرانيين ونتفحصها، فإذا بها تخص المستقبل أكثر من الماضي، وإذا بها في مصادر السنة أكثر منها في مصادر الشيعة.. ماذا نصنع إذا كانت أحاديث المهدي المنتظر والتمهيد لدولته فيها السهم الأوفر للإيرانيين واليமானيين، الذين ينالون شرف التمهيد لدولته والمشاركة في حركته ﷺ.. وفيها نصيب للنجباء من مصر، والأبدال من الشام، والعصائب من العراق.. وفيها حظّ لمؤمنين متفرقين من أطراف العالم الإسلامي، يكونون أيضاً من خاصة أصحابه ووزرائه، أرواحنا فداه وفداهم.. ونحن نستعرض الأحاديث الواردة حول الإيرانيين بشكل عام. ثم حول دورهم في عصر الظهور.

الآيات والأحاديث في مدح الإيرانيين

وردت الأحاديث حول الإيرانيين وحول الآيات المفسرة بهم بتسعة عناوين: «قوم سلمان. أهل المشرق، أهل خراسان. أصحاب الرايات السود. الفرس. بنو الحمراء أو الحمراء. أهل قم. أهل الطالقان» وسترى أن المقصود فيها غالباً واحد. وقد تكون أحاديث أخرى عبرت عنهم بعناوين أخرى أيضاً.

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

قال عز وجل: ﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤَآءَ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ، وَاللَّهُ الْفَقِيرُ وَأَنتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾.

قال صاحب الكشاف ج ٤ ص ٣٣١ «وسئل رسول الله ﷺ عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال: «هذا وقومه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالشرى لتناوله رجال من فارس».

وقال صاحب مجمع البيان «روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن تولوا يا معشر العرب، يستبدل قوماً غيركم، يعني الموالي».

وقال صاحب الميزان ج ١٨ ص ٢٥٠ «في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل . . عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله هذه الآية ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾. فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: هذا وقومه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالشرية لتناوله رجال من فارس» وروي بطرق أخرى عن أبي هريرة مثله. وكذا عن ابن مردويه عن جابر مثله.

وفي الحديث الشريف معنيان متفق عليهما، وهما: إن الفرس هم الحظ الثاني عند الله تعالى لحمل الإسلام بعد العرب، والسبب في ذلك أنهم يصلون إلى الإيمان مهما كان بعيداً عنهم، وكان طريقه صعباً.

كما أن فيه ثلاثة أمور محل بحث:

أولها: هل أن هذا التهديد للعرب باستبدال الفرس بهم خاص بوقت نزول الآية في عصر النبي ﷺ أم مستمر في كل جيل، بحيث يكون معناه: إن توليتم في أي جيل يستبدل بكم الفرس؟

والظاهر أنه مستمر، بحكم قاعدة أن خصوص المورد لا يخصص الوارد، وإن آيات القرآن تجري في كل جيل مجرى الشمس والقمر، كما ورد في الحديث واتفق عليه المفسرون.

وثانيها: إن الحديث الشريف يخبر أن رجالاً من فارس ينالون الإيمان أو العلم، ولا يخبر أنهم كلهم ينالونه. فهو مدح لأفراد نابغين منهم وليس لهم جميعاً. . ولكن الظاهر من الآية والحديث أنهما مدح للفرس بشكل عام لأنه يوجد فيهم رجال ينالون الإيمان والعلم. خاصة إذا لاحظنا أن الحديث عن قوم يخلفون العرب في حمل الإسلام. فالمدح بسبب أنهم أرضية للنابغين، وأهل لإطاعتهم والافتداء به.

وثالثها: هل وقع إعراض العرب عن الإسلام واستبدال الفرس بهم، أم لا؟

والجواب: إنه لا إشكال عند أحد من أهل العلم أن العرب وغيرهم من المسلمين في عصرنا قد أعرضوا وتولوا عن الإسلام. وبذلك يكون وقع فعل الشرط «أن تتولوا» ويبقى جوابه وهو الوعد الإلهي باستبدال الفرس بهم. كما لا إشكال عند المنصفين أن هذا الوعد الإلهي بدأ يتحقق.

بل تدلّ الرواية التالية الواردة في تفسير نور الثقلين على أن هذا الاستبدال قد حصل في العصر الأموي عندما انصرف العرب إلى الاهتمام بالمراكز والأموال وانكبّ الفرس على علوم الإسلام. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قد والله أبدل خيراً منهم، الموالي» وتعبر الموالي وإن كان يشمل يومها غير الفرس أيضاً من الترك والروم الذين دخلوا في الإسلام، ولكن الفرس كانوا يشكلون أكثريتهم وثقلهم،

خاصة بملاحظة معرفة الإمام الصادق بتفسير النبي ﷺ للآية بالفرس .

حديث: ليضربنكم على الدين عوداً

قال ابن أبي الحديد: جاء الأشعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجعل يتخطى الرقاب حتى قرب منه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، يعني العجم، فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث؛ ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر. فقال عليه السلام: من عذيري من هؤلاء الضياطرة، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوماً للذكر! أفتأمرني أن أطردهم؟ ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً.

الضياطرة: جمع ضيطر، الرجل الضخم الفارغ.

والأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة الكبيرة، ومن رؤوس المنافقين. وقد شارك هو في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عليه السلام. وقامت بنته جعدة بسم زوجها الإمام الحسن عليه السلام. وشارك ابنه محمد بن الأشعث في قتل الإمام الحسين عليه السلام. وتشير الرواية إلى أنه لم يجلس في آخر المصلين كما تقضي الآداب الإسلامية، بل أخذ يشق الصفوف ويتخطى الرقاب يريد الصلاة في الصف الأول، فرأى

احتشاد الإيرانيين عند منبر أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال بصوت مرتفع ، مخاطباً أمير المؤمنين ومقاطعاً خطبته :

يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك! والعرب تسمي الأخضر أسود، ومنه تسمية العراق أرض السواد، وتسمي الأبيض أحمر، ومنه تسمية العجم الحمراء وبني الحمراء .

فضرب أمير المؤمنين عليه السلام المنبر برجله مكرراً يقول بذلك للأشعث : ماذا قلت! ثم أطرق عليه السلام وسكت يفكر فيما يجيبه به .

أما صعصعة بن صوحان العبدي وهو من خيرة أصحاب المؤمنين عليهم السلام ، فقد أدرك خطورة ما حدث، وأن الأشعث يطرح خلافة المسلمين على أنها قيمة دنيوية يملكها العرب الذين هم الأشعث وأمثاله! وأنه لا يحق لهؤلاء المسلمين البيض الجدد أن يحيطوا بالإمام ويكونوا أقرب إليه من الأشعث! وبما أن صعصعة يعرف الموازين الإسلامية التي يؤمن بها أمير المؤمنين فقد عرف أن جوابه عليه السلام سيكون حاسماً ، فقال متذمراً من الأشعث «مالنا وللأشعث» أثار هذه الثعرة العشائرية القومية ضد الفرس، وأوجب أمير المؤمنين عليه السلام أن يتكلم لمصلحتهم ضد العرب .

ورفع أمير المؤمنين عليه السلام رأسه من إطراقته الطويلة، ولكن لا لينظر إلى الأشعث ويجيبه، بل أعرض عنه وخاطب المسلمين أن ينصفوه من هؤلاء الأشاعثة الضيافة ومنطقهم: «من يعذرني من هؤلاء الضيافة» وينصفني من ظلمهم . . واحدهم فارغ الشخصية من

الفكر والهدف، اللهم إلا البلاة والإخلاد إلى النوم والشهوة،
والتقلب على فراشه من الترف والتخمة.

«يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار» ولا يكتفي بفراغ
شخصيته وكسله وإخلاده إلى الطين بل «يهجر قوماً للذكر» ويزدرهم
ويطعن عليهم لأنهم تهوي أفئدتهم إلى الذكر وأهله، ويلتقون حول
إمامه ومنبره... «أفتأمرني أن أطردهم» كما أراد الملاء من قوم نوح
عندما قالوا له «ما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا» بل جوابي لك
جواب نبي الله نوح عليه السلام لضياطرة قومه «ما كنت لأطردهم فأكون من
الجاهلين».

ثم ختم عليه السلام كلامه بالقسم على بعض ما أخبره به النبي صلى الله عليه وآله
عن مستقبل هؤلاء الملتفين حول المنبر وقومهم «أما والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً، كما ضربتموهم عليه بدءاً»
وهو يدل على أن الوعد الإلهي سيتحقق في العرب فيتولوا عن الدين،
ويستبدل الله تعالى بهم الفرس، ولا يكونوا أمثالهم... ويدل على
أن الفتح الإسلامي في هذه المرة سيكون ابتداءً من إيران في طريق
القدس والتمهيد للمهدي عليه السلام.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينٍ أَلْحَىٰ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ﴾.

قال أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله لو لم يبق في

الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً اسمه اسمي وخلقته خلقي يكنى أبا عبد الله يبايع له الناس بين الركن والمقام. يرد الله به الدين ويفتح له فتوحاً فلا يبقى على ظهر الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله فقام سلمان الفارسي وقال: يا رسول الله من أي ولدك؟ قال: هو من ولد بني هذا وضرب بيده على الحسين عليه السلام. وقال: المهدي عليه السلام من عترتي من ولد فاطمة يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي ويقول أمير المؤمنين عليه السلام ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي. ويريهم كيف يكون عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة يعز الله به الإسلام بعد ذله ويحييه بعد موته، ويضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل.

ولا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمر... لا يبقى في الأرض معبود من دون الله تعالى من صنم ووثن وغيره إلا وقعت فيه نار فاحترق.

وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرم الله عز وجل ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشرأ.

وأن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق ولا يكون بينهم بريد يكلمهم فيسمعونه وينظرون إليه وهو في مكانه.

يرفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض ويخفض له كل مرتفع حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته . فأياكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟

لو فكرنا وتأملنا بكلام أمير المؤمنين وأحاديثه عن القائم المهدي عليه السلام عجل الله فرجه وطابقنا كلامه على واقعنا المتطور في العلوم والتكنولوجيا والاتصالات والتلفزيون حتى كلامه عن الأسلحة النووية عندما يقول : «خذ الفرار والطلق وشيء يشبه البرق إذا أجودته سحقاً ملكت الغرب والشرق» ، لتأكدنا من معرفته الكلية بكتاب الله عز وجل : ويؤكد لنا سبحانه وتعالى صدق علي عليه السلام عندما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لست مرسلًا قال سبحانه وتعالى ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عَلَّمَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمةً وما فرطنا في الكتاب من شيء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفهرس

٧	الإهداء
١١	المقدمة
١٣	لمحة موجزة عن حياة الإمام علي عليه السلام
١٣	كيفية ولادته
١٤	آثار التربية
١٩ ..	عباداته عليه السلام
٢١	استجابة دعواته عليه السلام
٢٦	الله أكبر
٢٧	بعض ما قاله الله في كتابه الكريم في علي عليه السلام
٢٨ ..	علي عليه السلام في الرسائل
٣٠	أقوال في علي
٤٠	بدء ظهور المغالاة
٤٤	أبا حسن لا أبقاني الله لشدة لست لها
٤٧	علي عليه السلام يعرفنا على الخالق سبحانه وتعالى
٥١	لم يلد ولم يولد.....
٥٢	ذكر الله سبحانه
٥٣	خطبة تأمل
٥٣	ومن خطبة له عليه السلام

- ٥٤ ومن خطبة له حول خلق الكون
٦٦ لا وجود بلا واجد
٦٧ دعوة علي عليه السلام إلى القرآن
٦٨ التفكير العلمي في عصر علي عليه السلام
٧٠ الإمام علي عليه السلام ومدرسة القرآن
٧٣ علم الأبدان
٧٤ الماء
٧٧ خلق السماوات والأرض
٧٨ أسماء السماوات والوانها
٧٨ عدد الأراضي وأسمائها وما فيها من الخلق
٨٠ الرياح ...
٨١ النار
٨١ المطر
٨٢ علي عليه السلام والملائكة
٨٣ بعض أعمال الملائكة
٨٨ علي عليه السلام يعلم لغات الملائكة
٩١ علي عليه السلام مع إبليس وجنوده
٩٢ في كل أمة جنود لإبليس
٩٢ من خطبة له عليه السلام
٩٢ إبليس والشیطان
٩٣ علي عليه السلام والجن
٩٩ علي عليه السلام وخلق آدم
١٠٥ الروح
١٠٨ من عجائب معرفته بالإنسان
١١١ ومن خطب له عليه السلام في خلق أصناف من الحيوان

- ١١١ ومن خطبة له عليه السلام في النملة
- ١١٢ ومن خطبة له عليه السلام في الطاووس
- ١١٤ ومن خطبة له عليه السلام في الخفاش
- ١١٦ ومن خطبة له عليه السلام في الجرادة
- ١١٦ علي عليه السلام وتسييح المخلوقات
- ١١٧ ما يقول الحيوان في كلامه
- ١١٨ عجائب خلق الحيوان
- ١٢٢ من معجزاته في انقياد الحيوانات له
- ١٢٩ علي عليه السلام يعلم منطق الطير
- ١٣٠ معجزته عليه السلام مع طير الاوز
- ١٣٠ مع الفيلة
- ١٣٣ من معجزاته في الإنسان والجمادات والنباتات
- ١٣٥ علي عليه السلام وإحياء الفتى الميت
- ١٣٩ علي عليه السلام مفسر الناقوس
- ١٤١ من أخباره بالغائبات وعلم اللغات
- ١٤٤ العلم بالغيب
- ١٤٧ أخبار عن المستقبل
- ١٤٨ سيخرب العراق
- ١٥١ الأخبار الواردة عن معرفة الإمام علي بالأمور الغيبية
- ١٦١ سلوني قبل أن تفقدوني
- ١٦١ قوله عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني
- ١٦٩ علي عليه السلام سيد المتكلمين
- ١٧٠ علي عليه السلام أخطب الخطباء والفصحاء
- ١٧١ علي عليه السلام معلم الفلاسفة
- ١٧٢ علي عليه السلام مؤسس النحو

١٧٤	علي عليه السلام أعلم الشعراء
١٧٤	علي عليه السلام أعلم الوعاظ ..
١٧٥	علي عليه السلام أعلم الناس بالهندسة
١٧٦	علي عليه السلام أعلم الناس بالنجوم
١٧٧	علي عليه السلام أعلم الناس بالحساب
١٧٩	علي عليه السلام أحرف الناس بالطب
١٨٠	طب الإمام علي عليه السلام
١٨٢	التركيبات الكيميائية
١٩٢	الطحال والكبد
١٩٣	علي عليه السلام الشاهد ..
١٩٣	أمثلة بعلم علي عليه السلام
١٩٣	من خطبة له عليه السلام
١٩٤	ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد ﷺ
١٩٥	العباس يطالب بإرث الرسول ﷺ
١٩٦	ومن خطبة له في التقوى
١٩٧	ومن خطبة له في الإرشاد
١٩٨	من كلام له يصف فيه الدنيا
١٩٩	خطبة تحذر من الدنيا
٢٠٠	الزهد من الدنيا
٢٠٣	الثقة الزهاد
٢٠٣	الترفق في الطلب
٢٠٤	قال عليه السلام في المنافقين
٢٠٤	ذكر الموت
٢٠٥	ظلمة القبر
٢٠٦	إخوان الإمام (الترحال)

٢٠٧	الموت زائر غير محبوب ..
٢٠٧	علي ؑ يصف حالنا
٢٠٩	خطبة للإمام أمير المؤمنين ؑ الخالية من حرف الألف
٢١٣	خطبة للإمام أمير المؤمنين ؑ خالية من النقطة
٢١٥	ومن خطبة له حول إسلام قريش والأعراب
٢١٨	علي ؑ والشمس
٢٢٠	علي ؑ أعرف الخلق بالكيمياء
٢٢١	علي ؑ والسنن والأحكام
٢٢٢	علي ؑ عنده علم الكتاب
٢٢٢	في حياة النبي ﷺ
٢٢٥	لا أضع الرداء حتى أجمع القرآن
٢٢٦	علي ؑ أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله ﷺ
٢٢٧	علي ؑ خير الخلق بعد النبي ﷺ
٢٣٠	علي ؑ هو الأخير بعد النبي ﷺ
٢٣٠	علي ؑ واختلاف الحديث
٢٣٣	علي ؑ يحلّ المعضلات
٢٣٥	علي ؑ والمسجد المنهدم
٢٣٥	علي ؑ وضلع الميت
٢٣٦	علي ؑ يذكر مسألة غريبة
٢٣٦	لولا علي ؑ لهلك عمر
٢٣٨	علي ؑ يرد على أبي بكر
٢٣٩	علي ؑ يضع مخطط إسلام إيران
٢٤١	علي ؑ يخبر عن سر المرأة
٢٤٢	صورة أخرى
٢٤٣	صورة مفصلة

- ٢٤٥ كلام له ﷺ في أصناف الناس وفضيلة العلم وجملة وصايا
- ٢٤٦ تبيانه مدى علمه لو عرف الناس
- ٢٤٧ إبرازه ﷺ الشوق إلى لقاء المتقين الآتين
- ٢٤٨ وصيته ﷺ لكميل بحسن الخلق ووصايا
- ٢٥٠ بيانه ﷺ معنى الأخوة الإسلامية
- ٢٥٢ تبيانه ﷺ خدع الشيطان لحرف المؤمنين
- ٢٥٤ توضيحه ﷺ نماذج من حيل إبليس
- ٢٥٥ تحديده ﷺ شرائط قبول الصلاة
- ٢٥٧ توضيحه ﷺ مكانة أهل البيت عند الله
- ٢٥٨ بيانه ﷺ حسد الناس لهم في مقامهم
- ٢٦١ علي ﷺ يعلمنا القضاء
- ٢٦٣ القضاء والقدر
- ٢٦٥ قصة طريفة وقضاء طريف
- ٢٦٦ لم تكن خائنة
- ٢٦٧ مراجعة عمر إلى علي في خمسة أخذوا في الزنى
- ٢٦٧ قيصر يكتب إلى عمر
- ٢٧٣ علي ﷺ أعلم الناس بالنجوم
- ٢٧٥ السنون الشمسية والقمرية
- ٢٧٧ إسلام أبو الضمضام العبسي
- ٢٨١ الإجابة من الله على من دعا عليهم ودعا لهم
- ٢٨١ دعاؤه على طلحة والزبير
- ٢٨٥ ابن العطار الواسطي الهاشمي
- ٢٨٦ في نواقض العادات منه
- ٢٩١ وصيته لإبنه الحسن ﷺ عند انصرافه من صفين
- ٣٠١ كتابه للأشتر النخعي عندما ولاء مصر

٣٠٣	حب الحاكم لرعيته
٣٠٦	رضا الرعية بالديمقراطية
٣٠٨	احذر النمام والكذاب والحاقد والبخيل
٣١٠	فصل في النهي عن سماع السعاية وما ورد في ذلك من الآثار
٣١٢	شاوور الصادقين واتخذهم أصدقاء
٣١٦	أكثر من مجالسة العلماء والحكماء
٣١٨	تصنيف المجتمع
٣٢٥	رسالة الاسكندر إلى أرسطو ورّد أرسطو عليه
٣٢٩	تعيين القضاة
٣٣١	اختر عمالك لجدارتهم
٣٣٤	إعمار البلاد خيرٌ من الضرائب
٣٣٧	توزيع الأعمال على أهل الكفاءة
٣٣٨	اهتمام الوالي بأصحاب التجارة والصناعة
٣٤٠	الاهتمام بالمساكين
٣٤٢	علاقتك المباشرة بذوي الحاجات
٣٤٤	الاهتمام بفرائض الله
٣٤٥	الاتصال بالرعية بأمر الوالي
٣٤٦	اختر بطانتك والزمها الحق ..
٣٤٨	اعتمد على الصلح والإصلاح
٣٥٠	إحذر سفك الدماء وغضب الرب
٣٥١	كن القدوة الصالحة
٣٥٧	الإمام علي عليه السلام ينمي نفسه والحسين عليه السلام
٣٥٧	علي عليه السلام يخبر عن قتل الحسين عليه السلام
٣٥٧	علي عليه السلام يخبر عن قتله
٣٥٨	كيف عرف قبره بعد مائة وثلاثين سنة (١٣٠)

٣٥٨	نقل الجماعة فضائله ومناقبه
٣٥٩	شاعر
٣٥٩	آخر
٣٦١	سهرة مع علي <small>عليه السلام</small>
٣٦٥	أخبار حاضرنّا الذي نعيشه
٣٧٥	الفتنة العامة ، وفتنة بلاد الشام
٣٨١	اليهود ودورهم في عصر الظهور
٣٨١	الوعد الإلهي بتدمير اليهود
٣٨٦	الوعد الإلهي بالتسليط الدائم عليهم
٣٨٨	الوعد الإلهي بإطفاء نارهم
٣٩٣	مصر في عصر الظهور
٣٩٤	العراق في عصر الظهور
٣٩٦	إيران في عصر الظهور
٣٩٩	الآيات والأحاديث في مدح الإيرانيين
٤٠٢	حديث : ليضربنكم على الدين عوداً
٤٠٧	الفهرس